

مُحَمَّدٌ
رُوحُ الْوَجُودِ



مُحَمَّدٌ
صَلَّى اللَّهُ
وَسَلَّمَ^{زَيْدِي}
رُوحُ الْوُجُودِ

الأستاذ الدكتور محمد عمر الحسايني

دارُ المَكِينِ

الطبعة الأولى 1431هـ - 2010م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المکتبی بدمشق .

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا

ص.ب 31426 هاتف 2248433 فاكس 2248432

e-mail: almaktabi@mail.sy

دار المکتبی

للطباعة والنشر والتوزيع

www.almaktabi.com

تمهيد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله الغر الميامين ، وصحابته أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

من فضل الله تعالى وكرمه أنه تولّى عباده بالهداية والإرشاد ، وذلك بأن أرسل لهم صفوة خلقه ، وهم الأنبياء والمرسلون ، مصداق ذلك قوله سبحانه : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء : ١٦٥] وكان كل نبيٍّ أو رسولٍ يُرسله الله إلى قومه أو جماعته أو بلده ، فيضع ذاك النبيّ أو ذاك الرسول لبنّة في صرح الدين الواحد الخالد ، وهو دين الإسلام الذي ارتضاه الله لجميع عباده : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ . [آل عمران : ١٩] .

إلى أن شاء الله تعالى بأن يختم تلك السلسلة الطاهرة المباركة بخاتم الأنبياء محمد ﷺ فكان اللبنة الأخيرة في ذاك الصرح . مصداق ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : « مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجملّه ، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلاً وُضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم الأنبياء »^(١) .

وكي لا تتخبّط الأمة خبط عشواء ، وتسير وراء كل ناعق ، وتتلقّف أي منهج أو مذهب ، اختصر سبحانه عليها ذلك كله ، وأوضح لها المنهج والسبيل ، وقال لها : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

(١) صحيح مسلم بشرح النووي : ١/١٤٨ .

بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿[الأنعام: ١٥٣] لكن من يدل الأمة - خاصة بعد قرون طويلة - على ذاك الصراط المستقيم؟! .

إنه الداعي إلى صراط الله المستقيم ، والذي هو روح الوجود محمد ﷺ ، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ﴾ .

[الشورى: ٥٢ - ٥٣] .

أجل:

هذا حبيب الله أحمد ، وها نحن قد عرفنا السرّ والدواء لمشاكلنا المستعصية ، ولكن كيف الدخول إلى عالم أسرارهِ وأنوارهِ ، وهو الذي قال الله له: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] ، وهو الذي لا يعلم أسرارهِ إلا الله وحده: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ونحن الذين قد أثقلت كواهلنا الذنوب؟! .

ولقد شكوتُ إلى طيبي عِلَّتِي مما اقترفتُ من الذنوب الجافيةُ
وصفَ الطبيبُ شرابَ مدحِ المصطفى فهو الشِّفا فاشربْ هنيئاً عافيةُ

ولهذا وحالنا يُشبهه حال ذلكم الرجل الذي أتى النبي ﷺ ، فسأله: يا رسول الله! متى الساعة؟ فقال له: «وما أعددتَ لها؟» قال: ما أعددتُ لها كثير صلاةٍ وصيامٍ ، ولكنني أحبُّ الله ورسوله . فقال: «أنتَ مع من أحببتَ يومَ القيامة»^(١) .

لهذا رُحنا نلتقط الجواهر المتناثرة ، والتي تدور في فلكِ المصطفى ﷺ ، وتبين أنه هو روح الوجود ، فإن وُفّقنا فذلك من فضل الله وكرمه ، وإلا فمن النفس الأمارة بالسوء ، لكن شفيعنا حبنا للحبيب صلوات الله عليه ، سائلين الله أن يجعله شفيعنا يوم الدين :

بجاء النبي المصطفى أتوسّلُ إلى الله فيما أبتغي وأؤملُ
وأقصدُ باب الهاشمي محمّدٍ وفي كلّ حاجاتي عليه أعوّلُ
إذا مسّني ضيمٌ أنوّه باسمه فيُدفعُ ذاك الضيمُ عني ويُقلُ

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

* * *

(١) متفق عليه ، واللفظ لمسلم: رقمه (١٦٤) .

السَّراج المنير ﷺ

عن عزيّاض بن سارية رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول ، فذكر الحديث وفيه قال: إن أم رسول الله رأت حين وضعتُه نوراً أضاءت منه قصور الشام^(١).

وعن أبي العجفاء عن النبي ﷺ قال: «رأت أُمِّي حين وضعتني سَطَعَ منها نورٌ أضاءت له قصور بصرى»^(٢).

أجل!

هذه شهادة إلهية بالرسول ﷺ ، حيث سجّل الله سبحانه اسم ووصف الرسول ﷺ في القرآن الكريم . ليبقى على ألسنة الخلق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، مصداق ذلك قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [٤٥] وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴿[الأحزاب: ٤٥ - ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾: شبه الحق سبحانه نبيه ﷺ بالسراج ، ولا تستقلّ هذا الوصف في حق رسول الله ، فليس معنى السراج أنه كالسراج الذي يُضيء لك الحجرة مثلاً ، إنما هو كالسراج الذي قال الله عنه: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبا: ١٣] والمراد الشمس .

فإذا قلت: فلماذا لم يُوصف النبي ﷺ بأنه شمسٌ وقد قال تعالى عنها: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾ [يونس: ٥] ، والشمس أوقى من السراج؟ قالوا: الكلام هنا كلام ربٍّ وأسلوب دقيقٌ معجز ، صحيحٌ أن الشمس تُنير

(١) المسند ، للإمام أحمد بن حنبل ، ١٨٤/٤ ، دلائل النبوة للبيهقي: ٨/٢ .

(٢) الطبقات الكبرى ، ابن سعد: ١٠٢/١ - ١٠٣ .

الدنيا كلها ، إنما أمة محمد ﷺ مكلفة أن تقوم بالدعوة من بعده . فكان رسول الله ﷺ سراج ، والسراج تأخذ منه النور دون أن ينقص نوره ، لكن لا تستطيع أن تأخذ من الشمس .

وحين سطعت أنوار الهداية على لسان الرسول ﷺ لم يُعَدْ للشرائع الأولى أن تتدخل على حدّ قول المادح :

كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبٌ^(١)
فسلام الله عليك يا طيب القلوب يا أحمد . فأنت دعوة أبيك إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٩] فما أجمل تلك الدعوة ، وما أجمل تلك الإجابة !

وَأَنْتَ يَا حَبِيبَ اللَّهِ بَشَارَةُ أَخِيكَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَمُبَشِّرًا رَسُولًا يُأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] .

تجلّى مولد الهادي وعمّت	بشائره البوادي والقصايب ^(٢)
وأشدّت للبريّة بنت وهب	يداً بيضاء طوّقت الرقابا
فقد وضعته وهّاجاً منيراً	كما تلد السموات الشهابا
فقام على سماء البيت نوراً	يضيء جبال مكة والنقابا
وفاحت يشرب الفيحاء مسكاً	وفاح القاع أرجاء وطابا

* * *

(١) تفسير الشعراوي : ١٢٠٧٨/١٩ .

(٢) القصايب : جمع مفردة قصبة وهي المدينة .

إنه النسمة المباركة ﷺ

قالت حليلة السعدية: خرجتُ مع زوجي في سنةٍ شهباء^(١) لم تُبق لنا شيئاً، قالت: فخرجتُ على أتانٍ لي قمراء^(٢)، معنا شارفٌ لنا^(٣)، والله ما تبضّر بقطرة^(٤)، وما ننام ليلنا أجمع من صبيتنا الذي معنا من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يُغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه ولكنّا كنّا نرجو الغيث والفرج، فخرجتُ على أتانٍ تلك، فلقد أدمتُ^(٥) بالركب حتى شقّ ذلك عليهم ضعفاً وعَجَفاً^(٦)، حتى قدمنا مكة نلتمسُ الرُضعاء، فما منا امرأةٌ إلا وقد عُرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، إذا قيل لها: إنه يتيمٌ، وذلك أنا إنّما كنّا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيمٌ!! وما عسى أن تصنع أمّه وجدّه؟ فكنا نكرهه لذلك.

فما بقيت امرأةٌ قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيري، فلما أجمعنا الانطلاق قلتُ لصاحبي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحيبي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلاخُذنه. قال: لا عليك أن تفعلني، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة، قالت: فذهبتُ إليه فأخذته، وما حملني على أخذه إلا أنني لم أجد غيره، قالت: فلما أخذته رجعتُ به إلى رَحلي، فلما وضعته في حجري، أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي،

(١) أي: سنة ذات قحطٍ وجذب.

(٢) القُمرة: شدة البياض.

(٣) أي: ناقة مُسنة.

(٤) أي: ما ترشح بقطرة من حليب.

(٥) أي: تأثيتُ فيه.

(٦) أي: هزالاً.

ثم ناما ، وما كُنَّا ننام معه قبل ذلك ، وقام زوجي إلى شارقنا تلك فإذا إنَّها لحافل^(١) ، فحلَّبَ منها ما شرب ، وشربْتُ معه حتى انتهينا رِيًّا وشبعاً ، فبتنا بخير ليلة .

قالت : يقول صاحبي حين أصبحنا : تعلمي والله يا حليلة ، لقد أخذتِ نسمةً مباركة ، قالت : فقلتُ : والله إنني لأرجو ذلك ، قالت : ثم خرجنا ، وركبتُ أتانِي ، وحملته عليها معي ، فوالله لقطعتُ بالركب ، ما يقدر عليها شيء من حُمْرهم ، حتى إن صواحي ليقلن لي : يا ابنة أبي ذؤيب ، ويحك !! ازبيعي^(٢) علينا ، أليست هذه أتانك التي كنتِ خرجتِ عليها ؟ فأقولُ لهنّ : بلى ، والله إنها لهي هي ، فيقلن : والله إن لها لساناً !

قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد ، وما أعلمُ أرضاً من أرض الله أجذب منها ، فكانت غنمي تروحُ عليّ حين قدمنا به معنا شباعاً لُبْنًا^(٣) فنحلَّبُ ونشربُ ، وما يحلَّبُ إنسانٌ قطرة لبن ، ولا يجدها في ضرع ، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرُعيانهم : ويلكم !! اسرحوا حيث يسرُّ راعي بنتِ أبي ذؤيب ، فتروح أغنامهم جِيعاً ما تبضُّ بقطرة لبن ، وتروح غنمي شباعاً لُبْنًا ، فلم نزل نتعرَّفُ من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه ، وفصلتُهُ ، وكان يَشِبُّ شباباً لا يشبُّه الغلمان ، فلم يبلغ سنته حتى كان غلاماً جفراً^{(٤)(٥)} .

نعم يا منقذ الأيتام يا محمد:

ولد اليتيم لينقذ الأيتام من	بؤس الحياة إذا رمى الحَدَثَانُ
ولد الفقير لينقذ الفقراء من	ظلم الغني فيوَادِ الحرمانُ
ولد المنشأ نشأةً أمية	فسمما بنور كتابه العرفانُ

(١) الضرع الحافل : الممتلئ لبناً .

(٢) أي : ارفقي واقتصري .

(٣) يُقال : ألَبَتِ الناقة ، إذا نزل لبنها في ضرعها .

(٤) استجفر الصبي : قوي على الأكل .

(٥) تاريخ الطبري : ١٥٨ / ٢ ، سيرة ابن هشام : ١٧٣ / ١ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٢٧٥ / ٢ .

وتعلّم الحكماء من نفحاته شتى المعارف وارتوى الظمآن
ولد المؤسس للعباد حضارة سجدت لها ما أسّس الرومان
وبنى على الأخلاق أعظم دولة قانونها وعمادها القرآن

* * *

سَيِّدُ الْوَفَاءِ مُحَمَّدٌ ﷺ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنهما ، دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال : «رحمك الله يا أمي ، كنت أمي بعد أمي ، تجوعين وتُشبعيني ، وتعريّن وتكسيني ، وتمنعين نفسك طيباً وتطعميني ، تُريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة» ثم أمر أن تُغسَل ثلاثاً ، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافورُ سكبهُ رسول الله ﷺ بيده ، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إِيَّاه ، وكفَّنها ببردٍ فوقه ، ثم دعا أسامة بن زيد ، وأبا أيوب الأنصاري ، وعمر بن الخطاب ، وغلاماً أسود يحفرون فحفروا قبرها ، فلما بلغوا اللَّحد ، حفره رسول الله ﷺ بيده ، وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل فاضطجع فيه ، وقال : «الله الذي يُحيي ويميت ، وهو حيٌّ لا يموت ، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ولقَّنها حُجَّتَها ، ووسَّع عليها مُدخلها بحقَّ نبيِّك والأنبياء الذين من قبلي ، فإنك أرحم الراحمين» .

وكبَّر عليها أربعاً ، وأدخلوها اللَّحد هو والعباس وأبو بكر الصديق ، رضي الله عنهم^(١) .

إذن:

فماذا نقول عنك يا من أرسلك الله سبحانه لتتمم مكارم الأخلاق؟
إن مثلنا ومثلك يا حبيب الله ، كمثل أعرابي ضلَّ الطريق في الصحراء ، فلما طلع عليه القمر اهتدى بنوره .
فقال : ماذا أقول لك أيُّها القمر؟

(١) مجمع الزوائد للهيتمي : ٢٥٦/٩ .

أَقُولُ : رفعك الله ؟ لقد رفعك .

أَقُولُ : نورك الله ؟ لقد نورك .

أَقُولُ : جملك الله ؟ لقد جملك .

ونحن ماذا نقول لك يا رسول الله ؟

أَنقول : رفعك الله ؟ لقد رفعك : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الانشراح : ٤] .

أَنقول : نورك الله ؟ لقد نورك : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ

مُبِينٌ ﴾ [المائدة : ١٥] .

أَنقول : جملك الله ؟ لقد جملك : ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝

وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٥ - ٤٦] .

أجل !

لقد وصفك الله سبحانه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

وهذا هو السر الذي جعل من عبّاد الأصنام والأحجار قادة للبشر ، ففتح الله عليهم الدنيا ، ورفعوا لواء النور والهدى ، وأقاموا دولة العدل والتقوى .

وهذا هو الهدف ، حيث ارتفعت النفس المسلمة من مدارج النّمال في مَدَابِئِهَا ، إلى مسابح الأفلاك في أبراجها .

فما أجمل خلقك يا رسول الله ، وما أعظم إنسانيتك ، وما أروع تعاملك

مع الناس :

وُلِدْتَ بمولدك المكارم والتّدى	والحلم عند الغيظ والإحسانُ
والرفق والصفح الجميل عن الأذى	والعزّة الشّماء والغفرانُ
فأقمتَ للخلق الكريم منارة	وسما بعذب حديثك التّبيانُ
فصل الخطاب لقد ملكتَ زمامه	ونثرت ما لم يستطعه لسانُ
وأيتت بالتوحيد حرفاً خالصاً	لله لم يشرك به إنسانُ

* * *

رأت غمامة تظله!!

روى ابن سعد عن محمد بن عمر عن أصحابه ، فذكر الخبر وفيه حادث شقّ صدره ﷺ لما بلغ أربع سنين ، ثم قال : فنزلت به أمنة بنت وهب وأخبرتها خبره ، وقالت : إنا لا نردّه إلّا على جدّع أنفنا ، ثم رجعت به أيضاً فكان عندها سنة أو نحوها لا تدعّه يذهب مكاناً بعيداً ، ثم رأت غمامة تظله ، إذا وقف وقفت ، وإذا سار سارت ، فأفزعها ذلك أيضاً من أمره ، فقدمت به إلى أمّه لتردّه وهو ابن خمس سنين ، فأصلّها في الناس فالتمسته فلم تجده ، فأنت عبد المطلب فأخبرته ، فالتمسهُ عبد المطلب فلم يجده ، فقام عند الكعبة فقال :

لا هُمَّ أدُّ راكبي محمداً أدّه إليّ واصطنع عندي يدا
أنت الذي جعلته لي عضداً لا يُعيد الدهرُ به فيعبدا
أنت الذي سمّيته محمداً^(١)

أجل!

كيف لا تخافين يا حليلة السعدية على ذلكم الطفل ، وهو الذي سيكون له شأن عظيم؟ .

وكيف لا تظنّين أن الغمامة تظله وهو الذي سيكون سيد الأنبياء والمرسلين؟ . .

وكيف لا يبحث عنه جدّه عبد المطلب ، وهو الذي كان يتوقّع أنه سيكون من الذين يُشار إليهم بالبنان .

(١) الطبقات الكبرى ، ابن سعد : ١١٢/١ .

وكيف لا ينغم عبد المطلب ويصاب بالهم وهو يبحث عنه صلوات الله عليه؟

وكيف . . وكيف ، وهو الرسول ﷺ الذي من أجله أخذ الله سبحانه العهد على كل من سبقه من الأنبياء والرسل أن يتبعوه ويسيروا على منهجه إن هم أدركوه؟

نعم ، لقد كان ذلك في مشهد رباني رائع : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران : ٨١ - ٨٢] .

سيدي يا رسول الله :

هذا النبي الهاشمي محمد
هذا الذي ردّ العيون بكفه
هذا الذي شرف الوجود بهديه
هذا الغمامة ظلّته إذا مشى
صلى عليك الله يا علم الهدى
هذا لكل العالمين رسول
لما بدت فوق الخدود تسيل
منهجه للسالكين سبيل
كانت تقيه إذا الحبيب يقيل
ما لاح برق في السماء دليل
وأما نحن الذين كتب لنا أن نعيش في عصر الفتن ، فلا حلّ لمشاكلنا إلا بالرجوع إلى اتباع القرآن الكريم وما ورد في سنة سيّد الأنام عليه الصلاة والسلام ، مصداق ذلك قول النبي ﷺ : «تركتم فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما : كتاب الله ، وسنة رسوله»^(١) سيدي يا حبيب الحق يا أحمد :

الحق أنت وأنت إشراق الهدى
من يقصد الدنيا بغيرك يلقها
لما أراد الله جل جلاله
أهداك ربك للورى يا سيدي
ولك الكتاب الخالد الصفحات
تيهاً من الأهوال والظلمات
أن يخرج الدنيا من العثرات
فيضاً من الخيرات والنفحات

(١) الموطأ ، الإمام مالك : ٨٩٩/٢ .

إِنَّكَ لَمُبَارَكٌ يَا مُحَمَّدٌ ﷺ

عن محمد بن عمر الشاميّ ، عن أشياخه قالوا: كان رسول الله ﷺ في حجر أبي طالب ، وكان أبو طالب قليل المال ، كانت له قطعة من إبل فكان يُؤتي بلبنها ، فإذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا ، وإذا أكل معهم النبي ﷺ شبعوا ، فكان إذا أراد أن يُطعمهم قال: ازْبَعُوا^(١) حتى يحضر ابني ، فيحضر فيأكل معهم فيفضل من طعامهم ، وإن كان لبن شرب أولهم ثم يناولهم فيشربون فيروؤن من آخرهم ، فيقول أبو طالب: إِنَّكَ لَمُبَارَكٌ!

وكان يصبح الصبيان شعثاً رُمصاً ، ويصبح النبي ﷺ مدهوناً مكحولاً!!
قالت أم أيمن: ما رأيت النبي ﷺ شكا - صغيراً ولا كبيراً - جوعاً ولا عطشاً ، كان يغدو فيشرب من زمزم فأعرض عليه الغذاء ، فيقول: لا أريده ، أنا شبعان^(٢).

أجل!

فمن الطبيعي أن يكون ذاك الغلام الذي سيُصبح خاتم الأنبياء عليهم الصلوات والتسليم ، أن يكون مباركاً ، وأن يكون له حالات خاصة .

وكيف لا؟ والله تعالى قد أعلم الناس أنه سيعث فيهم الصادق المصدق ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وكيف لا يكون كذلك؟ وقد جعله الله سبحانه من أشرف العالمين ، ووصفه بأوصاف حميدة ، وأثنى

(١) أي: ارفقوا واقتصروا.

(٢) عيون الأثر ، ابن سيّد الناس: ٤١/١ ، طبقات ابن سعد: ١٦٨/١.

عليه بالمحامد الكثيرة ، إلى درجة أن الله أكرمه بأن اشتق له اسمين من أسمائه فقال تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ .

وكيف لا يكون كذلك؟ والله سبحانه قد رفع له ذكره ، في الدنيا والآخرة ، بحيث ليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

نعم ، لقد قرن الله اسم حبيبه محمد ﷺ باسمه: في الأذان ، وفي الصلاة ، وفي الحج ، وعند الميلاد ، وعند وداع الميت ، وعند . . . وعند . . .

وضم إليه اسم النبي إلى اسمه إذ قال في الخمس المؤذن أشهد وشق له من اسمه ليُجَلَّه فذو العرش محمود وهذا محمد

وكيف لا يكون الحبيب محمد ﷺ بركة الوجود؟ وقد وصفه الله سبحانه في القرآن بالنور ، فقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦] .

وكيف لا يكون الرسول ﷺ القدوة الصالحة؟ والله سبحانه قد أغلق الدوائر كلها ، ولم يبق إلا دائرة قدوة واحدة محورها المعصوم صلوات الله عليه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] .

يا سيّد السّادات يا من قدره	لا تستطيع له الورى إدراكا
ماذا يقول الناس فيك وربهم	بأتم تربية له ربّاك
حلاك بالخلق العظيم ، وفضله	الفضل العظيم عليك ما أعلاك
أواك من يُثم وأعطاك الغنى	ولدينه الدين القويم هداك
شكراً لك اللهم أنت كفلتك	نعم الكفيل تقدّست أسماك

* * *

فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا^ط

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أبو طالب يعالج زمزم ، وكان النبي ﷺ ممن ينقل الحجارة ، وهو يومئذ غلام ، فأخذ إزاره فتعرى واتقى به الحجر فغشي عليه ، فقبل لأبي طالب: أدرك ابنك فقد غشي عليه ، فلما أفاق النبي ﷺ من غشيته سأله أبو طالب عن غشيته ، فقال: «أتاني آتٍ عليه ثياب بيض ، فقال لي: استتر» ، فقال ابن عباس: فكان ذلك أول ما رآه النبي ﷺ من النبوة؛ أن قيل له: استتر ، فما رؤيت عورته من يومئذ^(١).

... وعن عروة قال: حدثني جابر لخديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، أنه سمع النبي ﷺ وهو يقول لخديجة: «أي خديجة ، والله لا أعبدُ اللات والعزى ، والله لا أعبدُ أبداً».

قال: فتقول خديجة: خلّ اللات ، خلّ العزى ، قال: كانت صنمهم التي كانوا يعبدون ثم يضطجعون^(٢).

أجل يا رسول الله!

لقد حفظك الله ورعاك منذ الصغر ، وأبعدك عن أقدار الجاهلية ، ورعاك على عينه ، ورباك تربية لا مثيل لها ، لتكون أفضل المخلوقات مروءة ، وأحسنهم خلقاً ، وأصدقهم حديثاً ، وأحسنهم جواراً ، لذلك أطلقوا عليك: الصادق الأمين:

وأفضل الخلق على الإطلاق نبينا ، فمِلْ عن الشقاقِ

(١) المستدرک ، الحاكم: ٢٤٥/٤.

(٢) المسند ، الإمام أحمد: ٣٦٢/٥.

والأنبياء يلونه في الفضل وبعدهم ملائكة ذي الفضل

وبالتالي ، تكررت الروايات التي تدور حول كلاءة الله سبحانه للحبيب ﷺ ، من ذلك ما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « ما هممتُ بما كان أهل الجاهلية يهتمون به إلا مرتين من الدهر ، كلاهما يعصمني الله تعالى منهما ، قلتُ ليلةً لفتى كان معي من قريش ، في أعلى مكة في أغنام لأهلها ترعى : أبصر لي غنمي حتى أَسْمُرَ هذه الليلة بمكة كما تَسْمُرُ الفتيان ، قال : نعم ، فخرجتُ فلما جئتُ أدنى دارٍ من دور مكة سمعتُ غنا وصوت دُفوفٍ وزمر ، فقلتُ : ما هذا؟ قالوا : فلان تزوج فلانة لرجلٍ من قريش تزوج امرأة ، فلهوتُ بذلك الغنا والصوت حتى غلبتني عيني ، فنمتُ فما أيقظني إلا مسُّ الشمس ، فرجعتُ فسمعتُ مثل ذلك ، فقليل لي مثل ما قيل لي ، فلهوتُ بما سمعتُ وغلبتني عيني فما أيقظني إلا مسُّ الشمس ، ثم رجعتُ إلى صاحبي ، فقال : ما فعلتُ؟ فقلتُ : ما فعلتُ شيئاً ، قال رسول الله ﷺ : « فوالله ما هممتُ بعدها أبداً بسوء مما يعملُ أهل الجاهلية حتى أكرمني الله تعالى بنبوته »^(١) .

كل هذا تفسير واضح لقوله تعالى في معرض خطابه للنبي ﷺ ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۖ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْوُجُوهِ ۖ ﴾ .

[الطور : ٤٨ - ٤٩] .

أي : واصبر أيها النبي على أذى قومك ، ولا تُبالِ بهم ، فإنك بمزأى ومنظر منا ، وفي حفظنا وحمايتنا وتحت كلاءتنا ، والله يعصمك من الناس ، لذلك نَرَهُ ربك عما لا يليق به ، مع الحمد والثناء له سبحانه في كل وقت وحين ، فسلام الله عليك يا أيها المعصوم يا رسول الله :

القول فيك معطر الكلمات يا صاحب الأخلاق والآيات
أيام مولدك الكريم مضيئة في كل ماضٍ في الزمان وآتٍ

(١) عيون الأثر ، ابن سيد الناس : ٤٤ / ١ ، المستدرک : ٢٤٥ / ٤ .

يوم أتى بك في الوجود فإنه
تتعاقب الأيام في دورانها
وضياك يسطع كل يوم نوره
تاج الزمان وغرّة السنوات
وتردّ كل جديده لمواتٍ
ويزيد في الإشراق والنفحاتِ

* * *

هذا الأمين هذا محمد ﷺ

تعرّضت الكعبة لعدة عوامل جوية ، مما جعل جدرانها تتصدّع ، فاجتمع
وُجُهاء مكة وتشاوروا فيما بينهم ، واتفقوا على هدمها وإعادة بنائها .

ووقف الوليد بن المغيرة وقال : أنا أبدؤكم في هدمها ، ثم أخذ المعول
ورفع ببصره نحو السماء ، ثم قال : اللهم ، إنا لا نريد إلا الخير .

ولما انتهوا من هدمها ، جمعوا الحجارة والمال من أجل إعادة البناء ،
واتفقوا على أن لا يُدخلوا في بنائها من كسبهم إلا طيباً ، لا يُدخلوا فيها مهر
بغيٍّ ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحدٍ من الناس ! وحدث خلاف كبير بين القبائل
حول من يتولّى شرف حمل الحجر الأسود ، لكن الحلّ كان عن طريق روح
الوجود محمد ﷺ .

قال ابن إسحاق : ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ، كل
قبيلة تجمع على حدة ، ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن - أي : مكان
الحجر الأسود - ، فاختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون
الأخرى ، حتى تحاوروا ، وتحالفوا ، وأعدّوا للقتال ، فقرّبت بنو عبد الدار
جفنة مملوءة دماً ، ثم تعاقدوا هم وبنو عديّ بن كعب بن لؤي على الموت ،
وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة ، فسُمّوا لَعَقَةَ الدَّم ، فمكثت
قريش على ذلك أربع ليالٍ أو خمساً ، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد ،
وتشاوروا ، وتناصفوا ، فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أميمة بن المغيرة بن
عبد الله بن عمر بن أبي مخزوم ، وكان عامئذٍ أسنَّ قريش كلّها ، قال : يا معشر

قريش ، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه ، ففعلوا .

فكان أول داخل رسول الله ﷺ ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد .

فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر ، فقال ﷺ: «هلم إلي ثوباً» فأتي به ، فأخذ الركن ، فوضعه فيه بيده ، ثم قال: «لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعه جميعاً» .

ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه ، وكانت قريش تسمي رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي: الأمين^(١) .

أجل!

فالصادق الأمين قبل البعثة - هكذا وصفه المشركون - ، فكيف بعد أن أنزل الله تعالى عليه القرآن الكريم؟ أوليس جديراً بعقولهم أن تفكر بذلك؟!!

والسؤال الملح هنا: ماذا تأثر الرسول ﷺ بصدّهم وتكذيبهم؟ إنه لن يضره أن تنبح عليه هذه الأصوات ، لأن القافلة ستظل سائرة مهما كانت الذئاب تعوي:

ما ضرَّ شمسَ الضحى في الأفق ساطعة أن لا يرى نورها من ليس ذا بصيرٍ
فلو وقفوا في صف واحد ، وحاولوا أن يحجبوا نور النبي ﷺ ، لعادوا
بخفي حنين:

وما ضرَّ الورود وما عليها إذا المزكوم لم يطعم شذاها
وكما فعلوا قديماً ، يحاول الحاقدون الحاسدون أن يشوشوا على سنة
وسيرة حبيب القلب أحمد ﷺ ، ولكن أتى لهم ذلك؟! .

ما يضرّ البحر أمسى زائراً أن رمى فيه غلام بحجر

(١) سيرة ابن هشام: ٢١٣/١ ، تاريخ الطبري: ٢٨٩/٢ .

فحاشا يا رسول الله أن تكون إلا الصادق الأمين ، والسراج المنير ،
والهادي إلى الطريق القويم ، فليَهْرِفِ الأعداء بما لا يعرفون ، وليحاولوا أن
يطاولوا السماء ، وليمدّوا إلى السماء يدّاً شلّاء ، وليمضغوا الهواء ، وليفتلوا
من الرمال حبلاً... فأنت يا سيدي يا رسول الله الرحمة المهداة للعالمين ،
فصلوات الله عليك في كل وقت وحين .

* * *

أنت عبدي ورسولي

كل الكتب السابقة بشرت بالمصطفى ﷺ ، وكذلك الأنبياء والمرسلون عليهم السلام ، مثال ذلك ما رواه عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة ، قال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : يا أيها النبي ، إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحزراً^(١) للأمينين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب^(٢) في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يُقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، ويفتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غُلْفاً^(٣) .

ومثال آخر عما ورد من صفاته ﷺ في الإنجيل :

عن سهل مولى عتبة أنه كان نصرانياً من أهل قريش ، وأنه كان يتيماً في حجر أمه وعمه ، وأنه كان يقرأ الإنجيل ، قال : فأخذت مصحفاً لعلمي فقرأته حتى مرّت بي ورقة ، فأنكرت كتابتها حين مرّت بي ومسستها بيدي ، قال : فنظرت فإذا فصول^(٤) الورقة ملصقٌ بغراء . قال : ففتقتها ، فوجدت فيها نعت محمد ﷺ : أنه لا قصير ولا طويل ، أبيض ، ذو ضفيرتين ، بين كتفيه خاتم ، يكثر الاحتباء ، ولا يقبل الصدقة ، ويركب الحمار والبعير ، ويحتلب الشاة ،

(١) أي : المكان المنيع يلجأ إليه .

(٢) السخب والصخب بمعنى الصياح .

(٣) صحيح البخاري : ١٦٩/٦ ، المسند للإمام أحمد : ١٧٤/٢ .

(٤) أي : أجزاء .

ويلبس قميصاً مرقوعاً ، ومن فعل ذلك فقد برئ من الكبر ، وهو يفعل ذلك ، وهو من ذرية إسماعيل ، اسمه أحمد ، قال سهل : فلما انتهيتُ إلى هذا من ذكر محمد ﷺ جاء عمي ، فلما رأى الورقة ضربني ، وقال : مالك وَفَتَحَ هذه الورقة وقرأتها؟

فقلتُ : فيها نعتُ النبي ﷺ أحمد ، فقال : إنه لم يأتِ بعد ^(١) .

نعم يا أبا القاسم يا رسول الله:

لقد كنت - وما تزال - روح الوجود كله ، ولذلك أخذ الله سبحانه الموائيق والعهود على من سبقك من الأنبياء والمرسلين ، فقال عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحَكَمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

[آل عمران : ٨١ - ٨٢] .

ولم يدانوه في علم ولا كرم غزفاً من البحر أو رشفاً من الدَّيْمِ من نقطة العلم أو من شكلة الحكم ثم اصطفاه حبيباً بارئ النِّسَمِ فجواهر الحُسن فيه غير مُنْقَسِمِ واحكم بما شئتَ مدحاً فيه واحتكم وانسُبْ إلى قدره ما شئتَ من عَظَمِ حدٌ فيُعرب عنه ناطقٌ بفم	فاق النبيين في خلقٍ وفي خُلُقٍ وكلهم من رسول الله ملتمسٌ وواقفون لديه عند حدِّهم فهو الذي تمَّ معناه وصورته منزَّة عن شريك في محاسنه دع ما ادَّعته النصارى في نبيهم وانسُبْ إلى ذاته ما شئتَ من شرفٍ فإن فضل رسول الله ليس له
---	--

* * *

(١) طبقات ابن سعد : ١/ ١٠٤ .

لقد آمن قس بالبعث

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قدم وفد إياسٍ على رسول الله ﷺ ، فسألهم عن قس بن ساعدة الإيادي ، فقالوا: هلك يارسول الله ، فقال صلوات الله عليه: «لقد شهدته في الموسم بعكاظ وهو على جمل له أحمر - أو على ناقة حمراء - وهو ينادي في الناس: أيها الناس ، اجتمعوا واستمعوا وعُوا ، واتعظوا تنتفعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آتٍ آتٌ ، أما بعد ، فإن في السماء لخبراً ، وإن في الأرض لغيراً ، نجومٌ تغور ، ولا تغور ، وبحارٌ تغور ، ولا تغور ، وسقفٌ مرفوع ، ومهادٌ موضوع ، وأنهارٌ منبوع ، أقسم قسٌ قسماً بالله لا كذباً ولا إثماً ، ليتبعن الأمر سخطاً ، ولئن كان في بغضه رضاً ، إن في بغضه سخطاً ، وما هذا باللعب ، وإن من وراء هذا للعجب ، أقسم قسٌ قسماً بالله لا كذباً ولا إثماً ، إن لله ديناً هو أرضى له من دينٍ نحن عليه ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا فأقاموا؟ أم تركوا فناموا؟».

قال رسول الله ﷺ: «ثم أنشد قس بن ساعدة أبياتاً من الشعر لم أحفظها عنه» ، فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال: أنا حضرت ذلك المقام ، وحفظت تلك المقالة ، فقال له رسول الله ﷺ: «ما هي؟» ، فقال أبو بكر: قال قس بن ساعدة في آخر كلامه:

في الذاهيين الأولين	من القرون لنا بصائر
لما رأيتُ مواردًا للمو	ت ليس لها مصادر
ورأيتُ قومي نحوها	يمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي إلي	ولا من الباقي غابر

أَيَقْنَتُ أَنِّي لَا مَحَا لَةَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرَ
ثم أقبل رسول الله ﷺ على وفد إِيَادَ ، فقال : « هل وُجِدَ لِقَسِ بْنِ سَاعِدَةَ
وَصِيَّةٌ ؟ » فقالوا : نَعَمْ وَجَدْنَا لَهُ صَحِيفَةً تَحْتَ رَأْسِهِ مَكْتُوبٌ فِيهَا :

يَا نَاعِي الْمَوْتِ وَالْأَمْوَاتِ فِي جَدَثٍ عَلَيْهِمْ مِنْ بَقَايَا ثَوْبِهِمْ خَرَقُ
دَعِهِمْ فَإِنْ لَهُمْ يَوْمًا يُصَاحُ بِهِمْ كَمَا يُتَّبَعُ مِنْ نَوْمَاتِهِ الصَّعَقُ
مِنْهُمْ عَرَاءٌ وَمَوْتَى فِي ثِيَابِهِمْ مِنْهَا الْجَدِيدُ وَمِنْهَا الْأَوْرَقُ ^(١) الْخَلْقُ ^(٢)

أَجَلُ !

لَقَدْ ذَكَرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الْحَدِيثَ عَنِ الْحَنْفَاءِ ، وَالَّذِينَ كَانُوا عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَقَالُوا اكْفُونَا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة : ١٣٥] وهؤلاء القلة كانوا يعتقدون بوجود
إِلَهٍ وَاحِدٍ أَحَدٍ ، وبالطواف بالبيت الحرام ، وبالوقوف على عرفة ، والابتعاد
عَنِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ ، وَأَكَلَ الْمَيْتَةِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ ، وَمَا إِلَى هُنَالِكَ .

كُلُّ هَذَا جَعَلَ الرَّسُولَ ﷺ يَسْتَفْسِرُ عَنْ أَحْوَالِ الْحَنْفَاءِ ، وَيَذَكِّرُ أَنَّ وَاحِدًا
مِنْهُمْ هُوَ قَسِ بْنُ سَاعِدَةَ قَدْ خَطَبَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي السُّوقِ ، وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ
يَسْتَمِعُ مَعَ الْمُسْتَمْعِينَ ، ثُمَّ تَذَكَّرَ خُطْبَتَهُ الرَّائِعَةَ ، وَلِذَلِكَ أَثْنَى عَلَيْهِ كَثِيرًا ،
واعتبره - حسب روايته للشعر - واحداً من المقتنعين بالبعث .

وَاهْتِمَامُهُ فِيهِ بِأَقْوَالِهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ رُوحُ الْوُجُودِ ﷺ :

إِلَيْكَ وَإِلَّا لَا تَشَدُّ الرِّكَائِبُ وَمِنْكَ وَإِلَّا فَالْمُؤَمِّلُ خَائِبُ
وَفِيكَ وَإِلَّا فَالْغَرَامُ مُضَيِّعُ وَعَنْكَ وَإِلَّا فَالْمُحَدَّثُ كَاذِبُ

* * *

(١) أَي : الْأَسْمَرُ .

(٢) عِيُونُ الْأَثَرِ : ٦٨/١ ، دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ لِلْبَيْهَقِيِّ : ١٠٢/٢ .

حتى الحجر والشجر!!

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الملك بن عبيد الله ، وكان واعيةً - أي : حافظاً - عن بعض أهل العلم ، أن رسول الله ﷺ حين أراد الله بكرامته ، وابتدأه بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسّر عنه^(١) البيوت ، ويقضي إلى شعاب مكة وبطون أوديتها ، فلا يمرّ رسول الله ﷺ بحجر ولا شجر إلا قال: السّلام عليك يا رسول الله ، قال: فيلتفت رسول الله ﷺ حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة ، فمكث كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله وهو بحراء في شهر رمضان^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ قال لخديجة: «إني أرى ضوءاً وأسمع صوتاً ، وإني أخشى أن يكون بي جنٌّ» .

قالت: لم يكن الله ليفعل ذلك بك يا ابن عبد الله ، ثم أتت ورقة بن نوفل ، فذكرت ذلك له ، فقال: إن يك صادقاً ، فإن هذا ناموسٌ مثلُ ناموس موسى ، فإن بُعث وأنا حيٌّ فسأعزّزه وأنصره وأومن به^(٣).

إذن:

الرسول ﷺ روح الوجود ، لذلك فالإنسان والحيوان والجماد وكل شيء إلا الكافر المعاند ، له علاقة وطيدة به صلوات الله عليه ، يحبّه . . يتشفع به . . يتمنّى لو يراه . .

(١) أي: تبعه.

(٢) سيرة ابن هشام: ٢٥٢/١.

(٣) المسند: ٣١٢/١ ، طبقات ابن سعد: ١٩٥/١.

والأدلة على ذلك كثيرة ، وقد ذهب بعض كتّاب السّير والتراجم إلى إفراد كتب في ذلك ، إضافة إلى كتب الأحاديث النبوية وغيرها ، مثال ذلك قصة الأعرابي الذي جاء إلى مجلس النبي ﷺ وقد وضع في كمّه ضبّاً ، فلما عرض عليه الإسلام ، قال: واللّات والعزى لا آمنُ بك حتّى يؤمن بك هذا الضبّ ، فنطق الضب: آمنت برسول رب العالمين وخاتم النبيين ، وقد أفلح من صدّقك ، وقد خاب من كذبك^(١) . .

اسمع يا صاح فذا شعُرْ	قد فاق الدرّ لمن يفهم
أنشئ أبياتاً لمن يفهم	في مجلس ياسين تكلّم
يا رب صلّ على الهادي	واغفر ما أنت به أعلم
واسمح يا رب بغفرانٍ	بالهادي ذي القدر الأعظم
للهادي معجزةً عليا	فاصغ لحديثي وترنّم
أعرابيّ جاء الهادي	معه ضبٌّ لا يتكلّم
ورسول الله مع الأصحا	ب له نورٌ عالٍ أفخم
دخل الأعرابي وقال له:	هل أنت رسول الله؟ قال: نعم
قال الأعرابي: ومن يشهد؟	قال: فاختر من ترضاه ليحكم
رضي المختار وقال: أتشهد	لي يا ضبٌّ؟ فقال: نعم
أرسلك الله لكل الخلق	بشيراً بالدين الأقوم
فتعجب منه الأعرابي	وتذلّل للهادي وأسلم
هذا المبعوث لنا حقاً	ورسالتـه فينا مغنم
آمنتُ به وبيعته	وبأن الله له كلّم
أشهدكم أني خادمُه	والروح فداه إن سلّم

* * *

(١) يراجع: البداية والنهاية لابن كثير: ١٧١/٦ ، الجامع للسيوطي: ١١٢٤/١ ، دلائل النبوة: ٣٧/٦ ، وغيرها .

فَصَبْرٌ جَمِيلٌ

قال ابن إسحاق: فذكر لي أن أم جميل - حمالة الحطب - حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن ، أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ، ومعه أبو بكر الصديق ، وفي يدها فهرٌ - الحَجَر ملء الكف - من حجارة ، فلما وقفت عليهم ، أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر . فقالت: يا أبا بكر أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجوني ، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ، أما والله إني لشاعرة ، ثم قالت:

مَذْمُومًا عَصَيْنَا وَأَمْرُهُ أَتَيْنَا
وَدِينَهُ قَلَيْنَا

ثم انصرفت ، فقال أبو بكر: يا رسول الله ، أما تراها رأتك؟ فقال: «ما رأنتي ، لقد أخذ الله ببصرها عني» .

قال ابن إسحاق: وكانت قريش إنما تُسمي رسول الله ﷺ مذمماً ، ثم يسبونه ، فكان رسول الله ﷺ يقول: «ألا تعجبون لما صرَفَ الله عني من أذى قريش ، يُسَبُّون ويهجون مذمماً وأنا محمد»^(١) .

سلام الله عليك يا رسول الله:

فلولا أنك روح الوجود ، لفعلت كما فعل كثير من الأنبياء السابقين ، مثال ذلك شيخ الأنبياء نوح عليه السلام ، فبعد أن دعا قومه قرابة ألف عام ، وبعد أن استخدم معهم عدداً كبيراً من أساليب الدعوة إلى الله ، حيث دعاهم سراً وعلانية ، ورغبهم ورهبهم ، وقدم لهم الحجج والبراهين ، ومع ذلك ما آمن معه إلا نَفَرٌ قليل لا يتجاوزون الثمانين!! .

(١) سيرة ابن هشام: ٣٧٨/١ .

عندئذٍ توجه نوح عليه السلام إلى رافع السماء بلا عمد وقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَبْضُلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلْدُوا إِلَّا فَاكِراً كَفَّارًا ﴿

[نوح: ٢٦ - ٢٧].

والفرق هنا: أن نوحاً وأمثاله من الأنبياء جاؤوا ضمن مساحات معينة للدعوة ، فكل نبي جاء إلى قومه خاصة ، بينما المصطفى ﷺ جاء للناس قاطبة ، فهو روح الوجود كله ، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

[الأنبياء: ١٠٧].

مثل آخر: نبي الله موسى عليه السلام ، بعد أن دعا الطاغية فرعون ومن معه ، وما كان منهم إلا التكذيب والاستهزاء ، ثم حشدوا الحشود لقتال كليم الله موسى - عليه السلام - ومن معه ، عندئذٍ دعا الله قائلاً: ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

أما روح الوجود محمد ﷺ ، فكان الخطاب المكرر إليه: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥].

لما أراد الله جلّ جلاله	أن ينقذ الدنيا من العثرات
أهداك ربك للورى يا سيدي	فيضاً من الأنوار والرحمات
يا صاحب الخلق الكبير عرفته	وبسطته في حكمية وأناسة
وطلعت في الليل البهيم مؤذناً	بالحق والأنوار والصلوات
ودعوت للخيرات قوماً ضلّوا	ما كان أبعدهم عن الخيرات
ودعوت حتى كنت أصبر من دعا	وأقمت بين إساءة وأذاة
فصبرت ثم رحلت ثم ضربت في	أعناقهم في عزّة وثبات
فحظيت بالنصر المين مؤزراً	وأقمت حقك خافق الرايات
وضربته مثلاً لكل مكابر	لا يستوي حقّ بغير حماة

* * *

«هل لك أن تصارعني؟»

عن رُكَّانة بن عبد يزيد ، وكان من أشدَّ الناس ، قال : كنتُ أنا والنبي ﷺ في غُنيمةٍ لأبي طالب نرعاها في أول ما رأى ، إذ قال لي ذات يوم : «هل لك أن تصارعني؟» قلتُ له : أنت؟ قال : «أنا!» ، فقلتُ : على ماذا؟ قال : «على شاةٍ من الغنم» فصارعتهُ فصرعني فأخذ مِنِّي شاةً ، ثم قال : «هل لك في الثانية؟» قلتُ : نعم ! فصارعتهُ ، فصرعني ، وأخذ مِنِّي شاةً ، فجعلتُ ألتفتُ هل يراني إنسانٌ ، فقال : «ما لك؟» قلتُ : لا يراني بعض الرعاة فيجتروون عليَّ وأنا في قومي من أشدَّهم .

قال : «هل لك في الصراع الثالثة؟ ولك شاة» قلتُ : نعم ! فصارعتهُ ، فصرعني فأخذ شاةً ، فقعدتُ كئيباً حزيناً ، فقال : «ما لك؟» قلتُ : إني أرجع إلى عبد يزيد وقد أعطيتُ ثلاثاً من غنمه ، والثانية أني كنتُ أظنُّ أني أشدُّ قريش .

فقال : «هل لك في الرابعة؟» فقلتُ : لا بعدَ ثلاث ، فقال صلوات الله عليه : «أما قولك في الغنم فإني أردُّها عليك» فردَّها عليَّ فلم يلبث أن ظهر أمره ، فأتيتهُ فأسلمتُ ، وكان مما هداني الله عز وجل ، أني علمتُ أنه لم يصرعني يومئذٍ بقوته ، ولم يصرعني يومئذٍ إلا بقوة غيره^(١) .

سيدي يا أبا الزهراء ،

ماذا نقول عنك ، وقد زكَّى الله عقلك ، فقال : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾

[النجم : ٢] .

(١) دلائل النبوة ، البيهقي : ٢٥١/٦ .

وزكى لسانك ، فقال سبحانه : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [النجم : ٣] .

وزكى شرعك ، فقال عز وجل : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٤] .

وزكى أمين وحيك ، فقال تعالى : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ [النجم : ٥] .

وزكى ربنا فؤادك ، فقال سبحانه : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ [النجم : ١١] .

وزكى أهل بيتك ، فقال عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

وزكى رسالتك ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .

[الأنبياء : ١٠٧] .

وزكأك كلك يا رسول الله ، فقال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

[القلم : ٣] .

نعم يا رسول الله لم تكن جباراً ولا ملكاً ولا . . . ، إنما كنت قمة في الأخلاق الفاضلة ، تستوعب الأخطار ، وترشد الحيارى ، وتأخذ بيد الشاردين ، فسلام الله عليك في كل وقتٍ وحين :

إلهي أنت أعلم ما بصدري وقد خفت موازيني بوزري
شفيعي المصطفى في كل أمر أبا الزهراء قد جاوزت قدري
بمدحك بيد أن لي انتساباً

نبي الله في رؤيا عيان على الأيتام يعطف في حنان
ويسجد للمهيمن في أمان فما عرف البلاغة ذو بيان

إذا لم يتخذك له كتابا

لداجي ليلنا أصبحت بدرا يضيء الخافقين يثير فكراً
وأصبحت الخطيئة تلوك جهراً مدحت المالكين فزدت قدراً

وحين مدحتك اجتزت السحابا

إلهي كُنْ عَلَى الْبَلَوِ مُعِينِي فَقَدْ شَبَعْتُ مِنَ الدُّنْيَا سَنِينِي
رَأَيْتُ النَّفْسَ تَخْطُرُ عَنْ يَمِينِي سَأَلْتُ اللَّهَ فِي أَبْنَاءِ دِينِي
فَإِنْ تَكُنِ الْوَسِيلَةَ لِي أَجَابَا

* * *

فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ

قال ابن إسحاق: وحدثني ابن شهاب الزهري ، أنه حَدَّثَ أَنَّ أَبَا سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَأَبَا جَهْلَ بْنَ هِشَامٍ ، وَالْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيقٍ بْنَ عَمْرِو بْنِ وَهَبٍ الثَّقَفِيَّ ، خَرَجُوا لَيْلَةً لِيَسْتَمِعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فِي بَيْتِهِ ، فَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسًا يَسْتَمِعُ فِيهِ ، وَكُلٌّ لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِ صَاحِبِهِ ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا ، فَجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ ، فَتَلَاوَمُوا ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لَا تَعُودُوا فَلَوْ رَأَى بَعْضُ سَفَهَائِكُمْ لَأَوْقَعْتُمْ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا .

ثُمَّ انصَرَفُوا حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَّةُ ، عَادَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَى مَجْلِسِهِ ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا ، فَجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِثْلَ مَا قَالُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، ثُمَّ انصَرَفُوا . حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّالِثَةُ أَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسَهُ ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا ، فَجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لَا نَبْرُحُ حَتَّى نَتَعَاهَدَ أَلَّا نَعُودَ ، فَتَعَاهَدُوا عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا .

فَلَمَّا أَصْبَحَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ ، أَخَذَ عَصَاهُ ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى أَبَا سَفْيَانَ فِي بَيْتِهِ ، فَقَالَ : أَخْبِرْنِي يَا أَبَا حَنْظَلَةَ عَنْ رَأْيِكَ فِيمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ ؟

فَقَالَ : يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ ، وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ أَشْيَاءَ أَعْرَفُهَا وَأَعْرَفَ مَا يُرَادُ بِهَا ، وَسَمِعْتُ أَشْيَاءَ مَا عَرَفْتُ مَعْنَاهَا وَلَا مَا يُرَادُ مِنْهَا .

قَالَ الْأَخْنَسُ : وَأَنَا وَالَّذِي حَلَفْتُ بِهِ كَذَلِكَ !

قَالَ : ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى أَتَى أَبَا جَهْلٍ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَيْتَهُ ،

فقال: يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟

فقال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تهاذينا على الركب وكُنَّا كفرسي رهان^(١) . قالوا: متا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك مثل هذا؟ والله لا نؤمن به ولا نُصدقَه ، قال: فقام عنه الأخنس وتركه^(٢) .

أجل يا رسول الله!

هذا تفسير واضح لقوله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [٢٣] وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرًا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّئِ الْمُرْسَلِينَ ﴿ [الأنعام: ٣٣ - ٣٤] .

وهذه تسلية من الخالق سبحانه إلى روح الوجود محمد ﷺ ، وتعني: قد أحطنا علماً بتكذيب مشركي مكة لك ، وحزنك وتأسفك عليهم ، لكن: ﴿ فَلَا نَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾ [فاطر: ٨] ﴿ لَعَلَّكَ بَئِيعَ نَفْسِكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ . [الشعراء: ٣] .

إنهم متأكدون أنك الصادق المصدق ، ولكنهم يعاندون الحق ، ويدفعونه بصدورهم ، لذلك فمعك النصر ولك العناية ، ومعهم الخزي ولهم الضلال! .
يا من لحضرته الشفاعة واللوا والحوض قد أعطاكها المئان
لولا كتابك في البرية لم يقيم للحق قسطاس ولا ميزان
فلك التحايا الزاكيات على المدى ما هيئت للعالمين جنان

* * *

(١) أي: تساوينا في الشرف والمنزلة .

(٢) سيرة ابن هشام: ١/ ٣٣٧ ، عيون الأثر لابن سيد الناس: ١/ ١١١ .

أتشتمه وأنا على دينه؟!

قال ابن إسحاق: حدثني رجلٌ من أسلم ، كان واعيةً ، أن أبا جهلٍ مرَّ برسول الله ﷺ فأذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه ، والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسول الله ﷺ ومولاة لعبد الله بن جدعان في مسكنٍ لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه ، فعمد إلى نادرٍ من قريشٍ عند الكعبة ، فجلس معهم ، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشحاً^(١) قوسه ، راجعاً من قنصٍ له^(٢) ، وكان صاحب قنصٍ يرميه ويخرجُ له ، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمرَّ على نادرٍ من قريشٍ إلا وقف وسلّم وتحدّث معهم ، وكان أعزَّ فتى في قريش ، وأشدَّ شكيمةً^(٣).

فلما مرَّ بالمولاة وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته ، قالت له: يا أبا عماره ، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمدٌ آنفاً من أبي الحكم بن هشام! وجده ها هنا جالساً ، فأذاه وسبّه ، وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ، ولم يكلمه محمد ﷺ.

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى ، ولم يقف عند أحدٍ ، مُعدّاً لأبي جهلٍ إذا لقيه أن يوقع به ، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم ، فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها

(١) أي: متقلداً.

(٢) أي: من صيدٍ له.

(٣) أي: الأنفة ، والانتصار من الظلم.

فشجّه شجّة منكراً ، ثم قال : أتشتمه ؟ فأنا على دينه أقول ما يقول ، فردّ ذلك عليّ إن استطعت .

فقامت رجالاً من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عماراً ، فإنني والله قد سببتُ ابن أخيه سبّاً قبيحاً ، وتمّ حمزة رضي الله عنه على إسلامه ، وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ من قوله .

فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزّ وامتنع ، وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه^(١) .

نعم يا سيدي يا أبا الزهراء:

ما أعظم إنسانيتك ، وما أجمل خلقك وخلقك ، فأنت المثل الأعلى والإنسان الكامل ، آذاك قومك فصبرت ، حاولوا مراراً وتكراراً قتلك فسامحت ، تحمّلت من أجل الدعوة إلى الله الكثير الكثير ، فكنت بذلك الأسوة والقُدوة لكل المصلحين ، وهذا ما شهد به الأعداء قبل الأصدقاء ، مثال ذلك ما قاله (تولستوي) الفيلسوف الروسي : (وفي سني دعوة محمد الأولى تحمّل كثيراً من الاضطهاد ، شأن كل نبيّ بُعث قبله ، نادى أمته إلى الحق ، ولكن هذه الاضطهادات لم تثنِ عزمه ، بل ثابر على دعوة أمته ، مع أن محمداً لم يقل إنه النبي الوحيد ، بل جاء متمماً للرسالات السابقة ، ودعا قومه إلى هذا الاعتقاد أيضاً) .

علمتنا سرّ الحياة وقُدّتنا	للخير والتوفيق والبركات
جنبتنا الزلّل الكبير وصُنّتنا	من شهوة تطغى ومن نزوات
إن شرّق القوم الكبار وغرّبوا	فإليك حتماً منتهى الخطوات
ضلّت علومهم برغم نبوغهم	وتعرّضوا لمهالكِ خطرات
وتكبّوا سُبُل السلام وأقبلوا	يتشدّقون بأجوف الكلمات
لو أحسنوا فهمَ السّلام لأسلموا	ما غيرَ دينك سلّم لنجاة

* * *

(١) سيرة ابن هشام : ٣١٢/١ ، تاريخ الطبري : ٣٣٣/٢ ، عيون الأثر : ١٠٤/١ .

«اللهم أعز الإسلام بعمر»

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خرج عمر بن الخطاب متقلداً السيف ، فلقيه رجلٌ من بني زهرة ، قال: أين تعمداً يا عمر؟ فقال أريد أن أقتل محمداً! .

قال: وكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمداً؟ قال: فقال عمر: ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذي أنت عليه ، قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر؟ إن ختنك - أي: صهرك - وأختك قد صبوا وتركوا دينك الذي أنت عليه .

قال: فمشى عمر ذامراً^(١) حتى أتاهما وعندهما رجلٌ من المهاجرين يُقال له خباب .

قال: فلما سمع خباب حسَّ عمر توارى في البيت ، فدخل عليهما ، فقال: ما هذه الهيمنة التي سمعتها عنكم؟ قال: وكانوا يقرؤون ﴿طه﴾ ، فقالا: ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا ، قال: فلعلكما قد صبوتما؟ قال: فقال له ختنه: أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟ قال: فوثب عمر على ختنه فوطئه وطأً شديداً ، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فنفحها^(٢) بيده نفحةً فدمى وجهها ، فقالت وهي غضبي: يا عمر ، إن كان الحق في غير دينك أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .

فلما يش عمر قال: أعطوني هذا الكتاب الذي عنكم فأقرأه ، قال: وكان

(١) أي: غاضباً متهدداً.

(٢) أي: دفعها عنه وضربها.

عمر يقرأ الكتب ، فقالت أخته : إنك رجسٌ ولا يمسه إلا المطهرون ، فقم واغتسل أو توضأ .

قال : فقام عمر فتوضأ ، ثم أخذ الكتاب ، فقرأ سورة طه حتى انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه : ١٤] .

قال : فقام عمر وقال : دلوني على محمد ، فلما سمع خطاب قول عمر خرج من البيت ، فقال : أبشر يا عمر . فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس : «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هشام» ، قال : ورسول الله في الدار التي في أصل الصفا ، فانطلق عمر حتى أتى الدار ، قال : وعلى باب الدار حمزة وطلحة وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ ، فلما رأى حمزة وجل القوم من عمر . قال حمزة : نعم فهذا عمر فإن يرد الله به خيراً يُسلم ويتبع الرسول ، وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هيناً ، قال : والنبى عليه السلام داخلٌ يُوحى إليه ، قال : فخرج رسول الله ﷺ حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف ، فقال : «أما أنت متتهياً يا عمر حتى يُنزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة؟ اللهم هذا عمر بن الخطاب ، اللهم أيد الدين بعمر بن الخطاب» .

قال : فقال عمر رضي الله عنه : أشهد أنك رسول الله ، فأسلم ، وقال : اخرج يا رسول الله^(١) .

نعم يا روح الوجود يا محمد .

ذاك البطاش عمر رضي الله عنه ، يبحث عنك ليقتلك ، وأنت ترفع الأكف تدعو الله له بالهداية!! فأى رحمة وأى حرص على هداية الخلق يا حبيب الله يا محمد : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

فمتى يا رب ستكرمنا ، وجميع الأحباب بزيارة للحبيب ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؟!

(١) الطبقات الكبرى ، ابن سعد : ٣/ ٢٦٧ ، مستدرک الحاكم : ٤/ ٥٩ .

بَكَيْتُ عَلَى سِرْبِ الْقَطَا إِذْ مَرَرْتُ بِهِ فَقُلْتُ: وَمِثْلِي بِالْبُكَاءِ جَدِيرُ
أَسْرَبَ الْقَطَا، هَلْ مِنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوِيْتُ أَطِيرُ؟

* * *

«ما جئتُ أطلبُ أموالكم»

قال ابن إسحاق: ثم إن الإسلام جعل يفسو بمكة في قبائل قريش ، في الرجال والنساء ، وقريش تحبس من قَدَرَتْ على حبسه ، وتفتن من استطاعت من المسلمين ، ثم إن أشراف قريش من كل قبيلة - كما حدّثني بعض أهل العلم - عن سعيد بن جبير ، وعن عكرمة مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: اجتمع عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث ، وأبو البختري ابن هشام ، والأسود بن المطلب بن أسد ، وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل ابن هشام ، وعبد الله بن أبي أمية ، والعاص بن وائل ، وثُبَيْهٌ ومُثَنَّبُ ابنا الحجاج السهميّان ، وأمّية بن خلف ، أو من اجتمع منهم .

قال: اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تُعذروا فيه ، فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك فأتهم ، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً ، وهو يظنّ أن قد بدا لهم فيما كلّمهم فيه بداء ، وكان عليهم حريصاً ، يُحِبُّ رُشدَهم ، ويعزُّو عليه عتُهم ، حتى جلس إليهم .

فقالوا له: يا محمد ، إنّنا قد بعثنا إليك لنكلّمك ، وإنّا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وشتمت الآلهة ، وسفّهت الأحلام ، وفرقت الجماعة ، فما بقي أمرٌ قبيحٌ إلّا قد جئته فيما بيننا وبينك ، أو كما قالوا له ، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً ، جَمَعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نُسوّدك علينا ، وإن كنت تريد به مُلكاً مُلكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رِئياً قد غلب عليك - وكانوا

يسمُّون التابع من الجن رثياً - فربما كان ذلك بَدَلْنَا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نُبرِّئك منه ، أو نُعذر فيك !!

فقال لهم رسول الله ﷺ : «ما بي ما تقولون ، ما جئتُ بما جئتكم به أطلبُ أموالكم ولا الشرف فيكم ، ولا المُلْك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً ، وأنزل عليّ كتاباً ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالات ربي ونصحتُ لكم ، فإن تقبلوا مِنِّي ما جئتكم به ، فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردّوه عليّ أصبر لأمر الله ، حتى يحكم الله بيني وبينكم»^(١).

أجل يا سيدي يا أبا الزهراء:

هم يُقاوضونك على حُطام الدنيا ومتاعها ، وأنت تُريد لهم السعادة والخير ، وكم كنت حريصاً على أن يتركوا عبادة الأصنام ويتوجّهوا إلى عبادة الواحد الديان .

ولولا أنك يا حبيب القلب روح الوجود لأخذت الأموال ورضيت بالمناصب... ، ولكن أنى يكون ذلك والله قد وصفك بوصف رائع ، فقال سبحانه : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ [يوسف : ١٠٢ - ١٠٤] .

تالله ما حملتُ أنثى ولا وضعتُ مثل النبي رسول الرحمة الهادي ولا مشى فوق ظهر الأرض من أحدٍ أوفى بدمّة جارٍ أو بميعادٍ من الذي كان نوراً يُستضاء به مبارك الأمر ذا حزم وإرشادٍ مصدّقاً للنبيين الأئمة سلفوا وأبذل الناس للمعروف للجاري

نسأل الله تعالى أن يُسعدنا بالدارين برؤية وجه حبيبنا روح الوجود محمد ﷺ ، مع الآل والأصحاب ومن سار على الدرب إلى يوم الدين .

* * *

«لقد لقيتُ من قومك ما لقيتُ»

عن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ أنها قالت للنبي ذات يوم: هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يومٍ أحد؟ قال: «لقد لقيتُ من قومك ما لقيتُ ، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يومَ العقبة ، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يُجِبني إلى ما أردتُ ، فانطلقت وأنا مهمومٌ على وجهي ، فلم أستفق إلّا وأنا بقرن الثعالب^(١) ، فرفعتُ رأسي ، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلمتني ، فنظرتُ فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال ، لتأمره بما شئتَ فيهم ، فناداني ملك الجبال ، فسلم عليّ ، ثم قال: يا محمد ، فقال: ذلك فيما شئتَ ، إن شئتَ أن أطبق عليهم الأخشبين^(٢)؟» .

فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يُشرك به شيئاً^(٣) .

نعم يا سيدي يا رسول الله:

لقد تحمّلت في سبيل الدعوة إلى الله الكثير ، وهذه صورة من صور العذاب والمعاناة التي تعرّضت لها ، إنها رحلة شاقة ، حيث خرجت من بلدك مكة ، وذلك من أجل أن تدعو الناس في مكان آخر إلى الله سبحانه .

ولما وصلت إلى الطائف ودعوت القوم ، ما كان منهم إلّا التكبر والتجبر

(١) هو ميقات أهل نجد تلقاء مكة المكرمة .

(٢) هما جبلان محيطان بمكة . أحدهما جبل أبو قبيس .

(٣) صحيح البخاري: ١٣٩/٤ ، صحيح مسلم: ١٤٢٠/٣ .

والعناد والاستهزاء ، فأرسلوا إليك الغلمان والمجانين ، وراحوا يرمونك بالحجارة والعظم والشوك ، وأخرجوك من الطائف ، وأدموا قدميك...!! .

ولما وصلت إلى بساتين الطائف ، جلست لترتاح قليلاً ، وهناك رفعت دعاءك إلى رافع السماء بلا عمد سبحانه وتعالى ، والذي جاء فيه : «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي ، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني^(١) أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي . ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل عليّ سخط ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك»^(٢) .

ولما عرض عليك جبريل أن يقوم ملك الجبال فيطبق عليهم الجبلين ، رفضت ذلك من باب أنك الرحمة المهداة ، فصلاة الله وسلامه عليك في كل وقت وحين :

يا سيّد الكون في ذكراك تذكرة	وفي رحابك يسمو نظم أشعاري
من أنقذ الكون من شرك يدّسه	وخلصّ الناس من تأليه أحجاري
من نظمّ العرب من فوضى ومهزلة	وطهر الأرض من رجس وأوضار
من لقّن الناس أخلاقاً مهذبة	وشاد للناس ديناً غير منهار
من حرر العبد من رق يكتله	وحرّر العقل من سخف أفكار
من علّم اليد قرآناً يرتله	فتنصّت الجن إعجاباً بتذكاري

* * *

(١) أي : يلقاني بالغلظة والوجه الكريه .

(٢) عيون الأثر : ١/ ١٣٤ ، سيرة ابن هشام : ٢/ ٢٨ .

بهذا فضلكم محمد

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ - فذكر الحديث - وفيه قال : ثم سار حتى أتى بيت المقدس ، فنزل فربط فرسه إلى صخرة ، ثم دخل فصلى مع الملائكة ، فلما قضيت قالوا : يا جبريل ، من هذا معك ؟ قال : محمد رسول الله وخاتم النبيين ، قالوا : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قالوا : حيّاه الله من أخ وخليفة ، فنعم الأخ ، ونعم الخليفة ، ونعم المجيء جاء .

قال : ثم أتى أرواح الأنبياء فأتوا على ربهم ، قال : فقال إبراهيم عليه السلام : الحمد لله الذي اتخذ إبراهيم خليلاً ، وأعطاني ملكاً عظيماً ، وجعلني أمة قانتاً لله يؤتم بي ، وأنقذني من النار ، وجعلها عليّ برداً وسلاماً .

قال : ثم إن موسى عليه السلام أثنى على ربه ، فقال : الحمد لله الذي كلمني تكليماً ، واصطفاني برسالته وكلماته ، وقرّني إليه نجياً ، وأنزل عليّ التوراة ، وجعل هلاك آل فرعون على يدي ونجى بني إسرائيل على يدي .

قال : ثم إن داود عليه السلام أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي خولني ملكاً ، وأنزل عليّ الزبور ، وألآن لي الحديد ، وسخر لي الطير والجبال ، وآتاني الحكمة وفصل الخطاب .

ثم إن سليمان عليه السلام أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي سخر لي الرياح ، والجنّ ، والإنس ، وسخر لي الشياطين يعملون ما شئت من محارب وتماثيل . . . إلى آخر الآية ، وعلمني منطق الطير ، وكل شيء ، وأسأل لي عين القطر ، وأعطاني ملكاً عظيماً لا ينبغي لأحد من بعدي .

ثم إن عيسى عليه السلام أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي علمني التوراة

والإنجيل ، وجعلني أبرئ الأكمه والأبرص ، وأحيي الموتى بإذنه ، ورفعني ، وطهرني من الذين كفروا ، وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان علينا سبيل .

ثم إن محمداً ﷺ أثنى على ربه فقال: «كلكم قد أثنى على ربه وإنني مثني على ربي ، فقال: الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيراً ونذيراً ، وأنزل عليّ الفرقان فيه تبيان كل شيء ، وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس ، وجعل أمتي أمة وسطاً ، وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون ، وشرح صدري ، ووضع عني وزري ، ورفع لي ذكري ، وجعلني فاتحاً وخاتماً». فقال إبراهيم عليه السلام: بهذا فضلكم محمد ﷺ^(١).

أجل يا إمام الرسل يا أبا القاسم:

إن في تقديم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لك ، لتُصليَ بهم إماماً ، دليلاً واضحاً على المقام الرفيع الذي نلته ، فضلة الله عليك يا روح الوجود يا محمد:

يا خير من يَمُّم العافون ساحتَه	سعيًا وفوق متون الأينق الرُّسَمِ
ومن هو الآية الكبرى لمعتبرٍ	ومن هو النعمة العظمى لمغتني
سريت من حرم ليلاً إلى حرم	كما سرى البدر في داج من الظلم
وبت ترقى إلى أن نلت منزلة	من قاب قوسين لم تُدرِك ولم تُرَم
وقد مثلك جميع الأنبياء بها	والرسل تقديم مخدوم على خدم
وأنت تخترق السبع الطباق بهم	في موكب كنت فيه صاحب العلم
حتى إذا لم تدع شأواً لمُستبقٍ	من الدنو ولا مرقى لمُستمن
خفضت كل مقام بالإضافة إذ	نوديت بالرفع مثل المفرد العلم
كيما تفوز بوصل أي مستترٍ	عن العيون وسراً أي مُكتتم
فحزت كل فخار غير مُشتركٍ	وجُزت كل مقام غير مزدحم
وجل مقدار ما أوليت من رتبٍ	وعز إدراك ما أوليت من نعم

* * *

(١) دلائل البهقي: ٣٩٩/٢ ، مجمع الزوائد للهيتمي: ٦٨/١ .

بأحمد المهدي النبي المؤتمن

قال ابن إسحاق: وحَدَّثني عبد الله بن أبي بكر فذكر الحديث وفيه: فلما قدموا المدينة أظهروا الإسلام بها ، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشُّرك ، منهم عمرو بن الجموح ، وكان ابنه معاذ شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ بها .

وكان عمرو بن الجموح سيِّداً من سادات بني سلمة ، وشريفاً من أشرافهم ، وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب يُقال له: مَناة ، كما كانت الأشراف يصنعون ، تتخذ إلهاً تعظمه وتُظهره .

فلما أسلم فتیان بني سلمة ، معاذ بن جبل وابنه معاذ بن عمرو في فتیان منهم ممن أسلم وشهد العقبة ، كانوا يُدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة . وفيها عَذَر الناس ، مُنْكَساً على رأسه ، فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم! من عدا على آلِهتنا هذه الليلة؟ قال: ثم يغدو يلتمسُه . حتى إذا وجده غَسَله وطَهَّره وطَيَّبه ، ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزيتَه ، فإذا أمسى ونام عمرو غدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك! .

فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى ، فيغسله ويطهِّره ويطيِّبه ، ثم يغدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك ، فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث القوة يوماً فغسله فطهَّره وطَيَّبه ، ثم جاء بسيفه فعَلَّقه عليه ، ثم قال له: إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى ، فإن كان فيك خيرٌ فامتنع فهذا السيف معك! .

فلما أمسى ونام عمرو عدوا عليه ، فأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخذوا كلباً ميتاً ففرونوه به بحبل ثم ألقيوه في بئر من آبار بني سلمة فيه عذراً من عذر الناس ، وغدا ابن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به ، فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت ، فلما رآه وأبصر شأنه وكلمه من أسلم من قومه ، فأسلم برحمة الله وحسن إسلامه .

فقال - حين أسلم - :

والله لو كُنتَ إلهاً لم تكن أنت وكلبٌ وسط بئرٍ في قرنٍ^(١)
أفٍ لملقائك إلهاً مُستدَنٌ^(٢) الآن فتشناك عن سوء العبن
الحمد لله العليّ ذي المنن الواهبِ السرّاق ديّان الدّين
هو الذي أنقذني من قبل أن أكون في ظلمة قبرٍ مُرتَهَنُ
بأحمد المهدي النبي المؤتمن^(٣)

سيدي يا أبا الزهراء يا أحمد:

لقد امتن الله تعالى على الوجود بأن أرسل محمداً ﷺ روحاً لهذا الوجود ،
الذي حرّر الإنسان من عبادة الأحجار والأشجار والأصنام ، ونقله إلى عبادة
الواحد الديّان؟ ومن الذي أخذ بأيدي الحيارى والشاردين إلى الطريق القويم
المستقيم؟!

فصلاةً وسلاماً عليك يا روح الوجود يا محمد:

سعدت بمولد أحمد الأزمسان وتعطرت بعيّره الأكوانُ
والشّرك أنذَرَ بالنهاية عندما ولد البشير وأشرق الإيمانُ

(١) أي: في حبل .

(٢) الدني: الخسيس .

(٣) سيرة ابن هشام: ١٦/٢ ، دلائل النبوة للبيهقي: ٤٥٦/٢ .

ولدتہ آمنۃ النقیۃ مشرقاً باہی المحیّا صاغہ المنانُ
تتلاً الأنوار فی قسماتہ وأتمّ حُسن صفاتہ الرحمنُ
وبدت لمولده الکریم بشائر قدسیّة وتزلزل الإیوانُ

* * *

﴿ فَأَغَشَيْنَاهُمْ فَهْمًا لَا يُبْصِرُونَ ﴾

وبعد سنوات من المضايقات في مكة المكرمة ، جاء الإذن الإلهي للنبي ﷺ بالهجرة إلى المدينة ، وذات يوم حاول المشركون اغتياله!

لكن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال له: لا تبث هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه ، قال: فلما كانت عتمة من الليل ، اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام ، فيشون عليه ، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: «نم على فراشي ، وتسج بئردي هذا الحضرمي الأخضر فَنَمَ فيه ، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم»^(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما:

وشرى علي رضي الله عنه نفسه ، فلبس ثوب النبي ﷺ ، ثم نام مكانه: قال: وكان المشركون يرمون رسول الله ﷺ ، فجاء أبو بكر رضي الله عنه ، وعلي نائم ، قال: وأبو بكر يحسب أنه رسول الله ﷺ ، قال: فقال: يا نبي الله!.

فقال له علي: إن نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركهُ ، قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار ، قال: وجعل علي رضي الله عنه يرمي بالحجارة كما كان يرمي نبي الله ﷺ وهو يتصور^(٢) ، وقد لف رأسه في الثوب لا يخرج حتى أصبح ، ثم كشف عن رأسه ، فقالوا: إنك للثيم ، وكان صاحبك لا يتصور

(١) صحيح البخاري: ١١٦/٣.

(٢) التصور: التلوي والصياح من وجع الضرب أو الجوع.

ونحن نرميه وأنت تتصور ، وقد استنكرنا ذلك^(١) ! .

نعم يا روح الوجود يا أبا الزهراء:

هل في الوجود من ينام مكان إنسان مهدّد بالقتل في أي لحظة؟! وهل في العالم من يفدي غيره بنفسه؟ وأين تحدث أمثال تلك القصص العجيبة؟ ! .

إن هناك اعتبارات أخرى ، فالصحابه الأماجد عرفوا قدر رسول الله ﷺ وأيقنوا أن الله سبحانه قد أغلق المنافذ كلها إليه إلا منفذ حبيبه ﷺ ، لذلك فدوه بالأموال والأنفس ، وقدموا بين يديه الغالي والنفيس ، وداروا في فلكه ، لذلك فازوا في الدنيا والآخرة ، ونالوا رضي الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] .

﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨] .

كل هذا جعل الإمام علياً يُفاخر بمبيته على فراش الرسول ﷺ ليلة الهجرة ، كما روى ذلك الإمام زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهم: إن أول من شرى نفسه ابتغاء رضوان الله جدي علي بن أبي طالب ، ولذلك كان علي يقول:

وقيتُ بنفسي خير من وطئ الحصا	ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إليه خاف أن يمكروا به	فنجاه ذو الطول الإله من المكر
وبات رسول الله في الغار آمناً	موقى وفي حفظ الإله وفي ستر
وبت أراعيهم ولم يتهموني	وقد وطئت نفسي على القتل والأسر ^(٢)

فصلاة الله وسلامه عليك يا روح الوجود وخاتم النبيين . . .

* * *

(١) المستدرک ، للحاكم النيسابوري: ١٣٤/٣ .

(٢) المستدرک: ٤/٣ .

خير من عمر وآل عمر!!

عن ضبة بن محصن العنزي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في قصة ذكرها ، قال : فقال عمر : والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر ، هل لك أن أحدثك بليته ويومه؟ قال : قلت : نعم يا أمير المؤمنين .

قال : أما ليلته ، فلما خرج رسول الله ﷺ هارباً من أهل مكة خرج ليلاً فتبعه أبو بكر ، فجعل يمشي مرة أمامه ، ومرة خلفه ، ومرة عن يمينه ، ومرة عن يساره! .

فقال له رسول الله ﷺ : «ما هذا يا أبا بكر ، ما أعرف هذا من فعلك؟» .

قال : يا رسول الله ، أذكر الرصد فأكون أمامك ، وأذكر الطلب فأكون خلفك ، ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك ، لا آمن عليك .

قال : فمشى رسول الله ﷺ ليلته على أطراف أصابعه ، حتى حفيث رجلاه ، فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه أنها قد حفيث حمله على كاهله ، وجعل يشتد به حتى أتى به فم الغار ، فأنزله .

ثم قال : والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله ، فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك ، فدخل فلم ير شيئاً ، فحمله فأدخله .

وكان في الغار خرق فيه حياض وأفاع ، فخشي أبو بكر أن يخرج منه شيء يؤذي رسول الله ﷺ ، فألقمه قدمه فجعلن يضربنه ويلسعنه ، الحيات والأفاعي ، وجعلت دموعه تنحدر ، ورسول الله ﷺ يقول له : «يا أبا بكر! لا تحزن إن الله معنا» فأنزل الله سكينته الاطمئنانة لأبي بكر ، فهذه ليلته .

وأما يومه : فلما توفي رسول الله ﷺ وارتدت العرب ، فقال بعضهم : نصلي ولا

نزكي ، وقال بعضهم : لا نصلي ولا نزكي ، فأتيتُهُ ولا آله نُصحاً ، فقلتُ : يا خليفة رسول الله ﷺ تألف الناس وارفق بهم .

فقال : جبارٌ في الجاهلية خوارٌ في الإسلام ، فبماذا أتألفهم أبشعر مفتعلٍ أو بشعرٍ مفترى؟ قبض النبي ﷺ وارتفع الوحي ، فوالله لو منعوني عقلاً مما كانوا يُعطون رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه .

قال : فقاتلنا معه ، فكان والله رشيد الأمر ، فهذا يومه^(١) .

أجل يا أبا الزهراء يا أحمد:

لولا أن أبا بكر رضي الله عنه قد أيقن أنك روح الوجود ، فهل يفعل ما فعله في الهجرة وغيرها؟ .

لقد كان يقدم نفسه للتهلكة فداءً أن يُقذ الحبيب المصطفى ﷺ :

أقسمتُ بالواحد الديان إنَّ له	من قلبه نسبةً مبرورةً القسم
وما حوى الغار من خيرٍ ومن كرمٍ	وكل طرفٍ من الكفار عنه عمي
فالصدق في الغار والصديق لم يرما	وهم يقولون ما بالغار من أرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على	خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة	من الدروع وعن عالي من الأطم

فسلام الله وصلواته عليك يا روح الوجود يا محمد ، ونسأل الله تعالى أن يحشرنا يوم الدين في ظلال شفاعتك ، وأن نشرب من حوضك . . آمين .

* * *

(١) دلائل النبوة ، البيهقي : ٤٧٧/٢ .

جائزة كبرى... ولكن!!

ولما علم أهل مكة أن الرسول ﷺ وصاحبه أبا بكر قد غادرا مكة جُنّ جنونهم ، واجتمعوا في البيت الحرام ، وتشاوروا ، وتآمروا لإيجاد حلّ ، ثم أعلنوا عن جائزة كبيرة لمن يأتي برأس الرسول حيّاً أو ميتاً^(١) .

وانطلقوا في الشّعب والأودية يبحثون عنهما ، قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: لما خرج رسول الله وأبو بكر أتانا نفرٌ من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجتُ إليهم ، فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلتُ: لا أدري والله أين أبي ، قالت: فرفع أبو جهل لعهن الله يده ، وكان فاحشاً خبيثاً ، فلطم خدي لطمةً ، فطرح منها قرطي ، قالت: ثم انصرفوا!!^(٢) .

ولما انتهى المشركون إلى فم الغار الذي يجلس فيه الرسول ﷺ مع أبي بكر رضي الله عنه ، تحرّكت العناية الإلهية من أجل حماية روح الوجود صلوات الله عليه :

عن أبي مصعب المكي قال: أدركتُ أنس بن مالك ، وزيد بن أرقم ، والمغيرة بن شعبة ، فسمعتهم يتحدثون: أن النبي ﷺ ليلة الغار ، أمر الله عز وجل بشجرة فنبتت في وجه النبي ﷺ فسترته ، وأمر الله العنكبوت فنسجت في وجه النبي صلوات الله عليه فسترته ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار .

(١) دلائل النبوة للبيهقي: ٤٨٧/٢ .

(٢) سيرة ابن هشام: ١٠٠/٢ ، تاريخ الطبري: ٣٧٩/٢ .

وأقبل فتیان قریش من کل بطن رجل ، بعضیهم وھراویھم وسیوفھم ، حتی إذا كانوا من النبی ﷺ بقدر أربعین ذراعاً ، فجعل رجل منهم لينظر في الغار فرأى حمامتين بقم الغار ، فرجع إلى أصحابه فقالوا له : مالك لم تنظر في الغار؟ فقال : رأيت حمامتين بقم الغار ، فعلمت أنه ليس فيه أحد ، فسمع النبی ﷺ ما قال ، فعرف أن الله عز وجل قد درأ عنه بهما ، فدعاھن النبی ﷺ فسمت^(١) علیھن ، وفرض جزاءھن ، وانحدرن في الحرم^(٢) .

أجل يا روح الوجود يا محمد:

عناية الله سبحانه حمتك من كل سوء ، حتى إن المشركين قد خدعوا بالenkبوت والحمام!! فسلام عليك يا شفيع المؤمنين يا أبا القاسم .

الله طمأن بالهداية عبده وعليه صلى حين أنجز وعده
المصطفى رب العباد أعدده يا من له عز الشفاعة وحده
وهو المنزه ما له شفعاء

كن لي شفيعاً إذ يحاسب يائس وعليّ تشهد بالذنوب مجالس
كل القبور من الفناء دوارس لي في مديحك يا رسول عرائس
تيمن فيك وشاقهنّ جلاء

شعري بمدحك لا يزال مقدماً وأنا بحبك ما حييت مئتماً
بعرائس الشعر ابتدأت مسلماً هنّ الحسان فإن قلت تكرماً
فمهورهنّ شفاعة حسناء

مازلت في درب المروءة ساعياً ولما تحبّ أظلّ فيه مُراعياً
ولما تحضّ عليه ظلّت مداعياً ما جئتُ بابك مادحاً بل داعياً
ومن المديح تضرّع ودعاء

* * *

(١) التسميت : ذكر الله على الشيء ، وقيل : الدعاء والبركة .

(٢) طبقات ابن سعد : ٢٢٩/١ ، عيون الأثر : ١٨٢/١ .

ما عندي شاة تحلب!!

وهكذا بقي الحبيب ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه في الغار ثلاثة أيام ، حتى سَكَنَ عنهما الناس ، وفي تلكم المدة كانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تأتي إليهما بالسُّفَر .

ثم خرجا من الغار ، ووقف الرسول ﷺ على إحدى جبال مكة ، ثم اتجه إلى بلده مودّعا . وقال : «والله إنك لخير أرض الله ، وأحبُّ أرض الله إلى الله ، ولولا أنني أخرجتُ منك ما خرجتُ»^(١) .

وفي طريق الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة جرت بعض الحوادث الرائعة ، والتي فيها الدلالة الواضحة على أن روح الوجود هو المعصوم ﷺ ، مثال ذلك .

عن قيس بن النعمان قال : لما انطلق النبي ﷺ وأبو بكر مستخفين ، مرّا بعبدٍ يرعى غنمًا ، فاستسقياه من اللبن - أي : طلبا منه أن يحلبَ لهما لبنًا ليشربا - ، فقال : ما عندي شاة تحلب ، غير أن هاهنا عناقًا^(٢) حملتُ أول الشتاء ، وقد أخذتُ^(٣) وما بقي لها لبنٌ ، فقال : ادعُ بها ، فاعتقلها النبي ﷺ ، ومسحَ ضرعها ودعا حتى أنزلتُ .

قال : وجاء أبو بكر رضي الله عنه بمجنٍّ^(٤) فحلب فسقى أبا بكر ، ثم حلبَ فسقى الراعي ، ثم حلبَ فشرب ، فقال الراعي : بالله من أنت؟ فوالله ما رأيتُ مثلك قط!! .

(١) سنن الترمذي : ٧٢٢/٥ ، سنن ابن ماجه : ١٠٣٧/٢ .

(٢) العناق : الأنثى من أولاد المعز والغنم ، من حين الولادة إلى تمام حوّل .

(٣) أي : ألقت ولدها قبل تمام أيامه .

(٤) المجنّ : الترس .

قال: «أَو تَرَكَ تَكْتُمُ عَلَيَّ حَتَّى أَخْبِرَكَ؟» ، قال: نعم ، قال: «فإني محمد رسول الله» فقال: أنت الذي تزعم قريش أنه صابئ؟ .

قال: «إنهم ليقولون ذلك» ، قال: فأشهد أنك نبي ، وأشهد أن ما جئت به حق ، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي ، وأنا متبعك .

قال: «إنك لا تستطيع ذلك يومك ، فإذا بلغك أني قد ظهرت فأتنا»^(١) .

أجل يا سيدي يا أبا الزهراء:

ملء الجوانح قرآنً أرثله وفي عير الثقي والروح أحمله
رباه فيك احتمى أمسي ومقبله إذا خفست جناح الذل أسأله

عز الشفاعة لم أسأل سوى أم

تعطرت روعي الظمأى برائحة شذية عطرت أنفاس نائحة
إليك يا رب تسعى كل جارحة وإن تقدم ذو تقوى بصالحة

قدمت بين يديه عبرة الندم

إليك ربي سعى المظلوم حين وهن فكنت ربي من الأم الرؤوم أحسن
يا غافر الذنب أرجو العفو ليلة أن لزم باب أمير الأنبياء ومن

يُمسك بمفتاح باب الله يغتنم

رسول ربي اكتسب بالنور طلعه يدعو إلى الله والقرآن حجته
لله صلت بأي الذكر جهته محمد صفوة الباري ورحمته

وبغية الله من خلق ومن نسم

* * *

(١) عيون الأثر: ١/١٩٠ ، دلائل البيهقي: ٢/٤٩٧ ، مستدرک الحاكم: ٨/٣ .

اللهم اكفنا بهما شئت

عن سُرَاقَةَ بن مالك بن جُعْشَم رضي الله عنه - فذكر الحديث - وفيه جَعَلُ قريشٍ ديةً لمن يأتي بالنبي ﷺ وصاحبه ، إلى أن قال :

فبينما أنا جالسٌ في مجلسٍ من مجالس قومي بني مُدَلِجٍ أقبل رجلٌ منهم ، حتى قام علينا ونحن جلوسٌ ، فقال : يا سُرَاقَةَ ، إني قد رأيتُ أنفأ أسودَةً بالسَّاحِلِ أراها محمداً وأصحابه ! .

قال سُرَاقَةُ : فعرفتُ أنهم هم ، فقلتُ له : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيتَ فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا ، ثم لبثتُ في المجلس ساعة ، ثم قمْتُ فدخلتُ فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمةٍ فتحبسها عليّ وأخذت رمحي فخرجتُ به من ظهر البيت ، فخططتُ بِرُجْهِ^(١) الأرض ، وخفَضْتُ عاليه ، حتى أتيتُ فرسي فركبتها فرفعتها تقرب^(٢) بي حتى دنوتُ منهم ، فعثرت بي فرسي فخررتُ عنها ، فقمْتُ فأهويتُ يدي إلى كنانتي فاستخرجتُ منها الأُزْلَامَ ، تُقَرَّبُ بي حتى إذا سمعتُ قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفتُ ، وأبو بكرٍ يكثر الالتفات ، ساختُ^(٣) يدا فرسي في الأرض حتى بلغت الركبتين فخررتُ عنها ثم زجرتها ، فنهضت فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمةً إذا لَأْثَرُ يديها عُثَانٌ^(٤) ساطعٌ في السماء مثل الدخان ، فاستقسمتُ بالأُزْلَامِ

(١) أي : الحديدية التي تُركِزُ به الرمح في الأرض .

(٢) قَرَّبَ تقريباً : إذا عدا عدواً نحو الإسراع .

(٣) أي : رَسَخَتْ .

(٤) أي : دخان .

فخرج الذي أكره فناديتهم بالأمان فوقفوا ، فركبتُ فرسي حتى جئتُهم ووقع في نفسي حين لقيتُ ما لقيتُ من الحبس عنهم أن سيظهرُ أمر رسول الله ﷺ ، فقلتُ له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتُهم أخبار ما يريد الناس بهم وعرضتُ عليهم الزاد والمتاع فلم يرزاني^(١) ولم يسألاني إلا أن قال : «أخفِ عنا» فسألته أن يكتب لي كتاب أمني ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم ، ثم مضى رسول الله ﷺ^(٢) وهكذا رأى سراقا بأم عينيه أن المسألة ليست عادية ، إنما هناك سرٌ عظيم هو أن روح هذا الوجود هو المصطفى ﷺ ، فالله تعالى جعل قوائم فرس سراقا تسيخ في الرمال ، ثم في النهاية يعده الرسول صلوات الله عليه بسواري كسرى وتاجه ! .

ويدور الزمن دورته ، ويفتح المسلمون في عهد عمر رضي الله عنه بلاد فارس ، وتُحمل الغنائم ومن بينها سوارا كسرى وتاجه ، وأمام الناس يُعطى سراقا ما كان الرسول ﷺ قد وعده بهما !!

نورٌ فليس له مثل يُرى وله	من الغمامة أتى سار تظليلُ
ولا يُرى في الثرى أثرٌ لأخمسه	إذا مشى وله في الصخر توحيلُ
فليت من وجهه حظي مُقابلةً	وليت حظي من كفيه تقبيلُ
بيضٌ ميامينُ يُستسقى الغمام بها	للشمس منها وللأنواء تخجيلُ
وكم دعا ومُحيًا الأرض مكتئبٌ	ثم انثنى وله بشرٌ وتهليلُ
واغترتا حين أضحى الغار وهو به	كمثل قلبي معمرٌ ومأهولُ
كأنما المصطفى فيه وصاحبه الصّد	يق لثانٍ قد آواهما غيلُ
وجلّل الغار نسجُ العنكبوت على	وهن فياحبذا نسجٌ وتجليلُ
عنايةً ضلّ كيدُ المشركين بها	وما مكايدهم إلا الأضاليلُ
إذ ينظرون وهم لا يبصرونهما	كأن أبصارهم من زيغها حُولُ
لقد علمتم ولكن صدّكم حسدٌ	أنا بما جاءنا قومٌ مقابيلُ

* * *

(١) رزاه ماله : أصاب منه شيئاً فنقصه .

(٢) صحيح البخاري : ٧٦/٥ .

يا حَبْدًا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارٍ

وهكذا دخل المصطفى ﷺ وصاحبه المدينة بثياب بيضٍ ، ونزلوا في قباء ، وذلك في الثاني عشر من شهر ربيع الأول يوم الاثنين .

بينما تلاحق المسلمون بالنبي ﷺ ، أي : تتابعت الهجرة من مكة إلى المدينة ، مثل هجرة علي رضي الله عنه ، وصهيب بن سنان رضي الله عنه .

وفي قباء أسس المعصوم ﷺ مسجد قباء ، وقال فيه : «من توضأ فأصبح الوضوء ، ثم عمد إلى مسجد قباء لا يريد غيره ، ولا يحمله على الغدو إلا الصلاة في مسجد قباء ، فصلّى فيه أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بأمّ القرآن ، كان له كأجر المعتمر إلى بيت الله»^(١) .

وفي يوم الجمعة ارتحل الوفد النبوي إلى المدينة التي نورها الله سبحانه بأنوار روح الوجود محمد ﷺ ، وكانت فرحة أهل المدينة باستقباله صلوات الله عليه لا تعدلها فرحة في الكون ، حيث خرجت جوارٍ من بني النجار يضربن بالدفوف وهنّ يقلن :

نحنُ جوارٍ من بني النجار يا حَبْدًا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارٍ
فنظر إليهن رسول الله ﷺ وقال : «أَتَحْبُونِي؟» فقالوا : أيّ والله يا رسول الله ، قال : «أنا والله أحبُّكم ، وأنا والله أحبُّكم ، أنا والله أحبُّكم»^(٢) .

وجعل النساء والصبيان يقلن في استقباله صلوات الله عليه :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجبّ الشكر علينا ما دعا لله داع

(١) رواه الطبراني (مجمع الزوائد للهيتمي : ١١٤/١) .

(٢) سنن ابن ماجه : ٦١٢/١ .

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع جئت شرفاً المدينة مرحباً يا خير داع^(١)

قال عثمان بن عمر: فصعد الرجال والنساء فوق البيوت وتفرق الغلمان والخدم في الطرق ينادون:

يا محمد! يا رسول الله! يا محمد يا رسول الله^(٢).

أما الأنصار فكانوا يتسابقون في استضافة المصطفى ﷺ ، لكن المسألة فيها سر آخر لخصه لنا المعصوم صلوات الله عليه ، ذلك إذا سمع من يقول بشوق .
يا رسول الله ، هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة .

كان عليه الصلاة والسلام يشير إلى ناقته وهو يقول: «خلّوا سبيلها فإنه مأمورة» .

وتروح الناقة وتعود ، حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار ، برّكت على باب مسجده ﷺ ! .

أجل!

أنت روح الوجود يا أبا القاسم ، فصلاة وسلام عليك يا سيدي يا حبيب الله :

الله بالإيمان أيّد جنده وقوافل الشهداء تؤجر عنده
من ذا سوى الرحمن يُغني عبده الله فوق الخلق فيها وحده

والناس تحت لوائها أكفاء

ما لم تقرّ به الشريعة بدعةً وبكل ما أنزلت ربي شرعةً
في نعمة الإسلام تهدأ روعةً والدين يُسرّ والخلافة بيعةً
والأمر شورى والحقوق قضاءً

(١) فتح الباري: ١٢٩/٨ .

(٢) صحيح مسلم: ٢٣١١/٤ .

وأقلت يا ربّ الخلائق عُثْرَةً ولمن تكبّر من عبادك عُسْرَةً
وجعلته من دون خلقك عِبْرَةً داوَيْتَ مَثْدَأً ودَاوَوُ طَفْرَةً
وأخفّت من بعض الدّواء الدّاءُ

* * *

لا عيش إلا عيش الآخرة

عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: لما نزل عليّ رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السُّفْل ، وأنا وأم أيوب في العلو ، فقلت له: يا نبيّ الله ، بأبي أنت وأمي ، إني لأكره وأُعْظِم أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فإظهر أنت فكن في العلو ، ونزل تحت فنكون في السُّفْل ، فقال ﷺ: «يا أبا أيوب ، إنَّ أرفقُ بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفْل البيت» .

قال: فكان رسول الله ﷺ في سُفْله ، وكنا فوقه في المسكن ، فلقد انكسر حُبٌّ^(١) لنا فيه ماء فقمْتُ أنا وأم أيوب بقطيفة لنا مالنا لحافٌ غيرها ننشِفُ بها الماء تخوفاً أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيءٌ فيؤذيه!!^(٢) .

ثم إنه أمر ببناء مسجده ، وكانت البداية شراء الأرض من أيتام من بني النجار ، ثم أمر بنش بعض القبور ، وبقطع بعض أشجار النخيل والغرق^(٣) .

وشارك المصطفى ﷺ المسلمين في بناء المسجد ، وذلك ليرغب الناس في العمل فيه ، وبالفعل عمل المهاجرون والأنصار في بنائه ، وكانوا يردّدون أثناء العمل:

لئن قعدنا والنبي يعملُ لذاك منا العمل المضلُّ^(٤)

روت عائشة رضي الله عنها قالت: وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللَّبَن في بنيانه ويقول متمثلاً شعر واحدٍ من المسلمين:

(١) هو: وعاء الماء كالزير والجرّة .

(٢) المستدرك للحاكم: ٤٦١ / ٣ .

(٣) طبقات ابن سعد: ٢٣٩ / ١ .

(٤) سيرة ابن هشام: ١١٤ / ٢ .

اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجَرَ أَجْرُ الْآخِرَةِ فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ^(١)

وروى أبو هريرة رضي الله عنه : أنهم كانوا يحملون اللَّبَنَ إلى بناء المسجد ورسول الله ﷺ معهم ، قال : فاستقبلتُ رسول الله ﷺ وهو عارضٌ لَبَنَةً على بطنه ، فظننتُ أنها قد شَقَّتْ عليه ، فقلتُ : ناوئنيها يا رسول الله ، قال : «خذْ غيرها يا أبا هريرة ، فإنه لا عيش إلا عيشُ الْآخِرَةِ»^(٢).

وحدَّث صلوات الله عليه عن فضائل مسجده ، من ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : «صلاة في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه إلا المسجد الحرام»^(٣).

أجل يا روح الوجود يا محمد ، ماذا يقول عنك المادحون؟ وعن أي وصفٍ يتكلمون؟

مَدْحُ النَّبِيِّ أَمَانُ الْخَائِفِ الْوَجَلِ	فَامْدَحُهُ مُرْتَجِلًا أَوْ غَيْرَ مُرْتَجِلِ
وَلَا تُشَبِّبْ بِأَوْطَانٍ وَلَا دِمَنِ	وَلَا تُعَرِّجْ عَلَى رِبْعٍ وَلَا طَلَلِ
وَصِفْ جَمَالَ حَبِيبِ اللَّهِ مُفْرَدًا	بِوصْفِهِ فَهُوَ خَيْرُ الْوَصْفِ وَالْغَزَلِ
رِيحَانَتَاهُ عَلَى زَهْرِ الرَّبَا زَهْتَا	فَمَا لِقَلْبِي وَذَكَرِ الْبَانَ وَالْأَثَلِ
رِيحَانَتَاهُ مِنَ الزَّهْرَاءِ فَاطِمَةُ	خَيْرُ النِّسَاءِ وَمَنْ صَنُو الْإِمَامِ عَلِيٍّ
مُحَمَّدٌ أَفْضَلُ الرِّسَالِ الَّذِي شَهِدَتْ	بِفَضْلِهِ أَنْبِيَاءُ الْأَعْصَرِ الْأَوَّلِ
لَمْ يَغْدُهُ الْحُسْنُ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ	وَلَمْ يَزَلْ حَبَّهُ شُغْلًا لِكُلِّ خَلْقٍ

* * *

(١) صحيح البخاري: ٧٨/٥.

(٢) المسند للإمام أحمد: ٣٨١/٢.

(٣) صحيح البخاري: ٧٦/٢.

رغبة نبوية تتحقق

عن ابن عباس وعن عثمان بن محمد الأخنسي رضي الله عنهما ، وعن غيرهما ، أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ، وكان يحب أن يصرف إلى الكعبة ، فقال : «يا جبريل ، وددت أن الله صرف وجهي عن قبلة يهود» .

فقال جبريل : إنما أنا عبدٌ فاذعُ ربك وسله ، وجعل إذا صلى إلى بيت المقدس يرفع رأسه إلى السماء ، فنزلت عليه : ﴿ قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٤] .

فوجه إلى الكعبة إلى الميزاب^(١) .

... وعنهما أيضاً : صلى رسول الله ﷺ ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين ، ثم أمر أن يوجه إلى المسجد الحرام ، فاستدار إليه ودار معه المسلمون .

ويقال : بل زار رسول الله ﷺ أم بشر ابن البراء بن معرور في بني سلمة ، فصنعت له طعاماً ، وحانت الظهر فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ركعتين ، ثم أمر أن يوجه إلى الكعبة ، فاستدار إلى الكعبة واستقبل الميزاب ، فسُمي المسجد مسجد القبلتين^(٢) .

(١) عيون الأثر ، ابن سيد الناس : ٢٣٢ / ١ .

(٢) طبقات ابن سعد : ٢٤١ / ١ .

أجل!

حبيب الله محمد ﷺ كره أن تكون قبلته وقبله أمته هي ذاتها قبله اليهود ، وعبر عن حبه ورغبته وأمله بأن تتحول القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام ببلده مكة المكرمة ، وشاء الله أن يُحقق له ذلك .

كيف لا ، وهو ذو المكانة العالية ، بحيث إنه أفضل الخلق على الإطلاق ، وخاتم النبيين وإمامهم ، والشفيع المشفع يوم الدين؟!

وتحققت الأمنية تلك في منتصف شعبان ، وعند ذلك حدثت فتنة ، حيث أشاع البعض أن الذين ماتوا قبل تحويل القبلة لم يستفيدوا من صلاتهم شيئاً ، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَنِ الْيَمْنِ إِنَّكَ اللَّهُ الْكَاسِرُ لِرَأْوَفٍ رَجِيمٍ ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

وراح اليهود ومشركو مكة يُشيعون الإشاعات بين الناس ، ويشككون في مسألة تحويل القبلة ، قال الزهري : وصُرفت القبلة نحو المسجد الحرام - فذكر الحديث وفيه - قال : فأنشأت اليهود تقول : قد اشتاق الرجل إلى بلده ، وبيت أبيه ، ومالهم حتى تركوا قبلتهم يُصلُّون مرة وجهاً ومرة وجهاً آخر^(١) .

وجاء الرد الإلهي : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ١٤٢] .

يا سيدي يا رسول الله معذرة إذا كبا فيك تيباني وتعبيري ماذا أوفيك من حقٍّ وتكرمةٍ وأنت تعلو على ظني وتقديري أقبلت كالفجر وضاح الأسارير تدعو إلى الله في يسرٍ وتبشيرٍ على جبينك نور الحق منبجاً وفي يديك لواء العدل والنور

* * *

(١) دلائل النبوة ، البيهقي : ٥٧٤/٢ .

اللهم إني أسألك ما وعدتني

كما هو معلوم ، فالمسلمون ما خرجوا إلى بدر من أجل قتال ، إنما كان السبب الرئيسي لخروجهم هو أنهم أرادوا مصادرة قافلة تجارية لأهل مكة .

لكن شاء الله تعالى أن تكون معركة الفرقان بين الشرك والإيمان ، لكن الشيء الرائع في الحكاية أن المعصوم ﷺ عندما رأى الحال المأساوي لهم ، رفع أكفّه ودعا الله لهم ، واستجاب الله الدعاء وانقلب الحال إلى أحسن حال ، وذلك بدعاء روح الوجود محمد ﷺ :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خرج يوم بدر في ثلاثمائة وخمسة عشر ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم إنهم حفاة فاحملهم ، اللهم إنهم عراة فاكسهم ، اللهم إنهم جياع فأشبعهم ، فانقلبوا حين انقلبوا ، وما منهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين ، واكتسوا وشبعوا »^(١) .

... وقبيل المعركة وقف المعصوم ﷺ يحدّد مصارع عتاة الجاهلية ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه - فذكر الحديث وفيه - قال : فقال رسول الله ﷺ : « هذا مصرع فلان » قال : ويضع يده على الأرض ، ههنا وههنا ، قال : فما مآط^(٢) أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ^(٣) .

... وهكذا قضى المصطفى ﷺ ليلته مُصلياً باكياً داعياً ، حتى الصبح ، وكان يقول في دعائه : « اللهم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها تُحدّك

(١) سنن أبي داود: ٣/ ١٨١ .

(٢) أي : تنخى وتُعد .

(٣) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٠٢ ، مسند أحمد: ٣/ ٢١٩ .

وَتَكْذِبَ رَسُولُكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مَا وَعَدْتَنِي^(١) .

وعند تسوية النبي ﷺ الصفوف حدثت هذه الحادثة الرائعة :

كان الرسول ﷺ يعدّل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده قدح^(٢) ، فمرّ سواد بن غزيرة وهو مستنثل^(٣) من الصف ، فطعن في بطنه بالقدح ، وقال : « استو يا سواد » فقال : يا رسول الله أوجعتني ، وقد بعثك الله بالحق والعدل ، فأقذني^(٤) .

قال : فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه ، وقال : « استقِدْ » ، قال : فاعتنقه ، فقَبِلَ بطنه ، فقال : « ما حملك على هذا يا سواد ؟ » قال : يا رسول الله ، حضر ما ترى ، فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن يمسّ جلدي جلدك ، فدعا له رسول الله ﷺ بخير^(٥) .

يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً ، فرضي الله عنكم ، وصلى الله على روح الوجود حبيبنا محمد :

لم يبق للبلغاء فضلٌ بعدما نطق بك الآيات من ربّ السما
كلاً ولو جعلوا القوافي أنجماً أيروم مخلوقٌ ثناءك بعدما
أثنى على أخلاقك الخلاقُ ؟ !

* * *

(١) دلائل البهقي : ١١١ / ٣ .

(٢) هو : السهم الذي يُرمى به عن القوس .

(٣) أي : متقدّم .

(٤) القود : القصاص .

(٥) تاريخ الطبري : ٤٤٦ / ٢ ، عيون الأثر : ٢٥٥ / ١ .

ركضاً إلى الله بغير زاد

وفي بدايات معركة بدر ، راح النبي ﷺ يُحرّض الأصحاب على القتال ، وكان يقول : «والذي نفس محمد بيده لا يُقاتلهم اليوم رجلٌ فيُقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مُدبرٍ إلّا أَدْخله الله الجنة»^(١).

عند ذلك تحمّس المسلمون ، وفهم عمرو بن الحارث رضي الله عنه ، حيث قال : يا رسول الله ، ما يُضحك الربّ من عبده؟ قال : «غمسه يده في العدو حاسراً» ، فنزع درعاً كانت عليه ، فقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتل رحمه الله^(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه - فذكر الحديث وفيه - قال : فدنا المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض».

فقال عمير بن الحمام رضي الله عنه : يا رسول الله ! جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال : «نعم» قال : بخٍ بخٍ ، فقال رسول الله صلوات الله عليه : «ما يحملك على قولك بخٍ بخٍ؟».

قال : لا ، والله يا رسول الله إلّا رجاءة أن أكون من أهلها.

قال : «فإنك من أهلها» فأخرج تمراتٍ من قرنيه^(٣) ، فجعل يأكل منهنّ ، ثم قال : لئن أنا حييتُ حتى آكل تمراتي هذه ، إنها لحياة طويلة!

(١) سيرة ابن هشام : ٢ / ٢٦٧ .

(٢) تاريخ الطبري : ٢ / ٤٤٨ .

(٣) أي : من جُعبته .

قال: فرمى بما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قُتل ^(١).

وفي رواية أخرى: فقاتل القوم حتى قُتل وهو يقول:

ركضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد غرضة التفاد
غير التقى والبر والرشاد ^(٢)

أجل يا رسول الله!

لقد كانت معركة فاصلة بين الحق والباطل ، حيث استبسل الصحابة استبسالاً لا مثيل له ، وأيدهم الله بالملائكة ، وكان ذلك كله ببركة دعاء الحبيب ﷺ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَكِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ ^(١) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ^(٢) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ^(٣) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَكِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَتْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ٩ - ١٢].

وقُتل في بدر أئمة المشركين ، أمثال: أمية بن خلف ، وأبي جهل ، وأبي البختري ، وغيرهم . فصلاة الله وسلامه عليك يا روح الوجود يا محمد:

وَأثَابُهُمْ فِي الْأَجْرِ خَيْرُ ثَوَابٍ	وَكَفَى الْإِلَهِ الْمُؤْمِنِينَ قِتَالَهُمْ
تَنْزِيلِ نَصْرٍ مَلِكْنَا الْوَهَابِ	مَنْ بَعْدَمَا قَنَطُوا فَفَرَجَ عَنْهُمْ
وَأَذَلَّ كُلَّ مَكْذِبٍ مَرْتَابٍ	وَأَقَرَّ عَيْنَ مُحَمَّدٍ وَصَحَابِهِ
وَالْكَفَرِ لَيْسَ بِطَاهِرِ الْأَثَوَابِ	مُسْتَشْعِرٍ لِلْكَفَرِ دُونَ ثِيَابِهِ

* * *

(١) صحيح مسلم: ٣/ ١٥١٠ ، مسند أحمد: ٣/ ١٣٦ .

(٢) تاريخ الطبري: ٢/ ٤٤٨ .

يا أيها المبعوث تقطر عفة

ويوم بدر قام الصحابة ببطولات رائعة ، منها على سبيل المثال لا الحصر :
أبو بكر رضي الله عنه كان يُريد قتل ابنه المشرك عبد الرحمن : عن محمد بن عمر قال : وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق لم يزل على دين قومه في الشرك ، حتى شهد بدرًا مع المشركين ، ودعا إلى البراز ، فقام إليه أبو بكر ليبارزه!!^(١).

عمر رضي الله عنه قتل خاله : ذات يوم قال عمر رضي الله عنه لسعيد بن العاص ومربه : إني أراك كأن في نفسك شيئاً ، أراك تظنّ أنني قتلتُ أباك ، إني لو قتلتُه لم أعتذر إليك من قتله ، ولكنني قتلتُ خالي العاص بن هشام بن المغيرة ، فأما أبوك فإني مررتُ به وهو يبحث بحث الثور برؤوقه^(٢) ، فجدتُ عنه وقصد له ابن عمه عليّ فقتله!^(٣).

أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قتل أباه^(٤) ، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [المجادلة : ٢٢].

... وأما الأسارى من المشركين ، فكان للرسول ﷺ أحوال غريبة ، منها : ما رواه يزيد بن الأصم قال : لما كانت أسارى بدر كان فيهم العباس عم

(١) المستدرک ، الحاكم : ٤٧٤ / ٣ .

(٢) الروق : قرن الدابة .

(٣) سيرة ابن هشام : ٢٧٧ / ٢ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير : ٣٢٩ / ٤ .

الرسول صلوات الله عليه ، فسهر ليلته ، فقال له بعض أصحابه: ما أسهرك يا نبي الله؟ فقال: «أني العباس» فقام رجل فأرخى من وثاقه ، فقال رسول الله ﷺ: «مالي لا أسمع أنين العباس؟» فقال رجل من القوم: إني أرخيت من وثاقه شيئاً ، قال: «فافعل ذلك بالأسارى كلهم»^(١).

مثال آخر: عن عائشة رضي الله عنها ، قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة رضي الله عنها أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها ، قالت: فلما رآها رسول الله ﷺ رَقَّ لها رقَّةٌ شديدة ، وقال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردّوا عليها مالها فافعلوا» ، فقالوا: نعم يا رسول الله ، فأطلقوه وردّوا عليها الذي لها^(٢).

وهكذا علّم نبي الرحمة الأجيال كيف يجب أن يُعامل الأسير ، وذلك بقوله: «استوصوا بالأسارى خيراً»^(٣).

أجل! يا روح الوجود ، يا من وصفك الله بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [التوبة: ١٢٨].

زرع المودة حين طهر مكة وبأمر رب العرش يَمِّم قبلةً
يا أيها المبعوث تقطر عفةً يا خير من جاء الوجود تحيةً
من مرسلين إلى الهدى بك جاؤوا

لمحمد طُرق القوافل أُمّت وله العقيدة والشرعة يُبَيِّنُ
كل القلوب من التناحر حُصْنَت بك بشر الله السّماء فزَيَّنَتْ
وتضوّعت مسكاً بك الغبراء

(١) طبقات ابن سعد: ١٣/٤.

(٢) المسند ، الإمام أحمد: ٢٧٦/٦.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (مجمع الزوائد للهيتمي: ٨٦/٦).

يمضي وربُّ العالمين سلاحه ولنا تشفع بالسَّجود صلاحه
باب السَّماحة والتقى مفتاحه يومٌ يتيه على الزمان صباحه
ومساؤه بمحمدٍ وضاء

* * *

لَعَلَّكَ جِئْتَ تَخْطُبُ فَاطِمَةَ

عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : خُطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ ، فقالت لي مولاة لي : هل علمت أن فاطمة قد خُطبت إلى رسول الله ﷺ؟ قلتُ : لا ، قالت : قد خُطبت ، فما يمنعك أن تأتي رسول الله فيزوّجك؟ .

فقلتُ : وعندي شيءٌ أتزوّج به؟ فقالت : إنك إن جِئتَ رسول الله ﷺ زوّجك . قال : فوالله ما زالت تُرجيني حتّى دخلتُ على رسول الله ﷺ ، وكان له جلالَةٌ وهيبَةٌ ، فلما قعدت بين يديه أفحمتُ^(١) ، فوالله ما استطعتُ أن أتكلّم! .

فقال رسول الله ﷺ : «ما جاء بك؟ ألك حاجة؟» ، فسكتُ ، فقال : «لعلّكَ جِئتَ تخطبُ فاطمة» ، فقلتُ : نعم ، فقال : «وهل عندك من شيءٍ تستحلّها به؟» ، فقلتُ : لا ، والله يا رسول الله ، فقال : «ما فعلتُ درعٌ سلّحتُكها؟» - فوالذي نفس عليّ بيده إنها لخطميّةٌ وثمنها أربعة دراهم - ، فقلتُ : عندي ، فقال : «قد زوّجتُكها ، فابعث إليها بها فاستحلّها بها» ، فإن كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ^(٢) .

وفي رواية أخرى : أن النبي ﷺ خطب خطبة جاء فيها : «... ثم إن الله تعالى أمرني أن أزوّج فاطمة من عليّ ، فاشهدوا أني قد زوّجته على أربعمئة مثقال فضة إن رضي بذلك عليّ» .

(١) أي : أسكتُ .

(٢) دلائل البيهقي : ٣ / ١٦٠ .

ثم دعا ﷺ بطبقٍ من بُسْرٍ ، ثم قال : « انتهبوا »^(١) ، فانتهبنا ، ودخل عليّ فتبسّم النبي ﷺ في وجهه ، ثم قال : « إن الله أمرني أن أزوّجك فاطمة عليّ أربعمئة مثقال فضة ، أَرْضَيْتَ بِذَلِكَ ؟ » .

فقال : قد رَضِيتُ بِذَلِكَ يا رسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : « جمعَ الله شملكما ، وأعزّ جدكما ، وبارك عليكما ، وأخرج منكما كثيراً طيّباً » ، قال أنس - راوي الحديث - : فوالله لقد أخرج منهما الكثير الطيّب^(٢) .

... وأما جهاز فاطمة ريحانة المصطفى ﷺ فكان أمراً عجباً!! .

عن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما ، قالتا : أمرنا رسول الله ﷺ أن نُجهّز فاطمة حتّى نُدخلها عليّ عليّ ، فعمدنا إلى البيت ففرشناه تراباً لِيناً من أعراص البطحاء ، ثم حشونا مرفقتين^(٣) ليفاً ، فنفشناه بأيدينا ، ثم أطعمنا تمرّاً وزبيباً ، وسقينا ماءً عذباً ، وعمدنا إلى عودٍ فعَرَّضناه في جانب البيت لِيُلْقَى عليه الثوب ويُعلّق عليه السَّقاء ، فما رأينا عرساً أحسن من عرس فاطمة^(٤) .

أجل! يا روح الوجود يا أبا الزهراء:

أهكذا يكون جهاز ابنتك المفضلة التي قلت عنها : « إنما فاطمة شُجْنَةٌ »^(٥) مِنِّي ، يبسطني ما يبسطها ويقبضني ما يقبضها؟!^(٦) .

أهكذا حفلة عرس ابنة القائد المعصوم؟! أبداً ، لولا أن المسألة أن روح الوجود صلوات الله عليه يعلم الأجيال وإلى قيام الساعة الاهتمام بالجواهر... والروح... وبالأصل ، وعدم التركيز على القشور!! .

(١) أي : خذوا .

(٢) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ، للقسطلاني : ٤ / ٢ .

(٣) المرفقة : كالوسادة .

(٤) سنن ابن ماجه : ٦١٦ / ١ .

(٥) أي : الرحم المشبكة ، أو القطعة .

(٦) المسند : ٣٣٢ / ٤ .

قلبي بنار لظى الأحباب يشتعل وأدمعي منذ جدّ السير تنهملُ
ناديتهم حين سارت فيهم الإبل يا قاطعين جبال الودّ مُذْ رحلوا
قطّعتوا بسيف الهجر أوصالي

* * *

رحمك الله أبا السائب

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما مات عثمان بن مظعون قالت امرأته: هنيئاً لك الجنة يا عثمان، فنظر إليها رسول الله ﷺ، وقال: «وما يدريك؟»، قالت: يا رسول الله، فارسك وصاحبك، فقال صلوات الله عليه: «إني رسول الله، وما أدري ما يفعل بي» فأشفق الناس على عثمان، فلما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ، قال الرسول ﷺ: «ألحقوها بسلفنا الخير عثمان بن مظعون»، فبكت النساء، فجعل عمر رضي الله عنه يضربهن بسوطه، فأخذ رسول الله ﷺ يده وقال: «مهلاً يا عمر»^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قبّل عثمان بن مظعون وهو ميّت، وهو يبكي، قال: وعيناه تهرقان^(٢).

وعن أبي رافع رضي الله عنه، قال: وكان أول من قُبر في مقبرة البقيع عثمان بن مظعون رضي الله عنه، فوضع رسول الله ﷺ حجراً عند رأسه، وقال: «هذا قبر فرطنا»^(٣) وكان إذا مات المهاجر بعده، قيل: يا رسول الله، أين ندفنه؟ فيقول: «عند فرطنا عثمان بن مظعون»^(٤).

وعن المطلب قال: لما مات عثمان بن مظعون أُخرج بجنازته فدُفن، فأمر النبي ﷺ رجلاً أن يأتيه بحجر، فلم يستطع حمله، فقام إليها رسول الله ﷺ وحسر عن ذراعيه، قال المطلب: قال الذي يخبرني ذلك رسول الله ﷺ، قال: كأني أنظر إلى بياض ذراعي رسول الله ﷺ حين حسر عنهما، ثم حملها

(١) المسند: ٢٣٧/١، المستدرک: ١٩٠/٣.

(٢) سنن الترمذي: ٣/٣١٤، سنن ابن ماجه: ١/٤٦٨.

(٣) الفرط: السابق والمتقدم.

(٤) المستدرک: ١٨٩/٣.

فوضعها عند رأسه ، وقال : « أتعلمُ بها قبر أخي ، وأدفنُ إليه من مات من أهلي »^(١).

أجل!

أي رحمة أنت يا رسول الله؟ وأي حرصٍ على أصحابك وعلى المؤمنين؟ كيف لا ، والله قد أكرمك بأن اشتق لك من أسمائه اسمين ، وهما : الرؤوف ، والرحيم ، فكنت بالمؤمنين كذلك ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَجِيمٌ ﴾ [١٦٧] فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [التوبة ١٢٨ - ١٢٩].

وتلك المواقف الرائعة مع عثمان بن مظعون لم تكن خاصة به ، بل حدث مثلها الكثير ، فصلوات الله وسلامه عليك يا روح الوجود . . يا رسول الله :

وما محمدٌ إلا رحمةٌ بُعثت	للعالمين وفضل الله مبذولٌ
هو الشفيع إذا كان المعاد غداً	واشتد للحشر تخويفٌ وتهويلٌ
فما على غيره للناس معتمدٌ	ولا على غيره للناس تعويلٌ
إن امرءاً شملته من شفاعته	عنايةٌ لامرؤٍ بالفوز مشمولٌ
أعلى المراتب عند الله رتبته	فاعلم فما موضع المحبوب مجهولٌ
لقد علمتم ولكن صدكم حسدٌ	أنا بما جاءنا قومٌ مقابلٌ

* * *

(١) سنن أبي داود : رقمه (٣٢٠٦).

اذهب فاقتل أباك!!

حين قدم رسول الله ﷺ المدينة مهاجراً ، تلقاه طلحة بن البراء رضي الله عنه ، وهو غلامٌ حَدَثٌ ، وصار يلصق بدنه بناقة رسول الله ﷺ ، ويُقبل قدميه وهو يقول : يا رسول الله ! مُرني بما أحببت ، لا أعصي لك أمراً .

فضحك لذلك رسول الله ﷺ ، وأعجب به ، وقال له مداعباً : « اذهب فاقتل أباك » فذهب طلحة راكضاً ليقتل أباه كما طلب منه رسول الله ﷺ ، فدعاه ﷺ النبي وقال له : « إني لم أبعث بقطيعة الرحم » .

ثم مرض طلحة بعد ذلك ، فأتاه رسول الله ﷺ يعودُه ، وكان في شتاء وبردٍ وغيم ، فقعده عنده رسول الله ﷺ ، ثم انصرف وهو يقول : « إني لأرى طلحة قد حدث عليه الموت ، فإذا مات فأذنوني به حتى أصلي عليه وعجلوا » .

فلم يبلغ رسول الله ﷺ ببني سالم ، حتى توفي طلحة وجنّ عليه الليل ، وقال طلحة عند وفاته : إذا متُّ فادفنوني وألحقوني بربي ، ولا تدعوا رسول الله ﷺ ، فإني أخاف عليه اليهود ، وأن يُصاب بسببي ! .

ففعّلوا ذلك ، ثم أخبروا رسول الله ﷺ حين أصبح ، فجاء صلوات الله عليه ووقف على قبره ، وصفّ الناس ، ثم رفع يديه وقال : « اللهم اَلقْ طلحة وأنت تضحك إليه ، وهو يضحك إليك »^(١) .

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب : ٧٦٣/٢ ، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر : ٢٨٨/٣ .

أجل!

ما هذا التلاحم بين القائد وجنوده؟ وما هي هذه الرحمة يا رسول الله . . يا نبي الرحمة؟ لكن كيف لا يكون ذلك والله تعالى قد حضّ المسلمين -وعلى رأسهم الصحابة- على إلزام محبة الحبيب ﷺ، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وكيف لا يكون موقف طلحة مع الحبيب ﷺ - هو والصحابة - وقد سمعوا منه: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»^(١).

وكيف لا يكون حبهم للحبيب ﷺ ، وقد علموا أن ثواب محبته كبير جداً ، مصداق ذلك ما رواه صفوان بن قدامة ، قال: هاجرت إلى النبي ﷺ فأتيته ، فقلت: يا رسول الله! ناولني يدك أبايعك ، فناولني يده ، فقلت: يا رسول الله! إني أحبك ، فقال: «المرء مع من أحب»^(٢).

عذراً إليك رسول الله من كلمي	إن الكريم لديه العذر مقبول
إن لم يكن منطقي في طيبة عسلاً	فإنه بمدحي فيك معسول
رجوتُ غفران ذنبٍ موجب تلّفي	له من النفس إملاءً وتسويل
وليس غيرك لي مولى أو ملة	بعد الإله وحسبي منك تأميل
ولي فؤاد محبّ ليس يقنعه	غير اللقاء ولا يشفيه تعليل
فأنشني ويدي بالفوز ظافرة	وثوب ذنبي من الآثام مغسول
دامت عليك صلاة الله يكفلها	من المهيمن إبلاغ وتوصيل

* * *

(١) صحيح مسلم: رقمه (٤٤).

(٢) رواه الطبراني (مجمع الزوائد للهيتمي: ٣٦٥/٩).

ربح صُهَيْب

قال صهيب الرومي رضي الله عنه^(١) : خرج رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وخرج معه أبو بكر ، وكنت قد هممت معه بالخروج ، فصَدَّنِي فتیان من قریش .

فجعلت ليلتي تلك أقوم ولا أقعد ، فقالوا : قد شغله الله عنكم ببطنه - يعني الإسْهال - ولم أكن شاكياً ، فناموا فخرجت ، ولحقني منهم ناسٌ بعدما سُرْتُ ، يريدون ليردوني ، فقلت لهم : إن أعطيتكم أواقي من ذهبٍ وتخلّون سيّلي ، وتوفون لي ؟ .

ففعّلوا ، فتبعتهم إلى مكة ، فقلت : احفروا تحت أسْكُفَّة^(٢) الباب ، فإن بها أواقي ، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحليتين .

وخرجتُ حتّى قدمت على رسول الله ﷺ بقاءً قبل أن يتحوّل منها ، فلما رآني قال : «يا أبا يحيى ربح البيع» .

فقلت : يا رسول الله ! ما سبقني إليك أحد ، وما أخبرك إلا جبريل عليه السلام . وفي رواية أخرى : إن كفار قریش قالوا لصهيب : أتيتنا صعلوكاً حقيراً ، فكشّر مالك عندنا .

وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ؟ والله لا يكون .

فقال لهم صهيب : أرايتم إن جعلتُ لكم مالي ، أتخلّون سيّلي ؟ قالوا : نعم ، فأعطاهم المال وخرج بنفسه مهاجراً ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : «ربح صهيب ، ربح صهيب» .

(١) سيرة ابن هشام : ١٢١ / ١ ، طبقات ابن سعد : ١٦٣ / ٣ .

(٢) أي : عتبها .

وفيه نزلت الآية الكريمة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

هكذا كانت تضحيات الصحابة الأماجد ، وذلك لحبهم الكبير للرسول الأعظم صلوات الله عليه :

رسول الله صار لنا دليلاً يضيء بنوره ليلاً طويلاً
يطمئننا وقد كنّا قليلاً نبي البر بينه سيلاً
وسنّ خلاله وهدى الشعابا

إله الخلق أودع فيه نبلاً بأعينه رأى الأيام حُبلاً
سعى فرأى من الإيذاء هبلاً وكان يئانه للهدى سُبلاً
وكانت خيله للحقّ غابا

تخيرنا إلى الإيمان صوتاً يفتّ معاقل العصيان فتاً
بدعوته بنى الله بيتاً وعلمنا بناء المجد حتى
أخذنا إمرة الأرض اغتصابا

له استمعت طيورٌ فوق غصنٍ مغرّدةٌ بثغر رباب مُزِنِ
أضاء الدرب في ألق التأنّي وما نيل المطالب بالتمني
ولكن تُؤخذ الدنيا غلابا

نبي الله ليس له مثالٌ وفي البيت العتيق له جلالُ
بصوت الحق نادانا بلالُ وما استعصى على قوم منالُ
إذا الإقدام كان لهم ركابا

فصلاة الله وسلامه عليك يا نبي الرحمة . . يا روح الوجود . . يا أبا الزهراء .
ونسأل الله أن يحشرنا في ظلال شفاعتك يوم الدين .

* * *

بارك الله عليك

كانت لحارثة بن النعمان الأنصاري رضي الله عنه منازل قرب منزل النبي ﷺ بالمدينة ، وكان مسروراً بهذا الجوار ، حتى قال : كان بيننا تنور واحد نخبز به نحن ورسول الله ﷺ ، وكان يسمع تلاوة النبي وصلاته ودعائه في الليل .

وقد بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة ، وأعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين ، فقدا عليه بفاطمة وأم كلثوم بنتيه ، وسودة بنت زمعة زوجته ، وأم أيمن زوج زيد ، وابنها أسامة ، وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر ، فلما قدموا عليه المدينة ، أنزلهم رسول الله ﷺ في بيت حارثة! .

وكان كلما تزوج رسول الله ﷺ ، تحوّل له حارثة عن منزل بعد منزل ، حتى صارت منازلهم إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام! .
وحين دخل عليّ بفاطمة رضي الله عنهما ، قال رسول الله ﷺ : «إني أريد أن أحولك إليّ» .

فقالت فاطمة : يا أبتاه! لو كلمت حارثة أن يتحوّل لنا عن منزله؟ .
فقال رسول الله ﷺ : «قد تحوّل لنا حارثة ، حتى استحيت مما يتحوّل لنا عن منازلهم» . فبلغ ذلك حارثة بن النعمان ، فجاء إلى رسول الله ﷺ ، وقال : يا رسول الله! بلغني أنك تريد أن تحوّل فاطمة إليك ، وهذه منازلني وهي أسقُب^(١) بيوت بني النجار بك ، وإنما أنا ومالي لله ورسوله ، والله يا رسول الله ، للذي تأخذني مني أحبّ إليّ من الذي تدع . فقال عليه الصلاة

(١) أي: أقرب .

والسلام: «صدقت ، بارك الله عليك» ثم حوّل فاطمة إلى بيت حارثة^(١).

أجل يا حارثة!

لقد صدقت فيما قلت ، وصدقت فيما فعلت! ولولا المحبة التي ملأت قلبك ما قلت للرسول ﷺ: إنما أنا ومالي لله ورسوله.

ولما قلت أيضاً: يا رسول الله! للذي تأخذه مني أحب إلي من الذي تدع!!
لمحمد كل القلوب مطيعةً وحقوق إيتاء الزكاة شفيعةً
وجبال مكة بالإله منيعةً الحرب في حقّ لديك شريعةً
ومن السموم الناقعات دواءً

النفس من ثقل الذنوب مريضةً وبجوار أوزار العباد مهیضةً
أرواح كل المؤمنين حظيظةً والبرّ عندك ذمةً وفريضةً
لا منّة ممنونة وجباءً

الله كرم في السماء رسوله وعليه بالأقصى أتمّ جميلةً
بفريضة التقوى أقام دليله جاءت فوحدت الزكاة سبيله
حتى التقى الكرماء والبخلاء

بعقيدة التوحيد ينزاح الضنى والكل في كنف القوارير اهتنى
دين السّماحة بالصلاح أعزنا أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى
فالكل في حق الحياة سواءً

بك يا حبيب الله تزدهر الفلا وبما أتيت به من الله علا
لك يا محمد داجي الهمّ قد انجلى يا من له الأخلاق ما تهوى العلا
منها وما يتعشق الكبراء

* * *

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي: ١/ ١٨٧ ، المستدرک: ٣/ ٢٠٨.

رضينا يا رسول الله

أقام رسول الله ﷺ في قباء عدة أيام ، ولما أراد أن يتحوّل إلى المدينة ، تحوّل معه المهاجرون ، فتنافس الأنصار في إكرامهم واستقبالهم وحُسن منزلهم ، حتى اqترعوا عليهم بالأسهم ، فما نزل أحدٌ من المهاجرين على أحدٍ من الأنصار إلا بقرعة .

وتصرّف المهاجرون في دور الأنصار وأموالهم ، وبذل الأنصار ما وسعهم الجهد إكراماً لإخوانهم المهاجرين .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال المهاجرون : يا رسول الله ! ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ، ولا أحسن بذلاً من كثير ، لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المَهْنأ ، حتى لقد خشينا أن يذهب الأنصار بالأجر كله .

فقال رسول الله ﷺ : « لا ، ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم » .

ثم قال للأنصار : « إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم » .

فقالوا : إن أموالنا بيننا قطائع .

فقال الرسول ﷺ : « أو غير ذلك ؟ » .

قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟

قال : « هم قومٌ لا يعرفون العمل - أي : لا يعلمون العمل في الزراعة - فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر ؟ » .

قالوا : نعم .

ولما غنم رسول الله ﷺ أموال بني النضير ، أراد أن يخفف عن الأنصار ، فبعث ثابت بن قيس فدعا الأنصار كلهم ، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ .

فقام فيهم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر الأنصار ، وما صنعوا بالمهاجرين ، وإنزالهم إياهم في منازلهم ، وإيثارهم على أنفسهم .

ثم قال للأنصار : «إن أحببتكم قسمتُ بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله عليّ من أموال بني النضير ، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم ، وإن أحببتهم أعطيتهم وخرجوا من دوركم» .

فقام سعد بن معاذ وسعد بن عباد سيّدا الأوس والخزرج ، وقالوا : بل تقسمه للمهاجرين وحدهم ، ويكونون في دورنا كما كانوا .

ونادت الأنصار : رضينا وسلّمنا يا رسول الله .

فقال صلوات الله عليه : «اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار» . وقسم الأموال في المهاجرين وحدهم ، إلا رجلين من الأنصار كانا محتاجين ، فأعطاهما رسول الله ﷺ^(١) .

أجل يا رسول الله!

لقد تآلف الأنصار والمهاجرون على محبتك والتضحيات من أجلك ، فهنيئاً لهم ذلك .

أنتم قضيتُم للنبيّ ذِمّامه	ونصرتُم الحقّ الذي لا يُخذلُ
وصنعتُم الصُّنعَ الجميلَ كرامةً	لمهاجرين هم الفريق الأمثلُ
فعرفت موضعكم ، وكيف سما بكم	مجدٌ لكم في المسلمين مؤثّل ^(٢)
القوم قوم الله ملء دياركم	وكانهم بديارهم لم يرحلوا

* * *

(١) يراجع: صحيح البخاري: ٨٥/٥ ، سيرة ابن كثير: ٣٢٩/٢ .

(٢) المجد المؤثّل: العالي .

سمعاً وطاعةً يا رسول الله

قال عبد الله بن جحش رضي الله عنه: دعاني رسول الله ﷺ حين صلى العشاء فقال لي: «وافني مع الصبح معك سلاحك أبعدك وجهاً».

فوافيته الصبح وعليّ سيفي ، وقوسي ، وجعيتي ، ومعني درقتي ، فصلّى رسول الله ﷺ الصبح بالناس ، ثم انصرف ، فوجدني واقفاً عند بابي ، ووجدت نفرأ من المهاجرين .

فدعا رسول الله ﷺ أبي بن كعب رضي الله عنه فدخل عليه ، فأمره فكتب كتاباً ، ثم دعاني فأعطاني صحيفة من أديم خولاني .

ثم قال لي: «قد استعملتك على هؤلاء النفر ، فامض ، حتى إذا سرت ليلتين ، فانشر كتابي ، ثم امض لما فيه» .

قلت: يا رسول الله أيّ ناحية؟ قال: «اسلك النجدية» .

فمضى عبد الله بن جحش ومعه ثمانية نفر من المهاجرين ، حتى إذا سار ليلتين فتح كتاب رسول الله ﷺ ، فإذا فيه: «إذا نظرت في كتابي هذا ، فامض حتى تنزل بطن نخلة ، بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشاً ، وتعلم لنا من أخبارهم ، ولا تكرهنّ أحداً من أصحابك على المسير معك» .

فلما قرأ عبد الله بن جحش الكتاب ، قال: سمعاً وطاعة يا رسول الله .

ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة ، أرصد بها قريشاً ، حتى آتيه بخبر وقد نهاني أن أستكره منكم أحداً ، فمن كان يريد منكم الشهادة ، ويرغب بها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فماضٍ لأمر رسول الله ﷺ .

فقالوا جميعاً: نحن سامعون مطيعون لله ولرسوله ولك ، فسرّ على بركة الله ، فسار بهم حتى جاء بطن نخلة ، ما تخلف منهم أحد رضي الله عنهم .
ولما كان يوم أحد تقدّم عبد الله بن جحش ، وسلّم على رسول الله ﷺ ، وقال: يا رسول الله! إن هؤلاء قد نزلوا حيث ترى ، وقد سألت الله تعالى فقلت: اللهم أقسم عليك أن نلقى العدو غداً فيقتلونني ، ويقرّونني ، ويمثلون بي ، فألقاك مقتولاً قد صنّع هذا بي ، فتقول: فيّ صنّع هذا بك؟ فأقول: فيك ، وأنا أسألك أخرى يا رسول الله: أن تلي تركتي من بعدي ، فقال: «نعم» ، فخرج حتى قُتل ومثّل به ، ودفنه الرسول صلوات الله عليه مع عمه حمزة رضي الله عنه في قبر واحد^(١).

نعم يا رسول الله:

هكذا كان حال الصحابة الأماجد ، وكأنهم أخذوا بكلماتك العذبة وبيانك الرائع ، إلى درجة أن الواحد منهم لم يعد يستطيع أن يقول أمامك: لا! .
وكل هذا لأنهم علموا مقامك العالي ، وأحبّوك حبّاً لا مثيل له ، فضحّوا بالغالي والنفيس في سبيل إرضاء الله ورسوله ، فسلام الله عليك يا روح الوجود يا حبيب الله:

يعاودني الحنين بيوم عيدٍ وتهمسُ قائلاً: هل من مزيد؟
أغار عليك من حبٍّ جديدٍ ولو خلّقت قلوباً من حديدٍ

لما حملت كما حمل العذبا

سألتُ الحبَّ هل يدري بحالي وما ألقاه في زمن الوصال؟
ستعرف من سيشقى بالسؤال ولا يُتييك عن خلق الليالي
كمن فقدَ الأحبةَ والصحابا



(١) سيرة ابن هشام: ٢/٢٥٣، تاريخ الطبري: ٣/١٢٧٨، أسد الغابة: ٣/١٣١.

هل أنا شهيد؟!

حين طلبت قريش من الرسول ﷺ أن يُخرج إليهم القرشيين من المهاجرين ، وذلك من أجل المبارزة يوم بدر ، قال الرسول ﷺ : «يا حمزة بن عبد المطلب ، يا عبيدة بن الحارث ، يا علي بن أبي طالب ، قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» .

وكان حمزة عم الرسول ﷺ ، وعبيدة وعليّ ابني عمّيه ، فبارزوا أعداءهم من المشركين ، فقتلوه . وكان عبيدة بن الحارث قد قُطعت رجله في المبارزة ، فحمله حمزة وعليّ ، وهو ينشد :

ستبلغ عنا أهل مكة وقعةً	يهب لها من كان عن ذاك نائيا
بعتبة إذ ولّى وشيبة بعده	وما كان فيها بكر عتبة راضيا
فإن يقطعوا رجلي فأني مسلم	أرجي بها عيشاً من الله دانيا
مع الحور أمثال التماثيل أخلصت	مع الجنة العليا لمن كان عاليا
وبعت بها عيشاً تعرّفت صفوه	وعالجته حتى فقدت الأدانيا
فأكرمني الرحمن من فضل منّة	بثوب من الإسلام غطّي المساويا
وما كان مكروهاً إليّ قتالهم	غداة دعا الأكفاء من كان داعيا
ولم ينبغ إذ سالوا النبي سواءنا	ثلاثتنا حتى حضرنا المناديا
لقيناهم كالأسد تخطر بالقنا	نقاتل في الرحمن من كان عاصيا
فما برحت أقدامنا من مقامنا	ثلاثتنا حتى أزيروا المنائيا ^(١)

ثم جاؤا به - بعبيدة بن الحارث - ووضعوه عند قدمي رسول الله ﷺ ، وهو

(١) المنائيا: يريد المنايا .

قائمٌ يصلي . فلما فرغ الرسول ﷺ من صلاته التفت إلى عبدة .
فقال عبدة : يا رسول الله ، أما والله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعلم أنني
أحق منه بما قال حين يقول :

كذبتُم وبيت الله نُبزى^(١) محمداً ولما نُطاعن دونه ونناضل
ونُسلمه حتى نُصرع دونه ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم نظر إلى رسول الله ﷺ ، وقال : يا رسول الله ، هل أنا شهيد؟
فقال الرسول ﷺ : «إني أشهد إنك لشهيد» ، ثم توفي عبدة رضي الله عنه
شهيداً^(٢) .

أجل يا روح الوجود يا محمد!

إنها محبة لا مثل لها ، وكيف لا؟ وقد رأى الصحابة أنوار وجهك ، فصلاة
الله وسلامه عليك :

بك يا رسول الله تعبق دوحه وضياء نورك للجوانح فرحة
لك يا نبي الله تختم صفحة بك يا ابن عبد الله قامت سمحة
بالحق من حلل الهدى غراء

الروح في دمع العيون غريقة وبعفو خالقها الكريم طليقة
لدخول أبواب الجنان خليفة بنيت على التوحيد وهي حقيقة
نادى بها سُقراط والقدماء

النفس تزهو في مآثر طهرها تعدو إلى رب الأنام بخيرها
رُحماك رب العرش أذهب وزرها ومشى على وجه الزمان بنورها
كُهان وادي النيل والعرفاء

* * *

(١) أي : ترك ونعاف .

(٢) الكامل في التاريخ : ١٢٥ / ٢ ، المستدرک : ١٨٨ / ٣ ، سيرة ابن هشام : ٢٥ / ٣ .

يا عمير ، أنت قتلت العصماء؟!

كانت عصماء بنت مروان من بني خطمة في المدينة ، وكانت تُحرّض المشركين وأعداء الإسلام ، على محاربة رسول الله ﷺ ، وتحاول أن تبث الفرقة بين الأوس والخزرج ، وهي شاعرة ، وكثيراً ما كانت تُؤذي رسول الله ﷺ ، وهو يصبر عليها .

وحين توجه رسول الله ﷺ بأصحابه إلى بدر ، كانت عصماء تستهزئ بالمسلمين ، وتُشيد بموقف قريش ، وتبث الشائعات السيئة تحاول بها أن تثبط العزائم! فنذر عمير بن عدي الخطمي ، لئن ردّ الله رسوله سالماً من بدر إلى المدينة ، ليقتلها ، وكان عمير مكفوف البصر ، وهو إمام بني خطمة وقارئهم ، فلما دعا رسول الله ﷺ إلى المدينة ، عزم عمير على أن يفي بنذره .

فدخل دار عصماء ليلاً ، وقصد حجرتها ، فدخلها وهي نائمة مع أولادها ، فجسّهم بيده ، حتى عرفها ، فوضع السيف في صدرها حتى أنفذه من ظهرها ، ثم خرج وأتى المسجد قبيل الفجر .

وبعد صلاة الفجر ، قام لينصرف ، فنظر إليه رسول الله ﷺ ، وسأله : «أقتلت بنت مروان؟» .

قال : نعم ، قال : «نصرت الله ورسوله يا عمير» .

فقال عمير : هل عليّ من شأنها شيء يا رسول الله؟

قال : «لا ينتطح فيها عنزان» .

ثم قال رسول الله ﷺ لأصحابه : «إذا أحببتهم أن تنظروا إلى رجلٍ نصر الله

ورسوله بالغيب ، فانظروا إلى عمير بن عدي» .

وكان رسول الله ﷺ يسمّيه : عمير البصير ، ولما عاد عمير إلى أهله في بني خطيمة ، وجد أولاد عصماء في جماعة يدفنونها! فقالوا: يا عمير ، أنت قتلتها؟

قال: نعم ، فكيدوني جميعاً ثم لا تنظروني ، فوالذي نفسي بيده ، لو قلتم بأجمعكم ما قالت ، لضربتكم بسيفي هذا حتى أموت أو أقتلكم!!^(١) .

نعم يا عمير البصير!

سلمت يداك على ما فعلت بالعصماء ، ذلك لأن حكم من سب الرسول ﷺ هو ما قاله ابن المنذر رحمه الله تعالى: أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي ﷺ يقتل ، وممن قال ذلك : الإمام مالك ، والإمام الشافعي ، والليث بن سعد ، والإمام أحمد .

وقال الإمام مالك رحمه الله : من سب رسول الله ﷺ ، أو شتمه ، أو عابه ، أو تنقصه ، قُتل - مسلماً كان أو كافراً - ولا يُستتاب .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٧] .

فهنيئاً للصحابة على غيرتهم على رسول الله ﷺ ، وطوبى لهم على ما بذلوا وضحوا في سبيل نصرته روح الوجود محمد ﷺ .

وهكذا يجب أن تكون الأمة الإسلامية ، كلها تقف في الصف الأول لنصرة قضايا الإسلام والمسلمين . نعم يا رحمة للعالمين أرسلك الله سبحانه وتعالى : الحق أنت وأنت إشراق الهدى ولك الكتاب الخالد الصفحات من يقصد الدنيا بغيرك يلقيها تيهاً من الأهوال والظلمات

* * *

(١) طبقات ابن سعد: ١٨/٢ ، سيرة ابن كثير: ٤٣٩/٤ ، الإصابة: ٣٤/٥ .

خلّ سبيلها

لما أجمعت قريش على الخروج إلى أحد لمحاربة رسول الله ﷺ ، كتب العباس بن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ كتاباً إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، يخبره فيه بمسير قريش وعدد المقاتلين ، وختم الكتاب ، واستأجر رجلاً من بني غفار ، واشترط عليه أن يصل إلى المدينة في ثلاثة أيام ، ويُعطي الكتاب إلى رسول الله ﷺ بيده ، ولا يسلمه إلى أحد غيره .

فقدم الرجل الغفاري فلم يجد رسول الله ﷺ في المدينة ، وعلم أنه في قباء ، فخرج الغفاري إليه ، فوجد النبي ﷺ على باب مسجد قباء يركب حماره ، فدفع إليه الكتاب ، فاستدعى النبي ﷺ أبي بن كعب رضي الله عنه ، فقرأه عليه ، واستكتم النبي ﷺ أياً ما في الكتاب ، ثم دخل الرسول ﷺ منزل سعد بن الربيع رضي الله عنه ، فقال : «أفي البيت أحد؟» ، قال سعد : لا ، فتكلم بحاجتك يا رسول الله .

فأخبره الرسول ﷺ بكتاب عمّه العباس عن مسير قريش ، فقال سعد : يا رسول الله ! إنني لأرجو أن يكون في ذلك خير .

واستكتم رسول الله ﷺ سعداً الخبر ، وانصرف إلى المدينة .

ولما انصرف الرسول صلوات الله عليه ، خرجت امرأة سعد بن الربيع إلى زوجها ، وسألت : ما قال لك رسول الله ؟ ، فقال سعد : مالك ولذلك ، لا أم لك ؟ .

قالت : قد كنتُ أسمع عليك ، وأخبرتُ سعداً بالذي قاله رسول الله ﷺ . فاسترجع سعد - أي قال : لا حول ولا قوة إلا بالله - ، أو : إنا لله وإنا إليه

راجعون - وقال: لا أراك تستمعين علينا ، وأنا أقول لرسول الله ﷺ تكلم بحاجتك .

ثم أخذ سعد يجمع لَمَّةَ زوجته^(١) ، ثم خرج يعدو بها حتى أدرك رسول الله ﷺ بالجسر^(٢) ، وقد بَلَغَتْ زوجته^(٣) .

فقال: يا رسول الله! إن امرأتي سألتني عما قلت لي ، فكتمتها .

ف قالت: قد سمعت رسول الله ﷺ ، فجاءت بالحديث كله ، فخشيتُ يا رسول الله أن يظهر من ذلك شيء ، فتظن أنني أفشيتُ سرَّك .

فقال الرسول ﷺ: «خلَّ سبيلها» ، ثم أرجف المنافقون واليهود في المدينة بمسير قريش ، وكانت قريش قد أخبرتهم بذلك ليبثوا الشائعات ويثبطوا العزائم^(٤) .

فذاك أبي وأمي يا رسول الله يا أحمد:

والله ربي لا نفارق ماجداً	عَفَّ الخليفة ماجدَ الأجدادِ
متكرماً يدعو إلى ربِّ العُلَى	بذلَّ النصيحة رافع الأعمادِ
مثل الهلال مباركاً ذا رحمةٍ	سمحَ الخليفة طيبَ الأعوادِ
إن تتركوه فإن ربي قادرٌ	أمسى يعود بفضلِه العوَادِ
والله ربي لا نفارقُ أمره	ما كان عيشٌ يُرتجى لمعادِ
لا نبتغي ربّاً سواه ناصراً	حتى نُوافي ضحوة الميعادِ

* * *

(١) أي: شعر رأسها .

(٢) هو جسر بطحان قرب مسجد الغمامة بالمدينة المنورة .

(٣) أي: أغمي عليها وفقدت وعيها .

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢٦/٢ - ٢٧ .

يا سيّد العفو يا رسول الله

قال ابن إسحاق: ... ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له وحشي ، يقذف بحرية له قذف الحبشة قلماً يُخطئ بها ، فقال له : اخرج مع الناس ، فإن قتلَ حمزة عمّ محمدٍ بعمي طعيمة بن عديّ فأنت عتيق!!^(١).

وقال الطبري: ... وكانت هند بنت عتبة كلما مرّت بوحشيّ أو مرّ بها ، قالت: ويها^(٢) أبا دسمة ، اشف واشتف ، وكان وحشيّ يكتنّى بأبي دُسمّة^(٣).

وقبيل التّقاء المشركين مع المسلمين ، خطب الرسول ﷺ بالمسلمين خطبةً عصماء حرّضهم فيها على القتال وحبّ الاستشهاد في سبيل الله .

وأما حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، فراح يُقاتل بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين ، وكان يصيح : أنا أسد الله^(٤).

قال وحشي - غلام جبير بن مطعم -: والله إني لأنظر إلى حمزة يهدّ^(٥) الناس بسيفه ما يُلّيق به^(٦) شيئاً مثل الجمل الأورق^(٧) ، إذ تقدّمني إليه سباع بن عبد العزى.

وفي رواية أخرى يرويها وحشي فيقول: كنت غلاماً لجبير ، وكان عمه

(١) صحيح البخاري: ١٢٨/٥ ، سيرة ابن هشام: ٥/٣ .

(٢) كلمة معناها: الإغراء والتحرّض .

(٣) تاريخ الطبري: ٥٠٢/٢ .

(٤) المستدرك ، الحاكم: ١٩٢/٣ .

(٥) هدّ الشيء: كسره وضعضعه وأوهى ركنه .

(٦) أي: لم يلق شيئاً إلّا قطعه حسامه .

(٧) الأورق: سواد في عُبرة .

طعمة بن عدي قد أصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش إلى أحد ، قال لي جبير: إن قتلت حمزة عم محمد بعمي فأنت عتيق ، قال: فخرجت مع الناس ، وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة ، قلماً أخطئ بها شيئاً ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره ، حتى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأورق يهد الناس بسيفه هذا ما يقوم له شيء ، فوالله إني لأنهيأ له أريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو مني ، إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى ، فلما رآه حمزة قال له :

هلم إليّ ، قال: فضربه ضربةً كأنما أخطأ رأسه ، قال: وهزرتُ حربتي حتى إذا رضيئت منها دفعتها عليه ، فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجله ، وذهب لينوء^(١) نحوي ، فغلب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيتُ فأخذت حربتي ثم رجعتُ إلى العسكر فقعدتُ فيه ، ولم يكن لي بغيره حاجة ، وإنما قتلته لأعتق ، فلما قدمْتُ مكة أعتقتُ!!^(٢) .

أجل!

لم يكن مقتل حمزة عم النبي ﷺ بالنسبة إليه أمراً سهلاً ، لكن مع ذلك عندما جاء قاتله وحشي مع وفد أهل الطائف ، وأعلن إسلامه ما كان من نبي الرحمة إلا أن تقبله وعفا عنه! .

بل إن وحشياً رضي الله عنه شارك في قتال المرتدين وعلى رأسهم مسيلمة الكذاب ، وشهد معركة اليرموك ، ومات في حمص ، فسلام الله عليك يا سيد العفو والصفح يا رسول الله .

في مالِكِ الملكوت صرتَ موقراً وبما يشاء جزاك خيراً محضراً
تسعى على طرق الحياة مسيراً وإذا عفوت فقادراً ومقدراً
لا يستهينُ بعفوك الجهلاء

* * *

(١) ناء بحمله: نهض به مثقلاً .

(٢) سيرة ابن هشام: ١٥/٢ - ١٦ .

أضرب بسيف الله والرسول

قال ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ يوم أحد: «من يأخذ هذا السيف بحقه؟» فقام إليه رجال فأمسكه عنهم ، حتى قام أبو دجانة سمالك ابن خرشة ، أخو بني ساعدة. فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: «أن تضرب به العدو حتى ينحني».

فقال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه ، فأعطاه إياه ، وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً ، يختال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أعلم بعصاة له حمراء ، فاعتصب بها علم الناس أنه سيقا تل ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك ، فعصب بها رأسه ، وجعل يتبختر بين الصفيين!

وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه يقول: وجدت^(١) في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعني وأعطاها أبا دجانة ، وقلت: أنا ابن صفيه عمته ، ومن قريش ، وقد قمْتُ إليه فسألته إياه قبله ، فأعطاه إياه وتركني ، والله لأنظرن ما يصنع ، فأتبعته ، فأخرج عصاة له حمراء ، فعصب بها رأسه!

فقال الأنصار: أخرج أبو دجانة عصاة الموت ، وخرج أبو دجانة وهو يقول:

أنا الذي بايعني خليلي ونحن بالسَّفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر في الكيول^(٢) أضرب بسيف الله والرسول

(١) أي: حزن وتأثرت.

(٢) أي: آخر الصفوف.

فجعل أبو دجانة لا يلقى أحداً إلا قتلته ، وكان في المشركين رجلاً لا يدع لنا جريحاً إلا ذَفَفَ عليه^(١) ، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه أبو دجانة بدرقته ، فعضت بسيفه ، وضربه أبو دجانة فقتله ، ثم رأته حمل السيف على مفرق هند بنت عتبة ، ثم عدل عنها ، فقلت : الله ورسوله أعلم .

وقال أبو دجانة : رأيت إنساناً يخمش الناس خمشاً شديداً ، فصمدت له ، فلما حملت عليه السيف ، ولول ، فإذا هو امرأة ، فأكرمتُ سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة ، وكان أبو دجانة قد ترس بنفسه دون رسول الله ﷺ يوم أحد ، ويقع النبل في ظهره ، وهو مُنْحَنٍ عليه حتى كثر فيه النبل رضي الله عنه وأرضاه^(٢) .

من البطل المعصَّب نجتليها	رقاباً ما يملّ الضرب فيها
بأبيض تنقيه ويعتريها	وتكره أن تراه ويشتهيها
لها من حدّه والي يليها	ويتنزع الحكومة من ذويها
بررت أبا دجانة إذ تريها	وحيّ الموت تطعمه كريها
صددت عن السفهية تزديها	وتكرم سيفك العفّ النزيها
تولول للمنيّة تنقيها	فإيها يا ابنة الهيجاء إيها
نجوت ولو رآك له شبيهاً	مضى الغضب المشطّب يتضيها ^(٣)
حياة مناجز ما يتغيها	إذا شهد الكريهة يصطليها

فأرسلها دماً وهوى تليداً

* * *

(١) أي : أجهز عليه .

(٢) سيرة ابن هشام : ٧٣/٣ ، تاريخ الطبري ، ١٣٩٨/٣ ، مستدرک الحاكم : ٢٣/٣ .

(٣) الغضب المشطّب : السيف به خطوط من أثر الضرب .

من يطيق ما تطيق أم عمارة؟

لما كان يوم أحد ، قاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية رضي الله عنها قتال الأبطال . وكانت أم سعد بنت الربيع تقول :

دخلتُ على أم عمارة فقلْتُ لها : يا خالة ، أخبريني خبرك ، فقالت : خرجتُ أوَّل النهار ، وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعِي سقاء فيه ماء ، فانتَهيتُ إلى رسول الله ﷺ ، وهو في أصحابه ، والريح والدولة للمسلمين .

فلما انهزم المسلمون ، انحزْتُ إلى رسول الله ﷺ ، فقمْتُ أبأشر القتال ، وأدبَ عنه بالسيف ، وأرمي عن القوس ، حتَّى خلصت الجراح إليّ .

قالت أم سعد : فرأيتُ على عاتقها جرحاً أجوف له غور ، فقلْتُ : من أصابك بهذا؟ قالت : ابن قميئة أقماه الله ، لما ولَّى الناس عن رسول الله ﷺ ، أقبل يقول : دلّوني على محمد ، فلا نجوتُ إن نجا ، فاعترضتُ له أنا ، ومصعب بن عمير ، وأنا ممن ثبت مع رسول الله ﷺ ، فضرَبني هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدوّ الله كان عليه درعان! ^(١) .

ومن شدة استبسالها في القتال ، قال النبي ﷺ : «ما التفتُ يمينا ولا شمالاً إلا وأنا أراها تُقاتل دوني» ^(٢) .

ولما حدثت الهزيمة كان لأم عمارة موقف بطولي رائع ، ترويه هي فتقول : قد رأيتني وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ فما بقي إلا في نفر ما يتمون عشرة ، وأنا وابنائي وزوجي بين يديه نذبٌ عنه ، والناس يمرّون به منهزمين ،

(١) عيون الأثر: ١٣/٢ ، طبقات ابن سعد: ٤١٣/٨ .

(٢) طبقات ابن سعد: ٤١٥/٨ .

ورآني لا تُرس معي فرأى رجلاً مولياً معه ترسٌ ، فقال لصاحب الترس: «ألق ترسك إلي من يُقاتل» ، فألقى ترسه فأخذته فجعلتُ أترسُ به عن رسول الله ﷺ ، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل ، لو كانوا رجالة^(١) مثلنا أصبناهم إن شاء الله ، فيقبل رجل على فرسٍ فضرِبني وتترسْتُ له فلم يصنع شيئاً، وولى، وأضرب عرقوب^(٢) فرسه فوقع على ظهره ، فجعل النبي ﷺ يصيح: «يا ابن أم عماره، أمك أمك!»، فقالت: فعاونني عليه حتى قتلناه^(٣).

هكذا كان الصحابة الأماجد حول الحبيب ﷺ:

همُ الجبالُ فسَلَّ عنهم مُصادمُهُم	ماذا رأى منهمُ في كلِّ مصطدم
وسَلَّ حُنيئاً وسَلَّ بدرأً وسَلَّ أحداً	فصول حتف لهم أدهى من الوخم
المُضْطَرِيّ البيضَ حمراً بعدما وردتْ	من العدا كلَّ مُسوّدٍ من اللّم
والكاتبين بسُمر الخطّ ما تركتْ	أقلامهم حرفَ جسمٍ غير منعجم
شاكِي السّلاح لهم سيما تميّزهم	والورد يمتاز بالسّيما عن السّلم
تهدي إليك رياح النصر نشرهم	فتحسبُ الزّهر في الأكمام كلّ كمي
كأنهم في ظهور الخيل نبثُ رُبّاً	من شدّة الحزم لا من شدّة الحُزم
طارَت قلوب العدا من بأسهم فرّقاً	فما تُفرّقُ بين البهْم والبهْم

* * *

(١) جمع راجل: أي ماش.

(٢) أي: ركة الدابة.

(٣) طبقات ابن سعد: ٤١٣/٨.

وهو من أهل الجنة

قاتل طلحة بن عبيد الله في معركة أُحد قتالاً شديداً ، وكان يذب - أي : يدافع - بالسيف عن رسول الله ﷺ ، من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، يدور حوله ، ويتّرس بنفسه دون رسول الله ﷺ ، وإن السيوف لتغشاه ، والنبل من كل ناحية ، وكان يدافع عن الرسول ﷺ ويفديه .

وكان أحد المشركين قد رمى بسهم يُريد رسول الله ﷺ ، فاتّقاء طلحة بيده عن وجه رسول الله ﷺ ، فأصيبت يده بالشلل من ذلك السهم .

وحين تراجع المسلمون ، أقبل شيبة بن مالك يصيح : دلّوني على محمد ، فضرب طلحة عرقوب فرس شيبة ، فرمته فرسه ، فأدركه طلحة ثم طعنه فقتله . وأُصيب يومئذٍ طلحة في رأسه ، ضربه رجلٌ من المشركين وهو مقبل ، وضربه آخر من خلفه ، فنزف الدم من رأسه حتى غشي عليه ! .

فنضح أبو بكر الماء في وجهه حتى أفاق ، فكان أول كلامه أن قال : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ .

فقال أبو بكر رضي الله عنه : بخير ، هو أرسلني إليك .

فتبسّم طلحة ، ثم قال : الحمد لله ، كل مصيبة بعده جليل .

قال ابن إسحاق : فبينما رسول الله ﷺ بالشَّعب ، معه أولئك النفر من أصحابه ، إذ علّت عاليةٌ من قریش الجبل .

فقال رسول الله ﷺ : « اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا » .

فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ومعه رهطٌ من المهاجرين يقاتلون المشركين حتى أهبطوهم من الجبل .

ثم نهض رسول الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وكان قد بدّن^(١) عليه الصلاة والسلام ، وظاهر بين درعين ، فلما ذهب لينهض لم يستطع ، فجلس تحته طلحة رضي الله عنه على هيئة الساجد في الصلاة .

فصعد رسول الله ﷺ على ظهره ، فنهض به حتى استوى عليها ، فقال : أَوْجَبَ^(٢) طلحة ، حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع .

ثم قال : «من أحب أن ينظر إلى رجلٍ يمشي في الدنيا ، وهو من أهل الجنة ، فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله»^(٣) .

هنيئاً لكم يا صحابة الحبيب ﷺ ، ويا ليتنا كنّا معكم فنفوز فوزاً عظيماً :
أعجبت أن غدت الغمامة آيةً لمحمّد يغدو بها ويروحُ
أو أن يحنّ إليه جذعٌ يابسٌ شوقاً ويشكو بثّه وينوحُ
حتى دنا منه النبيّ ومن دنا منه نأى عن قلبه التّبريحُ
شوقاً إلى حرم بطيبة آمنٍ طابت بذلك روضةٌ وضريحُ
يا برّد أكبادٍ أصاب عطاشها ماءً بريقٍ محمّدٍ مجدوحُ
صلى عليه الله إنّ صلاته غيثٌ لعلّات الذنوب مُريحُ

* * *

(١) أي : صار سميناً .

(٢) أي : وجبت له الجنة .

(٣) صحيح البخاري : ١٢٥/٥ ، تاريخ الطبري : ١٤٠٩/٣ ، مستدرک الحاكم : ٧٦٤/٢ .

لا عذر لنا عند ربنا

قال كتاب السير والمغازي والتاريخ :

وفرج الناس لقتلاهم يوم أحد ، فقال رسول الله ﷺ : «مَنْ رجلٌ ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع ، أفي الأحياء أم في الأموات؟» .

فقام محمد بن مسلمة الأنصاري ، فقال : يا سعد بن الربيع ، مرة بعد مرة ، فلم يُجبه أحد ، حتى صاح : يا سعد بن الربيع ، إن رسول الله ﷺ أرسلني أنظر ما صنعت . فأجابه سعد بصوتٍ خافتٍ ضعيف .

فنظر إليه محمد بن مسلمة ، فوجده جريحاً في القتلى ، وبه رمق ، فقال له : إن رسول الله أمرني أن أنظر : أفي الأحياء أنت أم في الأموات . . ؟

قال سعد : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله ﷺ وقل له : إن سعد ابن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته ، وأخبره أنني قد طُعنْتُ اثنتي عشرة طعنة ، وإني قد أنفذت مقاتلي . .

ثم قال سعد لمحمد بن مسلمة : أبلغ قومك عني السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله ، إن خلص إلى نبيكم ، وفيكم عينٌ تطرف ، ثم لم يلبث أن قضى شهيداً رضي الله عنه ، فجاء محمد بن مسلمة ، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك .

وحكى أبو بكر الزبيدي : أن رجلاً دخل على أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وبنت لسعد بن الربيع جارية صغيرة ، كان أبو بكر قد حملها على صدره ، وهو يرشفها ويقبلها .

فقال الرجال : هذه ابنتك يا أبا بكر؟

فقال أبو بكر: هذه بنت رجلٍ خير مني ، بنت سعد بن الربيع ، كان من النقباء يوم العقبة وشهد بداراً واستشهد يوم أحد .

وكان عباس بن عباد رضي الله عنه يصيح يوم أحد: يا معشر المسلمين ، الله ونيكم! ثم نزع مغفره . وخلع درعه ، والتفت إلى خارجة بن زيد بجانبه يقاتل . فقال له : هل لك فيهما؟

قال خارجة: لا ، أنا أريد الذي تُريد ، فاقترحما المشركين ، وعباس يصيح : ما عذرنا إن أُصيب رسول الله ﷺ وفينا عينٌ تطرف؟ فيجيبه خارجة: لا عذر لنا عند ربنا ولا حجة ، حتى استشهدا رضي الله عنهما^(١) .

أجل يا رسول الله يا أحمد!

لقد حباك الله سبحانه بحب لا مثيل له من الصحابة ، لذلك تسمع أن أحدهم جاء بماله كله فداءً لله ورسوله ، وآخر جعل جسده تُرساً ليزود عن رسول الله ﷺ ، والثالث... والرابع...

كل ذلك لأن السرّ قد وضع لهم ، وهو أن المصطفى ﷺ هو روح الوجود .	أعني الرسول فإن الله فضله
على البريّة بالتقوى وبالجود	فينا الرسول وفينا الحق نتبعه
حتى الممات ونصر غير محدود	ماضي على الهول ركابٌ لما قطعوا
إذا الكمأة تحاموا في الصناديد	وافٍ وماضي شهابٌ يُستضاء به
بدرٌ أنار على كل الأماجيد	مباركٌ كضياء البدر صورته
ما قال كان قضاء غير مردود	

* * *

(١) سيرة ابن هشام: ٣/١٠١ ، طبقات ابن سعد: ٢/٧٧ ، سيرة ابن كثير: ٣/٧٨ .

هل أتاك خبر غسيل الملائكة؟.

من البطولات النادرة التي قام بها المسلمون في غزوة أحد ما يلي :
قال ابن إسحاق : والتقى حنظلة بن أبي عامر ، وأبو سفيان يوم أحد ، وقد استعلى حنظلة على أبي سفيان ، إلا أن شدّاد بن الأسود قد رآه فعاجله بالسيف فقتله .

فقال رسول الله ﷺ : «إنّ صاحبكم - يعني حنظلة - لتغسّله الملائكة ، فاسألوا أهله ما شأنه؟» .

فسُئلت زوجته عنه ، فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة ! .
وكان أبو عامر الفاسق والد حنظلة ، ابن خالة عبد الله بن أبيّ ، وكلاهما منافق ، يؤذي رسول الله ﷺ والمسلمين .
فاتفق حنظلة بن أبي عامر ، وعبد الله بن عبد الله بن أبيّ على قتل أبويهما ، واستأذنا رسول الله ﷺ في ذلك ، فأبى رسول الله ﷺ ونهاهما^(١) .

ومن الصور الرائعة لما حدث يوم أحد هذه الصورة التي تحمل العبر والعظات :

قال محمود بن لبيد : لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد ، كان حسيل بن جابر وهو اليمان والد حذيفة ، وثابت بن وقش في الأَطام مع النساء والصبيان ، وهما شيخان كبيران .

(١) الروض الأنف للسيهلي : ١١٣/٢ ، سيرة ابن هشام : ٧٩/٣ .

فقال أحدهما لصاحبه: لا أبا لك ، ما ننتظر؟ فوالله ما بقي لواحد منا من عمره بقيّة ، إنما نحن هامة اليوم أو غد .

فقال الآخر : وماذا سنفعل إذا؟

قال : أفلا نأخذ أسيفنا ثم نلحق برسول الله ﷺ ، لعل الله يرزقنا الشهادة؟!

فأخذا أسيفهما ، ثم خرجا حتى دخلا في الناس ، ولم يعلم أحدهما!

فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون شهيداً ، وأما حسيل بن جابر ، فاختلفت عليه سيوف المسلمين عند الفزع ، فقتلوه وهم لا يعرفونه ، وكان حذيفة قد رأى أباه تنوشه سيوف المسلمين ، فأخذ يصيح : ويحكم إنه أبي!

فلم يلتفت إليه أحدٌ حتى قتلوه شهيداً ، ثم قالوا لحذيفة : والله ما عرفناه ، وقد صدقوا ، فقال حذيفة رضي الله عنه : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين .

فسمع بذلك رسول الله ﷺ ، فأراد أن يديه^(١) ، فما كان من حذيفة إلا أن تصدّق بدية أبيه على المسلمين ، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً^(٢) .

· أجل يا سيدي يا رسول الله ! .

عندما رأى الصحابة الأماجد نور وجهك ، وعرفوا شيئاً عن قدرك ومقامك عند الله تعالى ، عندئذ قدّموا الغالي والنفيس فداءً لروح الوجود صلوات الله عليه ، ولذلك سعدوا في الدارين ، فماذا عتّا نحن؟!

كلّ القلوب إلى الحبيب تميل	ومعي بهذا شاهدٌ ودليلٌ
أمّا الدليل إذا ذكرت محمداً	صارت دموع العارفين تسيلُ
هذا رسول الله هذا المصطفى	هذا لربّ العالمين رسولُ
يا سيّد الكونين يا علم الهدى	هذا المتيم في حماك نزيلُ

* * *

(١) أي : يعطيه الدّية .

(٢) صحيح البخاري : ٤٩/٥ ، تاريخ الطبري : ٢٢٢/٣ ، الكامل لابن الأثير : ١٦٢/٢ .

ما فعل رسول الله؟!

حين فرغ رسول الله ﷺ من معركة أحد ، مرّ ببني عبد الأشهل ، وهم سيكون شهداءهم .

وكانت أم عامر الأشهلية قد أُصيب زوجها وأخوها وأبوها ، مع رسول الله ﷺ في أحد ، فلما نُعوا لها ، استرجعت .

ثم قالت : فما فعل رسول الله ؟ قالوا : خيراً يا أم عامر ، هو بحمد الله كما تُحيين .

قالت : أرونيه ، حتى أنظر إليه ؟

فأشير لها إليه عليه الصلاة والسلام ، حتى إذا رآته سليماً قالت : كل مصيبة بعدك جلل - أي : هيّنة صغيرة - يا رسول الله .

فدعا لها الرسول ﷺ بخير .

وجاءت كبشة بنت رافع أم سعد بن معاذ رضي الله عنهم تعدو نحو الرسول ﷺ ، وهو على فرسه ، وابنها سعد أخذ بعنان الفرس .

فقال سعد : يا رسول الله ، أمي ، فقال : «مرحباً بها» .

قال : فدنّت حتى تأملت وجه رسول الله ﷺ ، فاستبشرت ، ثم قالت : أما إذا رأيتك سالماً ، فقد أشوت^(١) المصيبة .

فعزاها رسول الله ﷺ بولدها عمرو بن معاذ ، ثم قال : «يا أم سعد ،

(١) أي : خفّت وهانّت .

أبشري وبشري أهليهم أن قتلهم ترافقوا في الجنة جميعاً ، وقد شُفّعوا في أهليهم» .

قالت : رضينا برسول الله ، ومن ييكي عليهم بعد هذا؟

ثم قالت : ادع يا رسول الله لمن خلفوا .

فرع الرسول ﷺ أكفّه وقال : «اللهم أذهب حزن قلوبهم ، واجبر مصيبتهم ، وأحسن الخلف على من خلفوا»^(١) .

أجل!

عندما عرف الصحابة الأماجد كثيراً مما ورد من صحيح الأخبار بعظيم قدر المصطفى ﷺ ، أحبّوه .. وأطاعوه .. وقدموا بين يديه الغالي والنفيس .

من ذلك ما أورده الطبراني بالسند المتصل إلى ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله قسم الخلق قسمين ، فجعلني من خيرهم قسماً» .

فذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ [الواقعة : ٢٧] ، ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾ [الواقعة : ٤١] ، فأنا من أصحاب اليمين ، وأنا خير أصحاب اليمين .

ثم جعل القسمين أثلاثاً ، فجعلني في خيرها ثلثاً ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ (٨) ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّعْمَةِ مَا أَصْحَابُ الشِّعْمَةِ ﴾ (٩) وَالسَّيِّفُونَ ﴿ [الواقعة : ٨ - ١٠] فأنا من السابقين ، وأنا خير السابقين ، ثم جعل الأثلاث قبائل ، فجعلني من خيرها قبيلة ، وذلك قوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُ شُعوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ ﴾ [الحجرات : ١٣] ، فأنا أتقى ولد آدم ، وأكرمهم على الله ولا فخر ، ثم جعل القبائل بيوتاً ، فجعلني في خيرها بيتاً ، فذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣]^(٢) .

(١) سيرة ابن كثير : ٩٣/٣ ، سيرة ابن هشام : ١٠٥/٣ .

(٢) مجمع الزوائد للهيتمي : ٢١٤/٨ .

لم يمتَحَنَّا بما تعيا العقول به
أعيا الوريءُ فهُمُ معناه فليس يُرى
كالشمس تظهر للعينين من بُعدٍ
وكيف يدرك في الدنيا حقيقته
فمبلغ العلم فيه أنه بشرٌ
وكل آي أتى الرسل الكرامُ بها
فإنه شمس فضلٍ هم كواكبها

حرصاً علينا فلم نرتب ولم نهم
في القرب والبعد فيه غير مُنفحمٍ
صغيرةً ، وتكلُّ الطرف من أممٍ
قومٌ نيامٌ تسلَّوا عنه بالحُلُمِ
وأنه خير خلق الله كلَّهم
فإنما اتَّصلت من نوره بهم
يظهرن أنوارها للناس في الظلمِ

* * *

أَلَا أُبَشِّرُكَ يَا جَابِرُ؟!

في كتب السيرة النبوية هذه القصة الرائعة :

حين انتهت غزوة أحد ، أذن مؤذن رسول الله ﷺ ، في اليوم الثاني بطلب العدو ، وأذن مؤذنه أن لا يخرجنَّ معنا أحد لم يحضر يومنا أمس .

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه : فتقدّمت إلى رسول الله ﷺ ، وسلّمت عليه ، وقلْتُ : يا رسول الله ، إن أبي كان خلّفني على أخوات لي سبع ، وقال لي : يا بنيّ إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة ، لا رجل فيهن ، لستُ بالذي أوثرُك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي ، فتخلف على أخواتك وأوصيكُ بهنّ خيراً ، واعلم أني لا أترك بعدي أعزّ عليّ منك غير نفس رسول الله ﷺ ، فتخلف عليهن ، وإن عليّ ديناً فاقضه ، واستوص بأخواتك خيراً ، وأنا أريد الخروج معك يا رسول الله بطلب العدو .

فأذن النبي ﷺ لجابر بالخروج ، فخرج معه إلى حمراء الأسد ، وقال له : «ألا أُبَشِّرُكَ يَا جَابِرُ؟» .

قال : بلى يا نبيّ الله .

قال : «إن أباك حيث أُصيب بأحد ، أحياه الله عز وجل ، ثم قال له : ما تُحبّ يا عبد الله أن أفعل بك؟» .

قال : أي رب ، أحبّ أن تردني إلى الدنيا ، فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى»^(١) .

(١) سيرة ابن كثير : ٨٧ / ٣ ، تاريخ الطبري : ١٤٢٧ / ٣ ، صفة الصفوة لابن الجوزي : ٢٦٧ / ١ .

هنيئاً لكم يا صحابة الحبيب ﷺ!

لقد أكرمكم الله تعالى برؤية أنوار وجهه ، وعشتم معه والوحي متصل
بالسما ، فرضي الله عنكم لما قدتموه في سبيل العقيدة ، ولما دافعتم عن
روح الوجود محمد ﷺ:

إنسان عين الفخر سر جماله	(يس) إكسیر المحامد (طه)
حسبي فليست أفي بذكر صفاته	ولو أن لي عدد الحصى أفواها
كثرت محاسنه فأعجز حصرها	وغدت وما نلقى لها أشباها
إني اهتديت من الكتاب بآية	فعلمت أن علاه ليس يضاهي
ورأيت فضل العالمين محدداً	وفضائل المختار لا تتناهي
كيف السبيل إلى تقصي مدح من	قال الإله له - وحسبك جاها -
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا﴾	- فيما يقول - ﴿يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ﴾
هذا الفخار فهل سمعت بمثله	واهاً لنشأته الكريمة واها
صلّوا عليه وسلّموا ، فبذلكم	تهدي النفوس لرشدّها وغناها
صلّى عليه الله غير مقيّد	وعليه من بركاته أنماها

* * *

قُتِلَ نَبِيُّكُمْ!!

قال ابن هشام بسنده عن محمد بن إسحاق المطلبي ، فذكر ما أنزل الله عز وجل في أحد من القرآن ، إلى أن قال : ثم أنبهم بالفرار عن نبيه ﷺ وهم يُدْعُونَ وَلَا يَعْطِفُونَ عَلَيْهِ لِدُعَائِهِ إِيَّاهُمْ ، فقال تعالى : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَبِكُمْ فَأَتْبَبَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ أي : كرباً بعد كرب بقتل من قُتِلَ من إخوانكم ، وعلو عدوكم عليكم ، وبما وقع في أنفسكم من قول من قال : قُتِلَ نَبِيُّكُمْ!!

فكان ذلك مما يُبَايِع عليكم غمّاً بغم ، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من ظهوركم على عدوكم بعد أن رأيتموه بأعينكم ، ولا ما أصابكم من قتل إخوانكم حتى فرجت ذلك الكرب عنكم : ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران : ١٥٣] .

أي : وكان الذي فرّج الله به عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغم الذي أصابهم أن الله عز وجل ردّ عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيهم ﷺ^(١) .

لكن ماذا حدث عندما انتشرت إشاعة قتل الحبيب ﷺ؟!

انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجالٍ من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم ، فقال أنس : ما يجلسكم ؟ .

(١) سيرة ابن هشام : ٢٤/٣ ، مستدرک الحکم : ٢٧/٣ .

قالوا: قُتِلَ رسول الله ﷺ ، قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ فقوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ، ثم رفع أكفّه وقال: اللهم إني أعترض إليك مما صنع هؤلاء ، يعني أصحابه ، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركون - ثم تقدّم فاستقبله سعد بن معاذ رضي الله عنه ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة وربّ النضر ، إني أجد ريحها من دون أحد ، قال: فقاتلهم حتى قُتِلَ ، فوجد في جسده بضْعٌ وثمانون ، من بين ضربةٍ وطعنةٍ ورميةٍ !! .

أجل يا روح الوجود يا محمد ، ما معنى الحياة من بعدك ، خاصة بعدما عاشوا معك سنوات رأوا من خلالها كيف حباك الله ورعاك وحفظك ، وهذا دربنا إلى يوم الدين .

وَيَلُومُ فِيهِ لَائِمًا وَعَذُولًا	إِنِّي أَمَرْتُ قَلْبِي يَحِبُّ مُحَمَّدًا
لَيْسَ الْمَحَبَّةُ لِمَنْ يَحِبُّ مَلُولًا	أَحْبَبَهُ وَأَمَلْتُ مِنْ ذِكْرِي لَهُ
رَاجٍ لَهَا مِنْ رَبِّهَا تَسْهِيلًا	وَإِذَا تَعَسَّرتِ الْأُمُورُ فَإِنِّي
مَا سَوَّلْتُهُ نَفْسُونَا تَسْوِيلًا	يَا رَبِّ هَبْنَا لِلنَّبِيِّ وَهَبْ لَنَا
مِنَّا أَمْرًا لَخَطِئَتِ تَخْجِيلًا	وَاسْتَرَعَيْنَا مَا عَلِمْتَ فَلَمْ يُطَقْ
فَرَطًا تُبَلِّغُنَا بِهِ الْمَأْمُولًا	وَاجْعَلْ لَنَا اللَّهُمَّ حُبَّ مُحَمَّدٍ
كِرْمًا وَكَفَّ ضَرَامَهَا الْمَشْغُولًا	وَاصْرِفْ بِهِ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ
لَمْ تُلَفْ دُونَ ضَرِيحِهِ تَهْلِيلًا	وَاجْعَلْ صَلَاتَكَ دَائِمًا مِنْهَلَةً

* * *

لقد آذوه ﷺ كثيراً

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى ، وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجّه في جبهته ، وأن ابن قمئة جرح وجنته ، فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ، ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون ، فأخذ علي رضي الله عنه بيد رسول الله ﷺ ورفع طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً!!^(١)

وعندئذ تأثر المصطفى ﷺ بما لقيه من أذى: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه - فذكر الحديث وفيه قال -: وجعل يمسح الدم وهو يقول: «كيف يُفلح قومُ خَضَبُوا وجه نبيّهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟»

فأنزل الله عز وجل في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]^(٢).

وبعضهم أصابه من دعاء النبي ﷺ ، مثال ذلك :

ما رواه البيهقي عن مقسم ، أن النبي ﷺ دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أُحد حين كسر رباعيته ، ودمّى وجهه ، فقال: «اللهم لا تُحل عليه الحول حتى يموت كافراً» ، قال: فما حال عليه الحول حتى مات كافراً إلى النار^(٣).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ رماه عبد الله بن قمئة يوم

(١) عيون الأثر: ١٢/٢ ، سيرة ابن هشام: ٧/٣.

(٢) صحيح مسلم: ٤١٧/٣ ، سنن الترمذي: ٢٢٧/٥.

(٣) دلائل البيهقي: ٢٦٥/٣.

أحد - فذكر الحديث وفيه - قال : فقال له رسول الله صلوات الله عليه وهو يمسح الدم عن وجهه : «مالك أقمأك الله» .

قال : فسَلَطَ الله عليه تيس جبل ، فلم يزل ينطحه حتى قَطَعَهُ قطعةً قطعة! (١)

أجل يا سيدي يا رسول الله!

كم تحمّلت من متاعب ومصاعب وأذى من أجل الدعوة إلى الله تعالى؟!
وكم تحمل معك الصحابة الأكارم من ذلك أيضاً؟! أما نحن فلسان الحال عندنا يقول:

أرجوك يا ربّ في الدّارين ترحمنا	بحب من في يديه سبّح الحجرُ
وكن لطيفاً بنا في كلّ نازلةٍ	لطفأً جميلاً به الأهوال تنحسرُ
بالمصطفىّ المجتبيّ خير الأنام ومن	جلالةً نزلت في مدحه السّورُ
ثم الصلاة على المختار ما طلعت	شمسُ النهار وما قد شعشع القمرُ

* * *

(١) مجمع الزوائد للهيتمي : ١١٧/٦ .

فَلَحَسَ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ!!

وعندما حدث لرسول الله ﷺ ما حدث، بادر بعض الصحابة الأماجد إلى تخليصه من ذلك، ولاقوا في سبيل ذلك المصاعب والمخاطر.

قال ابن هشام: وذكر عبد العزيز الدراوردي بسنده عن أبي بكر الصديق أن أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما نزع إحدى الحَلَقَتَيْنِ من وجه رسول الله ﷺ فسقطت ثنيتَه، ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيتَه الأخرى، فكان ساقط الثنيتين^(١)، فانظر كيف راحوا يتنافسون في سبيل ذلك!.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت أبا بكر يقول: لما كان يوم أحد ورمي رسول الله ﷺ في وجهه حتى دخلت في وجنته حلقتان من المغفر، فأقبلتُ أسعى إلى رسول الله ﷺ وإنسان قد أقبل من قبل المشرق يطير طيراناً.

فقلت: اللهم اجعله طاعةً، حتى توافينا رسول الله ﷺ، فإذا أبو عبيدة بن الجراح قد بَدَرَنِي، فقال: أسألك بالله يا أبا بكر إلا تركتني فأنزعه من وجنة رسول الله ﷺ؟!.

قال أبو بكر رضي الله عنه: فتركته، فأخذ أبو عبيدة بثنيتَه إحدى حلقتي المغفر فنزعها وسقط على ظهره، وسقطت ثنية أبي عبيدة، ثم أخذ الحلقة الأخرى بثنيتَه الأخرى فسقطت، فكان أبو عبيدة في الناس أثرم^{(٢)(٣)}.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: شجَّ رسول الله ﷺ في وجهه

(١) سيرة ابن هشام: ٢٨/٣، عيون الأثر: ١٣/٢.

(٢) الأثرم: من انكسرت سنّة أو سقطت من أصلها.

(٣) طبقات ابن سعد: ٤١٠/٣.

يوم أحد ، فتلقاه أبو مالك بن سنان ، فلحسَ الدّم عن وجهه بفمه ، ثم ازدرده ^(١) ، فقال النبي ﷺ : « من سرّه أن ينظر إلى من خالط دمي دمه ، فليُنظر إلى مالك بن سنان » ^(٢) .

هنيئاً لكم يا صحابة الرسول ، وأسأل الله تعالى أن يجمعنا بكم تحت لواء شفاعته ، آمين :

دار الحبيب أحقُّ أن تهواها	وتحنّ من طربٍ إلى ذكراها
وعلى الجفون متى هممتَ بزورةٍ	يا ابن الكرام عليك أن تغشاها
فلأنتَ أنتَ إذا حللتَ بطيبةٍ	وظللتَ ترتعُ في ظلال رُباها
مغنى الجمال مُنى الخواطر والتي	سلبتَ عقول العاشقين حُلاها
لا تحسب المسك الزكيّ كُربها	هيهات أين المسك من رباها
طابتْ فإن تبغ التطيّب يا فتى	فأدم على الساعات لثم ثراها
وابشر ففي الخبر الصحيح مُقرراً	أن الإله بطابةٍ سَمّاها
واختصّها بالطيّين لطيبها	واختارها ودعا إلى سُكناها
لا كالمدينة منزلٌ وكفى لها	شرفاً حلولُ محمّد بفناها

* * *

(١) ازدرده : ابتلعه .

(٢) مستدرک الحاکم : ٥٦٣ / ٣ .

يَوْمَ بَدْرٍ

ومثّل المشركون بجثث شهداء أحد ، وفعلوا الأعاجيب تشفيًا وحقدًا على ما حدث لرجالهم يوم بدر!! .

عن موسى بن عقبة - فذكر الحديث وفيه - قال : وانكفأ المشركون إلى قتلى المسلمين فمثّلوا بهم ، يقطعون الآذان ، والأنوف ، والفروج ، ويقرّون البطون ، وهم يظنون أنهم قد أصابوا النبي ﷺ وأشرف أصحابه .

ثم انتشروا يتبعون قتلاهم - أي المسلمون - فلم يجدوا قتيلًا إلا قد مثّلوا به ، إلا حنظلة بن أبي عامر رضي الله عنه ، كان أبوه من المشركين فترك له . . . ، ثم وجدوا حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ قد بُقر بطنه ، وحُمِلت كبده ؛ احتملها وحشي ، وهو قتله ، يذهب بكبده إلى هند بنت عتبة في نذر نذرتة حين قتل أباها يوم بدر!!^(١) .

بعد ذلك شمت المشركون من المسلمين ، وذلك لما حدث لهم :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : . . . فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل : اُعْلُ هُبْل ، اُعْلُ هُبْل ، يعني آلته ، أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ .

فقال عمر : يا رسول الله ، ألا أُجيبه؟ قال : «بلى» .

فلما قال : اُعْلُ هُبْل ، قال عمر : الله أعلى وأجل ، فقال أبو سفيان : يا ابن الخطاب ، إنه يوم الصّمت ، فعاد فقال : أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أبي

(١) دلائل البيهقي : ٢٨٢/٣ .

قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر: هذا رسول الله ﷺ ، وهذا أبو بكر ،
وها أنا ذا عمر .

فقال أبو سفيان: يومٌ بيوم بدر ، الأيام دولٌ والحرب سجال ، فقال عمر:
لا سواءً ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ، قال: إنكم لتزعمون ذلك ، لقد
خبنا إذاً وخسرنا ، ثم قال أبو سفيان: أما إنكم سوف تجدون في قتلاكم مثلاً ،
ولم يكن ذلك عن رأي سراتنا ، ثم أدركته حمية الجاهلية فقال: أما إنه إذ كان
ذلك لم نكرهه!!^(١).

أجل يا سيدي يا رسول الله ، كم تحملت من أذى ومصاعب في سبيل
الدعوة إلى الله؟!

يا أيها المصطفى الميمون طالعه	قد أطلع الله منك النور للظلم
وحدث ربك لم تشرك به أحداً	ولست تسجد بالإغراء للضنم
وكيف تشرك بالرحمن آلهة	لا يستطيعون ردّ الروح للرّم
عاديت أهلِكَ في تحطيم باطلهم	من ينصر الله بالأصنام يصطدم

* * *

(١) مستدرک الحاکم: ٢٩٧/٢ .

رضيناك يا رسول الله

وبعد انتهاء غزوة أحد، رجع النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، وحدثت بعض نوادر الحب والتفاني والتي فيها الدروس والعبر، من ذلك مثلاً.

عن محمد بن عبد الله بن جحش رضي الله عنهم ، قال: قُمن النساء حين رجع رسول الله ﷺ من أحد يسألن الناس عن أهليهن ، فلم يُخبرن حتى أتى النبي صلوات الله عليه ، فلا تسأله امرأة إلا أخبرها ، فجاءته حمنة بنت جحش ، فقال: «يا حمنة ، احتسبي أخاك عبد الله بن جحش».

قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون ، رحمه الله وغفر له ، ثم قال: «يا حمنة ، احتسبي خالك حمزة بن عبد المطلب» ، قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون ، رحمه الله وغفر له ، ثم قال: «يا حمنة ، احتسبي زوجك مصعب بن عمير» ، فقالت: يا حرباه^(١)!

فقال النبي ﷺ: «إن للرجل لشعبة من المرأة ما هي له شيء»^(٢).

مثال آخر:

وجاءت أم سعد بن معاذ رضي الله عنهم تعدو نحو رسول الله ﷺ وهو على فرسه ، وسعد بن معاذ أخذ بلجامها ، فقال له سعد: يا رسول الله ، أُمي .

فقال صلوات الله عليه: «مرحباً بها» ، فوقف لها فدنّت حتى تأملت رسول الله ﷺ فعزّاها بابنها عمرو بن معاذ ، فقالت: أما إذا رأيْتُك سالماً فقد

(١) كلمة تُقال إذا فُجع الإنسان بعزير.

(٢) طبقات ابن سعد: ٢٤١/٨.

اشتويْتُ المصيبة^(١) ، ودعا رسول الله ﷺ لأهل من قُتل بأحد ، أي بعد أن قال
لأم سعد: «يا أم سعد ، أبشري وبشري أهلهم: إن قتلهم ترافقوا في الجنة
جميعاً ، وقد شفَعُوا في أهلهم جميعاً». قالت: رضينا يا رسول الله ، ومن
يبكي بعد هذا؟! ثم قالت: يا رسول الله ، ادْعُ لمن خلفوا ، فقال: «اللهم
أذهب حُزن قلوبهم ، واجبِر مصيبتهم ، وأحسن الخلف على من خلفوا»^(٢) .

يا منتهى القصد يا ذخري ومعتصمي	يا رحمة الله للأكوان يا سندي
ومن يُحبُّ رسول الله لم يُضَم	جعلتُ حبَّك يا خير الورى أُملي
من غير حبِّك ما في القلب من إرم	حللتَ قلبي بنور زادني شرفاً
كالروح والنفس دوماً غير منفصم	قلبي بحبِّك يا مولاي مرتبطٌ
وذكركم بلساني والدليل فمي	أرى خيالك في روعي وفي جسدي

* * *

(١) أي: استقللتها.

(٢) السيرة الحلبية: ٢/٢٥٤.

يا حبيب ، ما يُبكيك؟!

في معركة أُحد حدث هناك عدد من الحوادث المتفرقة ، فيها من الدروس والعبر الشيء الكثير ، مثال ذلك :

عن أبي عقبة - وكان مولى لأهل فارس - رضي الله عنه ، قال : شهدت مع النبي ﷺ يوم أحد فضربت رجلاً من المشركين ، فقلت : خذها مني ، وأنا الغلام الفارسي ، فبلغت النبي ﷺ فقال : ألا قلت : خذها مني وأنا الغلام الأنصاري^(١) .

مثال آخر : عن بشير بن عقبة قال : لما قُتل أبي عقبة يوم أحد ، أتيتُ النبي ﷺ وأنا أبكي ، فقال : «يا حبيب ، ما يبكيك؟ أما ترضى أن أكون أباك وعائشة أمك؟» .

قلتُ : بلى يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ! فمسح على رأسي فكان أثر يده في رأسي أسود وسائره أبيض ! وكان له رثة^(٢) فتفل فيها فانحلت ، وقال لي : ما اسمك؟ قلتُ : بحير ، قال : «بل أنت بشير»^(٣) .

مثال آخر :

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال وهو يُقاتل : أهو خير لي أن أسلم؟ قال : «نعم» .

(١) سنن ابن ماجه : ٩٣١ / ٢ .

(٢) أي : العجمة في اللسان ، وهي اللثغة والتردد في النطق .

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي : ٢٩٨ / ١٣ .

قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، ثم قال: أهو خير لي أن أُقاتل حتى أُقتل؟ قال: «نعم» ، قال: وإن لم أُصلِّ صلاة؟ قال: «نعم» .
 قال: فحملني ، فقاتل وقتل ، ثم اعتنوا عليه فقتل ، فقال رسول الله ﷺ: «عمل قليلاً ، وأجر كثيراً»^(١).

أجل! يا روح الوجود يا أبا الزهراء:

وأنزلتُ أحزاني على قبر أحمد	ضيوف كريم التبعين وهُوب
مدحتُ رسول الله أرجو ثوابه	وحاشا الندى أن لا يكون مُشبي
وقفتُ بباب الله ثم ببابه	وقوف مُلحّ بالسؤال دُوب
صفاء على اسم الله غيرُ مكدر	وحبّ لذات الله غيرُ مشوب
وأزهى بتظليل الغمام لأحمد	وعذب برود من يديه سروب
فإن كان سرُّ الله فوق غمامة	تظلُّ وماء سائغ لِشُروب
ففي مُعجز القرآن والدولة التي	بناها عليه مَقنعُ الليب

* * *

(١) سنن سعيد بن منصور: ٢/٢١٤.

فَازَ لَعَمْرُ اللَّهِ

في شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة ، قدم أبو البراء عامر بن مالك ، ملاعب الأُسنة ، على رسول الله ﷺ ، فعرض الرسول ﷺ عليه الإسلام ، ودعاه إليه ، فلم يُسلم ، ولم يبعد عن الإسلام ، ثم قال : يا محمد ، لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك ، رجوت أن يستجيبوا لك .

فقال رسول الله ﷺ : «إني أخشى عليهم أهل نجد» .

قال أبو براء : أنا لهم جار ، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك ، فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو الأنصاري في أربعين رجلاً من الصحابة ، منهم الحارث بن الصمة ، وحرام بن ملحان . . . رضي الله عنهم ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة - وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم - ولما نزلوها ، بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ ، إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما أتاه وسلّمه الكتاب ، لم ينظر فيه حتى عدا على حرام بن ملحان فقتله ، ثم استصرخ عليهم ببني عامر ، فأبوا أن يستجيبوا له ، وقالوا : لن نخفر ذمّة أبي براء ، وقد عقد لهم عقداً وجواراً .

ثم استصرخ عليهم قبائل بني سليم ، وهم : عضية ، ورعل ، وذكوان ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما رأهم الصحابة ، أخذوا سيوفهم ، ثم قاتلوا ، حتى قتلوا جميعاً شهداء ، إلا كعب بن زيد ، فإنهم تركوه وبه رمق ، ثم عاش بعد ذلك حتى استشهد في الخندق ، وكان عمرو بن أمية والمنذر بن الجلاح يُشرفان على معسكر الصحابة ،

فلم يرعهم إلا الطير تحوم حول الجثث في المعسكر ، فقالوا : والله إن لهذه الطير شأنًا ، فأقبلا فإذا القوم في دمائهم ، والخيـل قد أصابتهم ، فقال المنذر لعمره : ما ترى؟ فقال عمرو : أرى أن نلحق برسول الله ﷺ ، فنخبره الخبر ، فقال المنذر : لكني ما كنت لأرغب بنفسـي عن موطن قُتل فيه المنذر بن عمر ، وما كنت لتخبرني عنه الرجال ، ثم قاتل القوم ، حتى قُتل شهيداً رضي الله عنه ، وكان جبّار بن سلمى بن مالك فيمن حضر الواقعة مع عامر ثم أسلم بعد ذلك ، فكان يقول : إن مما دعاني إلى الإسلام أني طعنت رجلاً منهم يومئذٍ - أي : يوم بئر معونة - بالرمح بين كتفيه ، فنظرتُ إلى سنان الرمح حين خرج من صدره فسمعتـه يقول : فزتُ والله ، فقلت في نفسي : ما فاز! أأست قد قتلت الرجل؟ حتى سألتُ بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : الشهادة ، فقلت : فاز لعمر الله!!^(١) .

جزاكم الله عنا كل خير يا أصحاب المصطفى ، فكم ضحيتـم من أجله صلوات الله عليه؟ أما نحن :

يا رب هبْ لنا سرّ الوصول إلى رؤيا الرسول علينا دائماً أدم
واكتب لنا الفوز في الدنيا ويوم غدٍ تحت اللواء بلا هم ولا ندم

* * *

(١) تاريخ الطبري : ١٤٤٥/٣ ، سيرة ابن هشام : ١٧٩/٣ ، سيرة ابن كثير : ١٤٠/٣ .

إِنَّهُ حُبٌّ لَا مِثِيلَ لَهُ!!

بعد أن استشهد عاصم بن ثابت ، ومرثد بن أبي مرثد ، وخالد بن البكير رضي الله عنهم ، استطاع الهذليون أن يأسروا زيد بن الدثنة ، وخبيب بن عدي ، وعبد الله بن طارق رضي الله عنهم ، فأخذوهم وخرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بمر الظهران ، انتزع عبد الله بن طارق يده من الوثاق ، ثم أخذ سيفه ، واستأخر عن القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، وأما خبيب بن عدي ، وزيد بن الدثنة ، فقدموا بهما مكة .

وكان صفوان بن أمية قد اشترى زيد بن الدثنة ، وذلك من أجل أن يقتله تشفياً وحقداً ، وثأراً لأبيه أمية بن خلف ، الذي قتله المسلمون يوم بدر! وأخرجوا زيدا من المسجد الحرام إلى منطقة التّنعيم ليقتلوه ، واجتمع رهط من قريش ذلك اليوم ، وفيهم أبو سفيان بن حرب .

وحين قدّموا زيدا ليضربوا عنقه ، تقدّم إليه أبو سفيان وقال له : أنشدك الله يا زيد ، أتحب أن محمداً الآن في مكانك تُضرب عنقه ، وأنت في أهلك؟ فقال زيد : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه ، تُصيبه شوكة تؤذيه ، وإنني جالسٌ في أهلي!!

فقال أبو سفيان : ما رأيتُ من الناس أحداً يحبّ أحداً ، كحبّ أصحاب محمد محمداً . ثم قتلوه رضي الله عنه شهيداً^(١) .

أجل يا أبا الزهراء يا أحمد!

لقد صدق أبو سفيان وهو يصوّر مدى حبّ الصحابة الأماجد للحبيب ﷺ ،

(١) صحيح البخاري : ٨٢/٤ ، الكامل في التاريخ : ١٦٨/٢ ، سيرة ابن كثير : ١٢٨/٣ .

حيث رأى بأَم عينه مدى تفانيهم بالدفاع عنه ، ومدى تقديمهم الغالي والنفيس من أجل أن يرضوه صلوات الله عليه ، وذلك لأنهم أيقنوا تماماً أنه روح الوجود وهو المفتاح للقرب إلى الله سبحانه ، أما نحن فماذا نفعل؟

إن آت ذنباً، فما عهدي بمنتقص	من النبي ولا حبلي بمنصم
فإن لي ذمةً منه بتسميتي	محمدأ، وهو أوفى الخلق بالذمم
إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي	فضلاً ، وإلاّ فقل: يا زلة القدم
حاشاه أن يُحرم الراجي مكارمه	أو يرجع الجار منه غير محترم
ومنذ ألزمتُ أفكاري مدائحه	وجدته لخلاصي خير ملتزم
ولن يفوت الغنى منه يداً تربت	إن الحيا يُبت الأزهار في الأكُم
ياخالق الخلق مالي من ألوذ به	سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بي	إذا الكريم تجلّى باسم منتقم

* * *

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو غُرْبَتِي!!

وأما خبيب بن عدي رضي الله عنه ، فقد اشتراه حجير بن أبي أهاب ، لأخيه من أمه عقبة بن نوفل ليقتله بأبيه ! .

وقد حبسوا خبيباً عند ماوية مولاة حجير ، ولما أسلمت ماوية ، روت قصة خبيب ، فقالت : كان خبيب قد حُبس في بيتي ، ولقد اطلعتُ عليه يوماً ، وإن في يده لقطفاً من عنب^(١) ، مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل يومئذٍ . وقال لي خبيب حين حضره القتل : ابعني إليّ بحديدة أتطهر^(٢) بها للقتل ، فأعطيتُ ولدي وهو صغير الموسى .

فقلتُ : ادخل بها على هذا الرجل البيت ، فوالله ما هو إلا أن ولّى الغلام بها إليه ، حتى قلت في نفسي : ماذا صنعت؟ أصاب والله الرجل ثأره بقتل هذا الغلام ، ويكون رجلاً برجل ! ، فلما ناوله الحديد ، أخذها خبيب من يده ، ثم قال له :

لعمرك ما خافت أملك غدري ، حين بعثتك بهذه الحديدة إليّ ، ثم خلّى سبيله ! .

ثم خرجوا به إلى التنعيم ليصلبوه ، فقال لهم : إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين ، فافعلوا ، فقالوا : دونك فاركع ، فركع خبيب ركعتين ، ثم أقبل على القوم ، فقال : أما والله لولا أن تظنّوا أنني إنما طوّلت في صلاتي جزعاً من القتل ، لاستكثرت من الصلاة . ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوثقوه قال :

(١) أي : عنقوداً من العنب .

(٢) أي : موسى لأحلق وأترّين .

اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يُصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بديداً ، ولا تغادر منهم أحداً ، ثم أنشد :

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلهم مُبدي العداوة جاهد عليّ لأنني في وثاقٍ بمضيق
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم وقُربْتُ من جذعٍ طويلٍ مُمنع
إلى الله أشكو عُربتي ثم كربتي وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي
فذا العرش صبرني عليّ ما يُراد بي فقد بضعوا لحمي وقد يأسَ مطمعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك عليّ أوصال شلوٍ مُمزع
وقد خيروني الكفر والموتُ دونه وقد هملتُ عيناَي من غير مجزع
وما بي حذار الموت ، إني لَميتٌ ولكن حذاري جحَم نارٍ مُلفع
فلسْتُ أبالي حين أُقتل مسلماً على أيّ جنبٍ كان في الله مصرعي
ولسْتُ بُمبِدٍ للعدوٍ تخشعاً ولا جزعاً إني إلى الله مرجعي^(١)

هكذا كان الصحابة الأكارم مع الرسول ﷺ ، ولذلك سعدوا في الدنيا على الرغم من كل المصاعب والجراحات ، وفازوا في الآخرة بجنان الله تعالى ، ورضوانه .

* * *

(١) صحيح البخاري : ٨٣/٤ ، تاريخ الطبري : ١٤٣٥/٣ ، سيرة ابن هشام : ١٨٦/٣ .

﴿ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير في دية ذينك القتيلين من بني عامر اللذين قتلها عمرو بن أمية الضميري ، للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لهما ، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقدٌ وحلفٌ .

فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين ، قالوا: نعم يا أبا القاسم ، نُعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه .

ثم خلا بعضهم ببعض ، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب جدارٍ من بيوتهم قاعدٌ - فمن رجلٌ يعلو على هذا البيت فيُلقي عليه صخرةً فيريحنا منه؟

فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ، أحدهم ، فقال: أنا لذلك ، فصعد ليلقي عليه صخرةً كما قال ، ورسول الله ﷺ في نفرٍ من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعليّ رضوان الله عليهم ، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة .

وفي الطريق قال لأصحابه: «هَمَّت يهود بالغدر ، فأخبرني الله بذلك فقامت»^(١) .

أجل يا رسول الله!

كم عانيت من المشركين واليهود والمنافقين؟ وكم تحمّلت في سبيل الدعوة

(١) سيرة ابن هشام: ٣/١٩١ ، تاريخ الطبري: ٥٥٢/٢ .

إلى الله؟ ولولا تأييد الله سبحانه لك ، ولولا صبرك على ذلك كله لما وصل الإسلام إلينا .

ولقد أنزل الله تعالى في بني النضير قوله : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة : ١١] .

وعند ذلك أراد النبي ﷺ أن يُعاقب بني النضير ، فسار إليهم ، فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر بقطع النخيل والتحريق ، وشاء الله أن يقذف في قلوبهم الرعب ، فطلبوا الصلح ، فوافق عليه الصلاة والسلام على أن يُسيرهم إلى أذرعات الشام ، وجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاً^(١) .

وقُتل عمرو بن جحاش ، وقُسمت أموال بني النضير على المهاجرين ، وأنزل الله تعالى آيات من سورة الحشر تفصل ما حدث لهم^(٢) .

جاء النبيون بالآيات فانصرمت وجئنا بجديد غير منصرم
آياته كلما طال المدى جُدد يزينه جمال العتق والقدم

* * *

(١) السقاء : قربة للماء واللبن .

(٢) يراجع سورة الحشر ، الآيات : ٢ / ٨ .

دمي دمي يا محمد

وبعد أن فرغت قريش من صلب خبيب ، وقتله مع زيد بن الدثنة ، اجتمع أبو سفيان بنفراً من قريش في مكة ، فقال لهم: ما أحدٌ يغتال محمداً ، فإنه يمشي في الأسواق ، فندرك ثأرنا؟.

فسمعه (فدغد بن خنافة البكري)، فقام وتبع أبا سفيان إلى بيته ، وقال له: إن أنت وفيتني ، خرجتُ إليه حتى أغتاله ، فإني هادٍ في الطريق ، خَرَّيْتُ^(١) ، معي خنجر مثل خافية النسر ، فقال أبو سفيان: أنت صاحبنا ، وأعطاه بغيراً ونفقةً ، وأوصاه بالكتمان والحذر في أمره هذا ، وقال له: أطو أمرك ، فإني لا آمن أن يسمع هذا أحد ، فينميه إلى محمد ، فخرج البكري ليلاً من مكة ، فوصل إلى المدينة صباح اليوم السادس ، ثم أقبل يسأل الناس عن رسول الله ﷺ ، حتى أتى المسجد .

فقال له قائل: إن رسول الله ﷺ ، قد توجه إلى بني عبد الأشهل ، وكان يكثر من زيارتهم في دورهم ، فخرج البكري يقود راحلته ، حتى انتهى إلى بني عبد الأشهل ، ثم أقبل يؤم رسول الله ﷺ وهو في جماعة من أصحابه في مسجد بني عبد الأشهل ، وجاء فدغد البكري إلى صبي من الأنصار فسأله: أين هو محمد؟ فنظر إليه الصبي مستكراً وقال: ويلك ثكلتك أمك ، ألا تقول: أين رسول الله؟ هو ذاك عند النخلة العوجاء ، ومعه أصحابه ، فأته فإنك إذا رأيته أكبرته ، وشهدت بتصديقه ، وعلمت أنك لم تر قبله مثله .

فتزل فدغد عن راحلته ، وقصد الرسول ﷺ راجلاً ، فلما رآه الرسول ﷺ قال لأصحابه: «إن هذا الرجل يريد غدراً ، والله حائلٌ بينه وبين ما يريد» ،

(١) أي: ماهر مجرب .

فدخل البكري وجاء ينحني على رسول الله ﷺ كأنه يُسأَرُه ، فجبذه أسيد بن حضير جذبة قوية وقال له : تنحَّ عن رسول الله ، ثم جذب أسيد بداخل إزار البكري فإذا الخنجر ، فقال أسيد : يا رسول الله ، هذا غادر ، فسُقِطَ في يد البكري ، وأخذ يصيح : دمي دمي يا محمد! بينما أخذ أسيد يلَبِّه بردائه ، فقال له النبي ﷺ : «أُصِدُّقْنِي مِنْ أَنْتَ؟ وَمَا أَقْدَمَكَ؟ إِنْ صِدَقْتَنِي نَفَعَكَ الصَّدَق ، وَإِنْ كَذَبْتَنِي فَقَدْ أَطْلَعْتَ عَلَيَّ مَا هَمَمْتَ بِهِ» .

قال البكري : فأنا آمن؟ قال الرسول ﷺ : «وأنت آمن» ، فأخبره الرجل بخبر أبي سفيان وما جعل له ، فحبسه الرسول ﷺ عند أسيد بن حضير وأوصاه به خيراً ، ثم دعا به من الغد ، فقال له : «قد أمتتكَ ، فاذهب حيث شئت أو خير من ذلك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» .

فقال البكري : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله ، والله يا محمد ما كنت أَفَرُقُ^(١) من الرجال ، فما هو إلا أن رأيتكَ ، فذهب عقلي ، وضعفت حتى اطلعت على ما هممت به ، فما سبقت به الركبان ، ولم يطلع عليه أحد ، فعرفت أنك ممنوع وأنتك على حق ، وإن حزب أبي سفيان حزب الشيطان!!^(٢) .

فصلوات الله عليك يا رحمة للعالمين أرسلك الله ، لم يعرف الحقد والحسد إلى قلبك سبيلاً ، حتى مع ألد أعدائك .

* * *

(١) أفرق: أخشى وأخاف .

(٢) سيرة ابن كثير : ٣ / ١٣٥ ، الإصابة : ٥ / ٢٠٣ .

ثم أَيْقَظَ صَاحِبَهُ عَمَّارًا

في السنة الخامسة للهجرة ، توجه الرسول ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع ، وقد لقي جمعاً عظيماً من قبائل غطفان ، وقد خاف الفريقان بعضهما من بعض ، ولم تقم الحرب بينهما . وصلى رسول الله عليه الصلاة والسلام بالمسلمين صلاة الخوف .

قال جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه كنا في غزوة ذات الرقاع ، فأصاب رجلٌ منا امرأةً من المشركين .

فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً ، جاء زوجها وكان غائباً ، وهو شديد الحب لها ، ولما سمع بخبرها حلف لا ينتهي حتى يهرق دماً في أصحاب رسول ﷺ ! فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ، وكان الرسول قد نزل في واد ، وقال لمن معه : «مَنْ رجل يكلؤنا ليلتنا هذه؟» .

فانتدب رجل من المهاجرين وهو عمار بن ياسر ، ورجل من الأنصار وهو عبّاد بن بشر رضي الله عنهم أجمعين ، فقالا : نحن يا رسول الله . قال : «فكُونَا في فَمِ الشَّعْبِ» .

وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادي .

فلما خرج الرجلان إلى فَمِ الشَّعْبِ ، قال عبّاد لعمار : أيّ الليل تحب أن أكفيكه؟ أوله أم آخره؟ قال عمار : بل اكفني أوله .

ثم اضطجع عمار ونام ، وقام عبّاد يصلي ، فأتى الرجل ، فلما رأى

شخص عبّاد ، عرف أنه ربيّة القوم^(١) ، فرمى الرجل بسهم ، فوضعه في عبّاد ، فنزعه عبّاد ، وثبت قائماً يصلي ، ثم رماه بسهم آخر فأصابه ، فنزعه عبّاد أيضاً ، وثبت قائماً يصلي ، ثم رماه بسهم ثالث ، فنزعه عبّاد ، وركع وسجد ، ثم أيقظ صاحبه عماراً!

فقال: إجلس فقد أُثِّبْتُ ، فوثب عمار ، فلما رآهما الرجل ، عرف أنهما قد شعرا به ، فهرب ، ولما رأى عمار ما بعبّاد من الدماء ، قال : سبحان الله ، أفلا أيقظتني أول ما رماك؟ قال عبّاد : كنتُ في سورة أقرأها ، فلم أحبّ أن أقطعها حتى أنفذها ، فلما تابع الرمي عليّ ركعت فأيقظتك ، وأيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه ، لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها!!^(٢).

صلاة الله على النبي الأكرم ، ورضي الله عن الصحابة الأماجد:

لما دعا الصحب يستسقون من ظمأ	فاضت يده من التّسليم بالسّلم
وظلّلته فصارت تستظلّ به	غمامة جذبتها خيرة الدّيم
محبة لرسول الله أشربها	قعايد الدّير ، والرهبان في القمم
إن الشمائل إن رقت يكاد بها	يُغرى الجماد ، ويُغرى كل ذي نسم

* * *

(١) أي: من يحرسهم من العدو.

(٢) تاريخ الطبري: ٣/ ١٤٥٧ ، سيرة ابن كثير: ٣/ ١٦٥.

لَقَدْ وَعَتْ أُنْثَاكَ يَا غُلَامَ

في السنة الخامسة من الهجرة ، خرج الرسول ﷺ من المدينة لغزوة بني المصطلق خزاعة ، حيث بلغه أن بني المصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارث ابن أبي ضرار - وهو والد جويرية بنت الحارث زوج النبي صلوات الله عليه - .

فلقيهم الرسول ﷺ على ماء المريسيع ، وقتل من قتل ، وأسر بعضهم ، وتفرقت جموعهم .

وبينما ازدحم الناس على الماء ، حصل تنافس بين المهاجرين والأنصار ، فأراد المنافقون أن يستغلوا هذه الحادثة ليقعوا الخلاف بين صفوف المسلمين ! وكان رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول جالساً مع رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم ، وهو غلامٌ صغير .

فقال ابن أبي - يعرض بالمهاجرين - قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل !

ثم التفت إلى من حضر عنده من قومه ، وقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم في بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله ، لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم ، فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى بذلك إلى رسول الله ﷺ ، وأخبره الخبر ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالساً ، فقال : يا رسول الله ، مُر عباد بن بشر فليقتله ، فقال الرسول ﷺ : « فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ؟ » . ثم أذن بالرحيل في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل في مثلها .

وحين سمع ابن أبي أن زيد بن أرقم قد أبلغ رسول الله ﷺ خبره وقوله ، مشى إلى الرسول ﷺ وأنكر ذلك ، وحلف أنه لم يقل شيئاً مما ذكره له زيد ! .

ولما استقلَّ الرسول ﷺ بسيره ، جاء أُسيد بن حضير وحيّاه بتحية النبوة وسلم عليه ، ثم قال : يا نبي الله ، لقد رحت في ساعة ما كنت تروح بمثلها؟ .

فقال الرسول ﷺ : «أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟» ، قال أُسيد : وأي صاحب يا رسول الله؟ قال : «عبد الله بن أبي» ، قال : وما قال؟ قال : «زعم أنه إن رجع إلى المدينة ، ليخرجن الأعز منها الأذل» ، قال أُسيد : فانت يا رسول الله والله تخرجه منها ، هو والله الذليل ، وانت العزيز ، وأنزل الله تعالى قوله : ﴿ هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَقْقَهُونَ ۖ يَقُولُونَ لِنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الأَعزُّ مِنْهَا الأَذَلُّ وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون : ٧ - ٨] .

ولما نزلت هذه الآية الكريمة ، أخذ النبي صلوات الله عليه بأذن زيد وقال : «لقد وعت أذنك يا غلام» ثم قال : «هذا الذي أوفى الله بأذنيه»^(١) .

ما في عباد الله مثلُ محمّد فمقامه المحمود يُعرف في غدٍ
ولحوضه المورود أكرم مورد صلى عليه الله غير مقيّد
وعليه من بركاته أنماها

* * *

(١) تاريخ الطبري : ٣ / ١٥١٢ ، سيرة ابن هشام : ٣ / ٣٠٣ .

يا سلمانُ رأيتَ ذلكَ؟

لما أمر النبي ﷺ بحفر الخندق - وكان ذلك في السنة الخامسة للهجرة - عرضت لهم صخرةٌ حالت بينهم وبين الحفر، فقام رسول الله ﷺ وأخذ المعول ، ووضع رداءه ناحية الخندق ، وقال : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

فندر^(١) ثلث الحجر ، وسلمان الفارسي قائم ينظر، فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقة ، ثم ضرب الثانية وأعاد تلاوته الآية ، فندر الثلث الآخر، فبرقت برقة فراها سلمان، ثم ضرب الثالثة وأعاد تلاوة الآية .

فندر الثلث الباقي وخرج رسول الله ﷺ فأخذ رداءه وجلس .

قال سلمان : يا رسول الله ، رأيتك حين ضربت ما تضربُ ضربةً إلا كانت معها برقة ؟ .

فقال الرسول ﷺ : « يا سلمان ، رأيتَ ذلك ؟ » .

قال : إي والذي بعثك بالحق يا رسول الله .

فقال صلوات الله عليه : « فإني حين ضربتُ الضربة الأولى رُفعتُ لي مدائن كسرى وما حولها ، ومدائن كثيرة ، حتى رأيتها بعيني » .

قال له من حضره من أصحابه : يا رسول الله ، ادعُ الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ديارهم .

ويُخزبُ بأيدينا بلادهم ، فدعا رسول الله ﷺ بذلك ، ثم قال :

(١) ندر الشيء: سقط ووقع .

«ثم ضربتُ الضربة الثانية فَرُفَعَتْ لي مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها بعيني» .

قالوا: يا رسول الله ، ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ديارهم ، ويُخَرِّب بأيدينا بلادهم ، فدعا رسول الله ﷺ بذلك .

ثم قال: «ثم ضربتُ الثالثة فَرُفَعَتْ لي مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعيني» .

ثم قال عليه الصلاة والسلام: «دَعُوا الحبشة ما ودَعَوْكُمْ»^(١) ، واتركوا التُّرك ما تركوكم»^(٢) .

أجل يا رسول الله يا أحمد!

لقد أُعْطِيت الدنيا وما فيها ، وكنت إنساناً متواضعاً ، بحيث لم يستطع الكبير أن يتسلَّل إلى قلبك لحظة واحدة ، فسلام الله عليك في كل وقت وحين .

يومٌ يتيه على الزمان صباحه	ومساؤه (بمحمد) وضاءٌ
الحق عالي الركن فيه مظفر	في الملك لا يعلو عليه لواءٌ
دُعرت عروشُ الظالمين فزلزلت	وعلتُ على تيجانهم أصداءٌ
والنار خاوية الجوانب حولهم	خمدت ذوائبها ، وغاض الماءُ
والآي تَتَرى ، والخوارق جمّة	(جبريل) رَوَّاحٌ بها غداءُ

* * *

(١) أي: ما تركوكم .

(٢) سنن النسائي: ٤٣/٦ .

يا لعجائب البركات النبوية!!

في غزوة الخندق حدثت هذه الحادثة:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لما حُفر الخندق ، رأيت بالنبى ﷺ خَمْصاً شديداً ، فانكفأت إلى امرأتي ، فقلتُ: هل عندك شيءٌ ، فإنني رأيتُ برسول الله ﷺ خَمْصاً شديداً! .

فأخرجت إليّ جِراباً فيه صاعٌ من شعير، ولنا بُهيمَةٌ داجنٌ فذبحتُها، وطحنت الشعير ، ففرغت إلى فراغي ، وقطعتها في بُرمتها ، ثم وليتُ إلى رسول الله ﷺ ، فقالت: لا تفضحني برسول الله وبمن معه! .

فجئته فساررتة ، فقلتُ: يا رسول الله ، ذبحنا بُهيمَةً لنا ، وطحنا صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت ونفِرْ معك .

فصاح النبى ﷺ ، فقال: «يا أهل الخندق! إن جابراً قد صنع سُوراً^(١) فحيّ هلا بكم» .

فقال رسول الله ﷺ: «لا تُنزلن بُرمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء» .

قال جابر: فجئتُ وجاء رسول الله يقْدُمُ الناس حتى جئتُ امرأتى ، فقالت: بكْ وبك^(٢) ، فقلتُ: قد فعلتُ الذي قُلْتَ!! .

فأخرجتُ له عجيناً ، فبصق فيه وبارك ، ثم عمد إلى بُرمتنا ، فبصق

(١) أي: طعاماً دعا إليه الناس .

(٢) يعني: فعل الله بك كذا وكذا .

وبارك ، ثم قال : « ادْعُ خابِزَةً فلتخبِزْ معي ، واقدحي من بُرمتكم ^(١) ولا تُنزلوها ».

قال جابر : وهم ألفٌ ، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وإن بُرمتنا لتغط ^(٢) كما هي ، وإن عجينا لِيُخبِز كما هو ^(٣) !! .

هنيئاً لكم يا صحابة الرسول ﷺ :

فقد شاهدتُم بأم أعينكم تلك المعجزات والبركات النبوية ، وسرتم مع الرسول ﷺ في غزواته وما إلى هنالك ، وعشتُم معه والوحي يتنزل عليه . . فطوبى لكم ذاك النعيم ، أما نحن فما لنا إلا الدعاء لربنا سبحانه أن يبلغنا زيارته في الدنيا ، وشفاعته يوم الدين ، آمين :

جزم الجميع بأن خير الأرض ما	قد حاط ذات المصطفى وحواهـا
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت	كالنفس حين زكت زكا مأواهـا
وبهذه ظهرت مزية طيبة	فغدت وكل الفضل في معناها
حتى لقد خُصت بروضة جنة	الله شرفها بها وحباهـا
ما بين قبر للنبي ومنبر	حيّا الإله رسوله وسقاهاـا

* * *

(١) أي : اغرفي من القدر .

(٢) أي : تغلي ويُسَمع غطيظها .

(٣) صحيح البخاري : ١٣٩/٥ ، صحيح مسلم : ١٦٠/٣ .

... هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟! ...

كان عمرو بن عبد ودّ قد قاتل يوم بدر ، فلما كان يوم الخندق ، خرج مُعلماً ليرى مكانه ، فلما وقف هو وخيله قال : من يُبَارِزُ؟

فلم يَقم أحد من الصحابة ، فأعاد التحدّي مرة ثانية ، فقام علي رضي الله عنه وتقدّم منه وقال له : يا عمرو ، إني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام ، قال : لا حاجة لي بذلك .

فقال عليّ: فإنني أدعوك إلى التّزال ، فقال: لم يا ابن أخي ، فوالله ما أحبُّ أن أقتلك؟! قال عليّ: ولكني والله أحبُّ أن أقتلك .

فحمي عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه فعقره ، ثم أقبل فجاء إلى عليّ وقال : من يُبَارِزُ؟ فمشى إليه عليّ رضي الله عنه وهو يقول :

لا تعجلنّ فقد أتاك
ذو نهضة^(١) وبصيرة
إنني لأرجو أن أقيم
من ضربة نجلاء^(٢)
كّ مجيب صوتك غير عاجز
والصدق منجا كل فائز
عليك نائحة الجنائز
يبقى ذكرها عند الهزاهز^(٣)

فغضب عمرو وقال لعليّ: عندك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسنّ منك ، فانصرف فإني أكره أن أهرق دمك ، فقال عليّ: لكنني والله ما أكره أن أهرق دمك ، فغضب ، فنزل فسَلَّ سيفه كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو عليّ

(١) أي: ذو فطانة .

(٢) أي: ضربة واسعة .

(٣) أي: الفتن يهتزّ فيها الناس .

مغضباً ، واستقبله عليّ بدرقته ، فضربه عمرو في الدّرقه فقدّها^(١) وأثبت فيها السّيف ، وأصاب رأسه فشجّه ، وضربه عليّ عليّ حبل العاتق فسقط ، وثار العجاج ، وكان الرسول ﷺ يدعو : «اللهم إنك أخذت عبيدة بن الحارث يوم بدر ، وحمزة بن عبد المطلب يوم أحد ، وهذا عليّ فلا تدعني فرداً وأنت خير الوارثين» .

ولما سمع المسلمون تكبير عليّ ردّوا وراءه التكبير . . . (٢)

أجل يا رسول الله!

لقد ربّيت جيلاً فريداً من آل البيت والصّحابة ، فلما أيقنوا أنك روح الوجود قدّموا أرواحهم وأموالهم وكل ما يملكون فداءً للدعوة إلى الله تعالى ، فكان جزاء ذلك أن سعدوا في الدارين ، أما نحن فما لنا إلا أن نردّد:
يا ربّ عبدٌ قد أتى بفعاله ويذّله قد مدّ كفّ سؤاله
وأتى حبيبك طامعاً بنواله عبدٌ توسّل بالنبيّ وآله
فبحقّهم يا رب لا تُخزيه

* * *

(١) أي: فقطعها.

(٢) سيرة ابن هشام: ٢٤١/٣، مستدرک الحاکم: ٣٢/٣، تاريخ الطبري: ٥٧٤/٢.

... أَعْظَمُ امْرَأَةٍ بَرَكَهَ!! ...

في غزوة المريسيع ، كان الرسول ﷺ قد وزَّع الغنائم والسَّبي على أصحابه ، فصارت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، في سهم ثابت بن قيس الأنصاري خطيب رسول الله ﷺ ، وسهم ابن عمِّ له .

وكانت جويرية قد كاتبَت ثابت بن قيسَ على فداها ، ولكنها لم تستطع أن تفي بالمكاتبة ، فجاءت إلى رسول الله ﷺ ، فقالت :

يا رسول الله ، إني امرأة مسلمة أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، وأنا برة بنت الحارث بن أبي ضرار سيّد قومه ، وقد أصابنا من الأمر ما قد علمت ، ووقعت في سهم ثابت بن قيس ، وابن عمِّ له ، فتخلصني من ابن عمه بنخلاتٍ له في المدينة ، فكاتبني ثابت على ما لا طاقة لي به ولا يدان ، وما حملني على المعجى إليك إلا أنني رجوتك صلّى الله عليك ، فأعني في مكاتبتي .

فقال رسول الله ﷺ : «أو خيرٌ من ذلك؟» .

قالت : ما هو يا رسول الله ؟

قال : «أؤدّي عنك كتابتكِ وتزوّجك» .

فأرسل رسول الله ﷺ إلى ثابت بن قيس الأنصاري ، فطلبها منه .

فقال ثابت : هي لك يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي .

فأدّى رسول الله ﷺ إلى ثابت ما كان عليها من كتابتها ، وأعتقها ، وتزوّجها .

وخرج الخبر إلى الناس ، وعلموا أن الرسول ﷺ قد تزوج جويرية بنت الحارث ، سيد بني المصطلق .

فقالوا: أصهار رسول الله ﷺ ، كيف يكونون تحت أيدينا؟ فأعتقوا ما بأيديهم من السبي رجالاً ونساءً .

قالت عائشة رضي الله عنها: فأعتق مائة أهل بيت بتزويج رسول الله ﷺ إياها ، فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها!!^(١)

هكذا كان حب الصحابة الأماجد للرسول ﷺ ، حيث كانت أمنياتهم تدور حول الحبيب صلوات الله عليه ، وقد سطر التاريخ صفحات من نور في هذا المجال: (يا ليتنا كنّا معكم فنفوز فوزاً عظيماً)

يا سائرين إلى الحبيب ترفقوا فالقلب بين رحالكم خلفته
ما لي سوى قلبي وفيك أذبتُهُ ما لي سوى دمعي وفيك سكبتُهُ

* * *

(١) طبقات ابن سعد: ٨/٨٤ ، سيرة ابن كثير: ٢/٣٠٣ ، تاريخ الطبري: ٣/١٥١٧ .

... كَفَّ يَدَكَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ ...

كان اليهود في المدينة قد تواطأوا مع المنافقين ، على أن يحملوا قريشاً على غزو المدينة .

فرحفت قريش معها قبائل الأعراب من غطفان وفزارة وغيرها ، فاضطرَّ رسول الله ﷺ أن يحفر خندقاً ليحمي به المدينة من كيد الأعداء .

ذكر محمد بن مسلم الزهري : أن البلاء لما اشتدَّ على المسلمين في الخندق ، بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن ، والحارث بن عوف المري ، وهما قائدا غطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه ، وعن أصحابه ، وجرى بينه وبينهما الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة^(١) ، ولا عزيمة الصلح ، إلا المروضة .

ولما أراد الرسول ﷺ أن يوقع الكتاب بالختم ، بعث إلى سعد بن معاذ سيّد الأوس ، وسعد بن عباد سيّد الخزرج ، فذكر لهما ، واستشارهما فيه .

فقالا : يا رسول الله ، أمراً تحبّه فتصنعه لنا؟ أم شيئاً أمرك الله به ، لا بدّ لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا؟ .

قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوسٍ واحدة ، وكالبؤكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرها .

فقالا : يا رسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله ، وعبادة

(١) أي : لم يشهد أحدٌ على الكتاب .

الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منّا ثمرة إلا قِرَى أو
بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزّنا بك نعطيهم أموالنا؟!
والله ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلاّ السيف ، حتى يحكم الله بيننا
وبينهم .

فقال رسول الله ﷺ : «فأنتم وذاك» .

ثم تناول سعد بن معاذ الصحيفة ، فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال :
ليجهدوا علينا!

وحين كان عيينة يفاوض الرسول ﷺ ، كان أسيد بن حضير ، وعباد بن
بشر قائمين على رأس رسول الله صلوات الله عليه يحملان السيف ، وكان كلما
مدّ عيينة يده إلى الرسول حين يكلمه ، نهره أسيد وقال : كفّ يدك عن
رسول الله ﷺ^(١) .

الله عظم قدر جاء محمد
وأناله فضلاً عليه عظيماً
في محكم التنزيل قال لخلقه
صلوا عليه وسلّموا تسليماً

* * *

(١) سيرة ابن كثير: ٢/٢٠٢ ، تاريخ الطبري: ٣/١٤٧٤ .

... ما أَحْسَنَ المَوْتَ!! ...

عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجتُ يوم الخندق أقفوا آثار الناس ، قالت: فسمعتُ وئيد الأرض ورائي^(١) ، فالتفتُ فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنَّه ، قالت: فجلستُ إلى الأرض ، فمرَّ سعدٌ وعليه درعٌ من حديدٍ قد خرجت منها أطرافه ، فأنا أتخوِّف على أطراف سعد ، قالت: وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم ، قالت: فمرَّ وهو يرتجز ويقول:

مهلاً قليلاً يلحق الهيجا جَمَلٌ ما أحسن الموت إذا حلَّ الأجل
قالت: فقمْتُ فاقتحمت حديقةً ، فإذا فيها نفرٌ من المسلمين ، وإذا فيها عمر بن الخطاب ، وفيهم رجلٌ عليه سَبْعَةٌ له^(٢).

فقال عمر رضي الله عنه: ما جاء بك ، لعمرى والله إنك لجريئة ، وما يؤمنك أن يكون بلاءٌ أو يكون تحوُّز^(٣)؟

قالت: فما زال يلومني حتى تمنيتُ أن الأرض انشقت لي ساعتئذٍ فدخلتُ فيها.

قالت: فرفع الرجل السبغة عن وجهه ، فإذا طلحة بن عبيد الله ، فقال: يا عمر ، ويحك إنك قد أكثرت منذ اليوم ، وأين التحوُّز أو الفرار إلا إلى الله عز وجل.

(١) أي: حسن الأرض.

(٢) أي: عليه مغفر.

(٣) أي: التنحي.

قالت: ويرمي سعداً رجلاً من المشركين من قريش يُقال له ابن العَرَقَة بسهم له ، فقال له: خُذْها وأنا ابن العرقة ، فأصاب أكحله فقطعه ، فدعا الله عز وجل سعداً ، فقال: اللهم لا تُمتني حتى تُقرَّ عيني من قريظة ، وكانوا حلفاء ومواليه في الجاهلية .

ولما علم الرسول ﷺ بجراح سعد ، قال: «اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب» .

وبالفعل ، كان الرسول ﷺ إذا مرَّ به يقول: «كيف أمسيت؟» وإذا أصبح قال: «كيف أصبحت؟»^(١) .

أجل يا أبا الزهراء يا محمد!!

ما هذا التفاني ، وما هذا الحبَّ العجيب ، وما هذه المودة يا حبيب الله سبحانه؟!

فمبلغ العلم فيه أنه بشرٌ	وأنه خير خلق الله كلهم
وكل آي أتى الرسل الكرام بها	فإنما اتَّصلت من نوره بهم
فإنه شمسٌ فضلي هم كواكبها	يُظهرن أنوارها للناس في الظلم

* * *

(١) المسند: ١٤١/٦ ، سيرة ابن هشام: ٢٥٨/٢ ، تاريخ الطبري: ٢٧٥/٢ .

... فَضَحَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ...

عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال:

كانت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها في (فارغ) حصن حسان بن ثابت ، قالت: وكان حسان معنا فيه ، مع النساء والصبيان .

قالت صفية رضي الله عنها: فمرّ بنا رجلٌ من يهود ، فجعل يُطيف بالحصن ، وقد حاربتُ بنو قريظة ، وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ ، وليس بيننا وبينهم أحدٌ يدفع عنا ، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحورهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت .

قالت: فقلتُ: يا حسان ، إن هذا اليهودي كما ترى يُطيف بالحصن ، وإني والله ما آمنه أن يدلّ عليّ عورتنا مَنْ وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه ، فانزلُ إليه فاقتله .

قال: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب ، والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا .

قالت: فلما قال لي ذلك ، ولم أرَ عنده شيئاً احتجرتُ^(١) ثم أخذت عموداً ، ثم نزلتُ من الحصن إليه ، فضربته بالعمود حتى قتلته ، ولما فرغتُ منه رجعتُ إلى الحصن ، فقلتُ: يا حسان ، انزل إليهِ فاسلبهُ ، فإنه لم يمنعني من سلبهِ إلا أنه رجل ، قال: ما لي بسلبه من حاجةٍ يا ابنة عبد المطلب!!

قال: فلما ذكروا ما حدث بين صفية وحسان لرسول الله ﷺ ، ضحك حتى

(١) احتجز الرجل بالإزار: إذا شدّه على وسطه .

رَأَيْتُ أَقْصَى نَوَاجِذِهِ ، وَمَا رَأَيْتُهُ ضَحَكَ مِنْ شَيْءٍ قَطَّ ضَحْكُهُ مِنْهُ ^(١) .

أَجَل! يَا صَاحِبَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ يَا أَبَا الْقَاسِمِ:

فَأَنْتَ يَا سَيِّدِي رُوحَ الْوُجُودِ وَنُورِهِ ، وَفِيكَ أَوْدَعُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ كُنُوزَ
الْمَعَارِفِ ، وَبِكَ سَعِدَ السَّعْدَاءُ ، فَصَلُّوَاتِ اللَّهِ عَلَيْكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ .
رُوحَ النَّبِيِّ - مِنَ التَّقْوَى - شَمَائِلُهَا مَا لَيْسَ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ نَائِلُهَا
تَبَارَكَ اللَّهُ إِذْ فَاضَتْ فَضَائِلُهَا وَنُودِيَ اقْرَأْ تَعَالَى اللَّهُ قَائِلُهَا
لَمْ تَتَّصِلْ قَبْلَ مَنْ قِيلَتْ لَهُ بِفَمٍ
سَارَتْ طَلَائِعُ جُنْدِ اللَّهِ فَاِمْتَلَأَتْ إِلَى رَسُولِ الْهُدَى فِي طُهْرِهَا ابْتَهَلَتْ
نَبْضُ الْقُلُوبِ بَغِيرِ اللَّهِ مَا انْشَغَلَتْ هُنَاكَ أُذُنٌ لِلرَّحْمَنِ فَاِمْتَلَأَتْ
أَسْمَاعُ مَكَّةَ مِنْ قُدْسِيَةِ النَّعْمِ
صَحَا الزَّمَانُ عَلَى أَصْدَاءِ مَوْعِدِهِ وَقَرَّبَ الشَّفَةَ الظَّمْأَى لِمَوْرِدِهِ
يَوْمٌ أَغْرَى سَعَى شَوْقاً إِلَى يَدِهِ سَرَتْ بِشَائِرِ الْهَادِي وَمَوْلِدِهِ
فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَسْرَى النُّورِ فِي الظُّلَمِ

* * *

(١) سيرة ابن هشام: ٢٤٦/٣ ، عيون الأثر: ٦٤/٢ ، تاريخ الطبري: ٥٧٧/٢ .

... وَيَحْكُمُ يَا بَنِي قُرَيْظَةَ!!...!!

فور انتهاء غزوة الخندق ، وضع المسلمون السلاح ، فهبط الأمين جبريل عليه السلام على النبي ﷺ ، وقال له : أَوْقَدْ وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال : «نعم» فقال جبريل : فما وضعت الملائكة السلاح بعد وما رجعتُ الآن إلا من طلب القوم ، وإن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة ، فلإني عامدٌ إليهم فمزلزلٌ بهم. ^(١)

فجمع الرسول ﷺ الناس ، وقال لهم : «لا يصلين أحدُ العصر إلا في بني قريظة» ^(٢).

وركب المسلمون ، واتجهوا نحو حصون بني قريظة ، وكان هذا المشهد الرائع :

روى ابن عساكر عن عبد الرحمن بن غنم : أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى بني قريظة قال له أبو بكر وعمر رضي الله عنهما : يا رسول الله ، إن الناس يزيدهم حرصاً على الإسلام أن يروا عليك زياً حسناً من الدنيا ، فانظر إلى الحلة التي أهداها لك سعد بن عباد فالبسها فليَرِ المشركون اليوم عليك زياً حسناً ، قال : «أفعلُ ، وأيم الله لو أنكما تتفقان لي على أمرٍ واحدٍ ما عصيتكما في مشورة أبدأ ، ولقد ضرب لي ربي عز وجل لكما مثلاً ، لقد ضرب مثلكما في الملائكة كمثل جبرائيل وميكائيل ، فأما ابن الخطاب فمثله في الملائكة كمثل جبريل ، إن الله لم يدمر أمة قط إلا بجبريل ، ومثله في الأنبياء كمثل نوح إذ

(١) سيرة ابن هشام : ٢٥٢/٣ .

(٢) صحيح البخاري : ١٩/٢ .

قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]. ، ومثل ابن أبي قحافة في الملائكة كمثّل ميكائيل إذ يستغفر لمن في الأرض ، ومثله في الأنبياء كمثّل إبراهيم إذ قال: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦] ، ولو أنكما تتفقان لي على أمرٍ واحدٍ ما عصيتكما في مشورة ، ولكن شأنكما في المشورة شتى ، كمثّل جبريل وميكائيل ونوح وإبراهيم^(١).

أجل يا معلّم الناس الخير!

هكذا تكون العلاقة الحميمة بين القائد وتلامذته ، مشورة وصراحة وتفاهم كامل ، فهنيئاً لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما على تلك المنزلة من المصطفى ﷺ ، وفي رواية أخرى لابن مسعود رضي الله عنه ، أن النبي صلوات الله عليه قال: «اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي: أبي بكر وعمر ، واقتدوا بهدي عمار ، وتمسكوا بعهد ابن مسعود»^(٢).

جزم الجميع بأن خير الأرض ما قد حاط ذات المصطفى وحوأها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علّت كالنفس حين زكت زكا مأواها

* * *

(١) كنز العمال للمتقي الهندي: ١٩/١٣.

(٢) سنن الترمذي: رقمه (٣٨٠٧).

...«هَنِيئًا لَكَ أَبَا عَمْرٍو»...

ما إن انقضى شأن بني قريظة حتى حدث هذا الحادث :

عن عائشة رضي الله عنها : أن سعد بن معاذ رضي الله عنه قال : اللهم إنك تعلم أنه ليس أحدٌ أحبَّ إليَّ أن أجاهد فيكَ من قومٍ كذبوا رسولك ﷺ وأخرجوه ، اللهم فإني أظنُّ أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فإن كان بقي من حرب قريش شيءٌ فأبقني له حتى أجاهدهم فيكَ فافجرها - أي : جرحه - واجعل موتي فيها ! فانفجرت من لَبَّتِه^(١) فلم يرَهم ، وفي المسجد خيمةٌ من بني غفارٍ إلا الدم يسيل إليهم ، فقالوا : يا أهل الخيمة ، ما هذا الذي يأتينا من قبلكم ؟ فإذا سعدٌ يسيل جرحه دماً^(٢) .

ولما بلغ ذلك النبي ﷺ ، أتاه فأخذ رأسه فوضعه في حجره ، وسجى بثوبٍ أبيض إذا مُدَّ على وجهه خرجت رجلاه ، وكان رجلاً أبيض جسيماً .

فقال الرسول ﷺ : « اللهم إن سعداً قد جاهد في سبيلك وصدق رسولك وقضى الذي عليه ، فتقبل روحه بخير ما تقبلت به روحاً » .

فلما سمع سعدٌ كلام رسول الله ﷺ فتح عينيه ، ثم قال : السلام عليك يا رسول الله ، أما إنني أشهد أنك رسول الله^(٣) .

ولمعرفة مكانة سعد رضي الله عنه ، فقد روى جابر رضي الله عنه قال :

(١) اللَّبَّةُ : موضع الذبح .

(٢) صحيح البخاري : ١٤٤/٥ .

(٣) طبقات ابن سعد : ٤٢٧/٢ .

سمعت النبي ﷺ يقول: «اهتزَّ العرش لموت سعد بن معاذ»^(١).

وفي ذلك يقول رجلٌ من الأنصار:

وما اهتزَّ عرشُ الله من موت هالكٍ سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو
وأخبر الرسول ﷺ أصحابه أن الملائكة حضرت جنازة سعد ، وشاركت في
حملها وتشييعها^(٢).

فهنيئاً لك يا سعد هذه المكانة المرموقة ، حيث شهد لك المصطفى ﷺ ،
ومعه الملائكة . وعن البراء رضي الله عنه قال: أُهديت للنبي ﷺ حُلَّةٌ حرير ،
فجعل أصحابه يمسّونها ويعجبون من لينها ، فقال: «أتعجبون من لين هذه ،
لمناديل سعد بن معاذٍ خير منها - أو ألين»^(٣).

هكذا تكون الأخلاق الحميدة من القائد مع جنوده ﷺ:

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا	منها وما يتعشقُ الكبراءُ
لو لم تُقم ديناً ، لقامت وحدها	ديناً تُضيء بنوره الآباءُ
زانتك في الخلق العظيم شمائلٌ	يُغري بهنّ ويولع الكرماءُ

* * *

(١) صحيح البخاري: ٤٤/٥ .

(٢) طبقات ابن سعد: ٤٢٨/٣ .

(٣) صحيح البخاري: ٢١٤/٣ .

... مِمَّ تَضَحَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! ...

بعد أن فرغ رسول الله ﷺ من أمر الخندق - غزوة الأحزاب - أمر أصحابه بالتوجه إلى بني قريظة ، لأنهم حاربوا الأحزاب ، ونقضوا العهود والمواثيق مع رسول الله ﷺ .

وأمر الرسول ﷺ مؤذناً ، فأذن في الناس : «من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة»^(١) .

قال ابن إسحاق : وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة ، حتى جهدهم الحصار . وقذف الله في قلوبهم الرعب ، ثم إنهم بعثوا إلى الرسول صلوات الله عليه : أن ابعث إلينا أبا لبابة ابن عبد المنذر - أخا عمرو بن عوف ، وكانوا حلفاء الأوس - لنستشيره في أمرنا .

فأرسله رسول الله ﷺ ، فلما رآوه قام إليه الرجال ، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه ، فرق لهم .

وقالوا : يا أبا لبابة ، أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح ! .

قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفتُ أنني قد خنتُ الله ورسوله .

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عُمره ، وقال : لا أبرح مكاني حتى يتوب الله علي مما

(١) عيون الأثر: ٦٨/٢ ، تاريخ الطبري: ٥٨١/٢ .

صنعتُ ، وأعاهد الله أن لا أطأ بني قريظة أبداً ، ولا أرى في بلدٍ خنتُ الله ورسوله فيه أبداً! .

وكان الرسول ﷺ قد استبطأ أبا لبابة ، فلما بلغه خبره ، قال : «أما إنه لو جاءني لاستغفرتُ له ، فأما إذ قد فعل ما فعل ، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه» .

وأقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ست ليال ، تأتيه امرأته في كل وقت صلاة ، فتحله للصلاة ثم يعود فيرتبط بالجذع ، قالت أم سلمة رضي الله عنها : فسمعت الرسول صلوات الله عليه من السحر وهو يضحك ، فقلت : مم تضحك يا رسول الله؟ أضحك الله سنك .

قال : «تاب الله على أبي لبابة» فقلتُ : أفلا أبشّره يا رسول الله؟ .

قال : «بلى إن شئت» ، فقامت أم سلمة على باب حجرتها فقالت : يا أبا لبابة ، أبشر فقد تاب الله عليك ، فثار الناس لما سمعوا قول أم سلمة ليطلقوا سراحه ، فقال لهم : لا والله ، حتى يكون الرسول ﷺ هو الذي يطلقني بيده فلما مرّ صلوات الله عليه أطلقه من وثاقه^(١) .

أجل يا نبي الرحمة يا رسول الله!

هو الحبيب الذي تُرجى شفاعته لكلّ هولٍ من الأهوال مقتحم
دعا إلى الله فالمستمسكون به مستمسكون بحبلٍ غير مُنفصم

* * *

(١) سيرة ابن كثير : ٢/ ٢٤٤ ، الطبقات لابن سعد : ٢/ ٢٩ .

﴿ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾

قال أنس بن مالك رضي الله عنه : كان أبو طلحة - زيد بن سهل - رضي الله عنه أكثر الأنصار مالاً من نخل ، وكانت أحب أمواله إليه (ببرحاء) وكانت حديقة مستقبلية المسجد النبوي .

وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويستظل فيها ويشرب من ماء فيها طيب ، فلما نزلت الآية الكريمة : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران : ٩٢] ، قام أبو طلحة رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إن الله عز وجل يقول : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ ، وإن أحب أموالي إلي (ببرحاء) ، وإنها صدقة أرجو برّها وذخرها عند الله تعالى ، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله .

فقال رسول الله ﷺ : «بخ بخ ، ذلك مال رابح ، قد سمعت ما قلت يا أبا طلحة ، وقد قبلناه منك ، ورددناه إليك ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» .

قال أبو طلحة رضي الله عنه : أفعل يا رسول الله .

فقسمها أبو طلحة في أقاربه ، وبني عمه ، وأعطى لرسول الله ﷺ منها حصّة ، فوهب النبي ﷺ حصّته إلى شاعره حسان بن ثابت الأنصاري^(١) .
أجل يا حبيب الله يا أحمد ! .

لقد أكرمك الله تعالى بنخبة من الصحابة الأكارم ، فكانوا سوراً حولك ،

(١) صحيح البخاري : ١٤٤ / ٧ ، صفة الصفوة : ١٩٠ / ١ .

دافعوا عنك ، وقدموا في سبيل الدعوة إلى الله الغالي والنقيس ، وتمنى الواحد أن يسقط شهيداً في سبيل ذلك ، وتسابقوا في مضمار فعل الخيرات ، حتى بلغوا الرتب العليا في الدنيا والفوز في الآخرة ، منها قول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

جربت هم اليأس ، قلبك متعب وسناء وجهك للغياهب كوكب
لك لا يرد من الشفاعة مطلب وإذا رحمت فأنت أم أو أب
هذان في الدنيا هما الرحماء

سبحت ربك والتخضع عزة والمؤمنون بما أتيت أعزة
لك عند رب الكائنات معزة وإذا خطبت فللمنابر هزة
تعرو الندى وللقلوب بكاء

من جاء في طمع الحياة نهية وإلى الصراط المستقيم هديته
عن كل ما لا يستحب ثنيته وإذا أخذت العهد أو أعطيته
فجميع عهدك ذمة ووفاء

* * *

«لا تدعوني قريش اليوم»

في السنة السادسة للهجرة ، وفي شهر ذي القعدة حدث هذا الحادث :
توجه رسول الله ﷺ من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ، ومعه سبعمائة من أصحابه ، وكان الهدف هو أداء العمرة ، ولا يريد حرباً .
وقد أحرم بالعمرة ، وساق معه الهدى ، وهو سبعون بعيراً ، وكان يخشى أن تصده قريش عن البيت الحرام وتحاربه ، فحمل معه السلاح بأغماده ، حتى إذا بلغ عُسْفَانَ قريباً من مكة ، لقيه بشر بن سفيان الكعبي ، فقال :
يا رسول الله ، هذه قريش قد سمعت بمسيرك ، فخرجوا معهم العوذ المطافيل^(١) ، قد لبسوا جلود النمر ، وقد نزلوا بذي طوى ، يعاهدون الله ، لا تدخلها عليهم أبداً ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم .

فقال الرسول ﷺ : «يا ويح قريش ، لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب ، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا ، قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ، فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به ، حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السّالفة» .

ثم أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالسّير إلى جهة أخرى حتى وصلوا إلى ثنية المزار ، مهبط الحديدية من أسفل مكة ، فلما رأت قريش قتار الجيش ، علمت

(١) أي : النساء والصبيان .

أن الرسول ﷺ قد خالف الطريق ، فرجعوا راکضين إلى مكة .
ولما وصل الرسول إلى ثنية المرار ، برکت ناقته ، وألقت بجرانها على الأرض ، لا تريد النهوض ، فقال نفر من المسلمين : خلأت^(١) القصواء .
فقال الرسول ﷺ : « ما خلأت القصواء ، وما هو لها بخُلُق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة » .
ثم قال : « لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة ، يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها »^(٢) .

أجل يا رسول الله ، لقد صدق من وصفك بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .
[القلم : ٤]

إليك ربي سعى قلبي بفطرته أقر في ذنبه من فرط خشيته
يا مالك الملك كل في جريرته رأى قضاءك فينا رأي حكمته
أكرم بوجهك من قاضي ومنتقم
الله في نعمة الإسلام أدبنا وللتقى وجنان الخلد قربنا
ندعوك سرّاً جهاراً لا تعاقبنا فالطف لأجل رسول العالمين بنا
ولا تزد قومه خسفاً ولا تسم

* * *

(١) أي : حرنت ، وامتنعت عن السير .

(٢) صحيح البخاري : ٢٤١/٣ ، سيرة ابن كثير : ٣١٨/٢ .

فَعَلِمْتُ أَنَّهُ بَرَكَةٌ

في السنة السادسة للهجرة ، استنفر الرسول ﷺ العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه للعمرة ، وذلك من باب تخويف قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت الحرام .

وبعد أن استخلف على المدينة المنورة عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه ، سار الرسول ﷺ بمن معه من المسلمين والعرب ، وساق معه الهدي .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، قال : قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية : «أنتم خير أهل الأرض» وكنا ألفاً وأربعمائة^(١) .

ومن الأمور التي حدثت مايلي :

عن جابر رضي الله عنه قال : عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة^(٢) فتوضأ منها ، ثم أقبل الناس نحوه ، فقال عليه الصلاة والسلام : «مالكم؟» ، قالوا : يا رسول الله ، ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب إلا ما في ركوتك ، قال : فوضع النبي ﷺ يده في الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون .

قال : فشربنا وتوضأنا ، فقلت - الراوي - لجابر : كم كنتم يومئذ؟ .

قال جابر : فتوضأ الناس وشربوا ، فجعلت لا آلو^(٣) ما جعلت في بطني

(١) صحيح مسلم : ١٤٨٤/٣ .

(٢) الركوة : إناء صغير من جلد ، يُشرب فيه الماء .

(٣) أي : لا أقصر .

منه ، فعلمت أنه بركة . . . ثم قال جابر: ولو كنّا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة!!^(١)

وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما: . . فانفجرت من بين أصابعه عيونٌ، فأمر بلالاً فقال: «ناد في الناس: الوضوء المبارك»^(٢).

سلام عليك يا بركة الوجود.. يا روح الوجود.. يا نور الوجود..
يا أبا الزهراء:

أكرم بخلق نبيّ زانَهُ خُلُقٌ	بالحسنِ مشتملٍ بالبشرِ مُتَّسِمِ
كالزهري في ترفٍ والبدر في شرفٍ	والبحر في كرمٍ والدهر في هممِ
كأنه وهو فردٌ من جلالته	في عسكرٍ حين تلقاه وفي حشمِ
كأنما اللؤلؤ المكنون في صدفٍ	من معدني منطلقٍ منه ومبتسمِ
لا طيب يعدل تُرباً ضمَّ أعظمه	طوبى لمتشقي منه وملتئمِ

* * *

(١) صحيح البخاري: ١٥٦/٥.

(٢) مسند الإمام أحمد: ٢٥١/١.

... أَسْطَ يَدَكَ أَبَايَعُكَ ...

بعد عودة عروة بن مسعود الثقفي إلى قريش حين فاوض رسول الله ﷺ، بعث الرسول ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى قريش، ليفاوضها في أمر العمرة - وذلك في أمر الحديبية سنة ست من الهجرة -.

وكانت قريش تحب عثمان لما له من البرّ، فخرج عثمان إلى مكة، ولقيه قبل أن يدخلها أبان بن سعيد بن العاص، فرافقه وأجاره من قريش، حتى يبلغ رسالة رسول الله ﷺ.

فانطلق عثمان رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيان، وعظماء قريش، فبلغهم رسالة النبي ﷺ إليهم، ولما فرغ من ذلك، قالوا له: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف.

فقال عثمان: ما كنتُ لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، واحتبسته قريش عندها، وبلغ رسول الله ﷺ أن قريشاً قتلت عثمان، فقال: «لا نبرح حتى نُنَاجِزَ القوم».

عن أنس رضي الله عنه قال: لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان، كان عثمان بن عفان رسول رسول الله ﷺ إلى أهل مكة، قال: فبايع الناس، فقال الرسول: «إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله» فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم^(١).

وكان أبو سنان الأسدي أول من بايع رسول الله ﷺ، حيث قال: يا رسول الله، أَسْطَ يَدَكَ أَبَايَعُكَ.

(١) سنن الترمذي: ٦٢٦/٥.

قال : «علام تباع ؟» .

فقال : على ما في نفسك يا رسول الله ، فبايعهم ﷺ على الموت ^(١) .

ما هذا الحرص على أصحابك يا حبيب الله يا محمد ﷺ ؟ : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

سنة العيون إلى الخلائق نعمة فيها استظلت بالشهامة ذمة
لرسول رب العالمين مهمة والآي تترى والخوارق جمّة
جبريل رَوَّاحٌ بها غداءٌ

لصلاح من خافوا دنوؤَ منية رقت جوارحهم بأطهر نية
يحدو ركاب الخير في أمنيّة دينٌ يشيد آية في آية
لبنائهُ السّورات والأضواء

من فضل ربّ المنتهى الهمّ انجلى والكون في نور الإله تهلّلا
دينُ برّب العالمين تبتّلا الحق فيه هو الأساس وكيف لا
والله جلّ جلاله البناء

* * *

(١) سيرة ابن كثير : ٣١٨/٢ ، طبقات ابن سعد : ٧١/١ ، تاريخ الطبري : ١٥٤٥/٣ .

... وَيَوْمَ الشَّجَرَةِ!!...

من الأمور التي حدثت في بيعة الرضوان ما يلي :

عن إياس بن سلمة قال : قال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه : بينما نحن قافلون من الحديبية ، نادى منادي النبي ﷺ : «أيها الناس ! البيعة ، البيعة ، نزل روح القدس» .

قال : فسرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سُمرة ، قال : فبايعناه ، قال : وذلك قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح : ١٨] (١) .

أما علام كانت البيعة؟ وفي الجواب : عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي ﷺ يُبايع الناس ، وأنا رافعُ غصناً من أغصانها عن رأسه ، ونحن أربع عشرة مائة ، قال : لم نُبايعه على الموت ، ولكن بايعناه على أن لا نفر (٢) .

ومن فضائل من شهد بيعة الرضوان ، ما ورد عن جابر رضي الله عنه : أن عبداً لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً ، فقال : يا رسول الله ، ليدخلن حاطبُ النار .

فقال رسول الله ﷺ : «كذبت لا يدخلها ، فإنه شهد بدرأ والحديبية» (٣) .

ومن شدة حساسية عمر رضي الله عنه في أمور العقيدة ، قام بعمل عظيم ،

(١) تاريخ الطبري : ٦٣٢/٢ .

(٢) صحيح مسلم : ١٤٨٥/٢ .

(٣) صحيح مسلم : ١٩٤٢/٤ .

حيث أصبح الناس يأتون تلك الشجرة ، ويتمسحون بها ، ويجلسون تحتها ، فماذا حدث؟ .

عن نافع قال : كان الناس يأتون الشجرة التي يُقال لها «شجرة الرضوان» ، فيصلّون عندها ، قال : فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ، فأوعدهم فيها ، وأمر بها ففُطعت! (١) .

ما أجمل تلك اللوحة التي تقطر محبةً وتضامناً ، حيث الصّحب الكرام رضي الله عنهم يلتفّون حول الحبيب ﷺ ، يحاربون من حارب ، ويسالمون من سالم ، ويشاء الله تعالى أن يجعل الصّلح فتحاً مبيناً :

بعثت قريشاً أطلقوا أصحابنا	وخذوا الرهائن والأسارى منكم
صدموا بقارعة تفاقم صدعها	لولا سفاهة رأيهم لم يصدموا
لولا الضّراعة من (سهيل) هدّهم	بأسٌ تهذّب به الجنود وتهدم
بئس المآب لعصبة تآبى الهدى	بيضاً معالمة ، ونعم المقدم
يا تارك الطغيان يعبس جدّه	أقبل ، فجدك مقبل يتبسّم
من حق (ذي النورين) أن يدعّ الدّجى	خزيان ، يُلطم وجهه المتجهّم
أإليك مدّ ذوو العمى أظفارهم؟	فانظر إلى الأظفار كيف تُقلّم

* * *

(١) طبقات ابن سعد : ١٠٠/٢ .

...«يا أبا جندل ، اصبر واحتسب»...

عن أنس رضي الله عنه : أن قريشاً صالحوا النبي ﷺ فيهم سهيل بن عمرو ، فقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم» .

قال سهيلٌ : أمّا باسم الله ، فما ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم ، ولكن اكتب ما نعرفُ ، باسمك اللهم ، فقال : «اكتب : من محمد رسول الله» .

قالوا : لو علمنا أنك رسول الله لاتبعناك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك .

فقال النبي ﷺ : «اكتب : من محمد بن عبد الله» ، فاشترطوا على النبي ﷺ أن من جاء منكم لم نردّه عليكم ، ومن جاءكم منا رددتموه علينا!

فقالوا : يا رسول الله ، أنكتب هذا؟ .

قال : «نعم ، إنه من ذهب منا إليهم ، فأبعده الله ، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً»^(١) .

... وبيننا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء

أبو جندل ابن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد^(٢) قد انفلت إلى رسول الله ﷺ ، وذكر الحديث إلى أن قال :

فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه ، وأخذ بتليبيه ، ثم قال :

(١) صحيح مسلم : ١٤١١/٣ .

(٢) أي : يمشي وقدماه مقيدتان بالحديد .

يا محمد ، قد لَجَّت القضية^(١) بيني وبينك قبل أن يأتِكَ هذا ، قال : «صَدَقْتُ»
فجعل يَشْرُهُ^(٢) بتلبيبه ويجرّه ليردّه إلى قریش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى
صوته : يا معشر المسلمين ، أَرَدَ إلى المشركين يفتنونني في ديني؟! .

فزاد ذلك الناس إلى ما بهم ، فقال رسول الله ﷺ : «يا أبا جندل ، اصبر
واحْتَسِبْ فإن الله جاعلٌ لك ولَمَن معكَ من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد
عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهد الله وإنا لا نغدر
بهم» ، قال : فوثب عمر رضي الله عنه مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول :
اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب ، قال :
ويُدْني قائم السيف منه ، قال : ويقول عمر : رجوتُ أن يأخذ السيف فيضرب به
أباه!!^(٣) .

نظر ابن عمرو نظرةً فرأى ابنه	يغي الخطى عجلئ ، ويأبئ الأدهم
قال : ارجعوه فذاك أول عهدكم	فلئن أيتّم لهو عهدٌ أجذم
وانقضّ يضربه ، فيا لك مسلماً	في الله يُضرب من أبيه ويلطم
رقت قلوب المسلمين لخطبه	فجوانح تهفو ، ودمع يسجم
أخذ النبي بثوبه فأعاده	يني لأمته البناء ويدعم
قال : انقلب ، وكفى بربك حافظاً	إن التوكل للسلامة توأم
فمضى يقول : ألا ذمامٌ لامرئ	يغي الفرار بدينه يستعصم
عُد في قيودك واصطبر إن الأذى	لأضر ما انتجع الرجال وأوخم

* * *

(١) أي : وجبت .

(٢) أي : جذبه وقذفه في شدة .

(٣) مسند أحمد : ٣٢٥ / ٤ ، عيون الأثر : ١٢٠ / ٢ .

...«وَأِنَّهُ لَن يُضِيعَنِي»...

وهكذا حزن الصحابة رضي الله عنهم لصلح المشركين في الحديبية ، إلى درجة أن عمر رضي الله عنه وقف من شروط الصلح موقفاً استنكارياً : ولما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر ، فقال : أليس برسول الله؟ قال : بلى .

قال : أولسنا بالمسلمين؟ قال : بلى .

قال : أوليسوا بالمشركين؟ قال : بلى .

قال : فعلام تُعطي الدّنية^(١) في ديننا؟ قال أبو بكر : يا عمر ، الزم غرضه^(٢) فأني أشهد أنه رسول الله .

فقال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ، ثم أتى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، ألسنت برسول الله؟ قال : «بلى» .

قال : أولسنا بالمسلمين؟ قال : «بلى» .

قال : أوليسوا بالمشركين؟ قال : «بلى» .

قال : فعلام تُعطي الدّنية في ديننا؟

فقال عليه الصلاة والسلام : «أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني» .

قال : فكان عمر يقول : ما زلتُ أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي

(١) أي : النقيصة .

(٢) كناية عن : اتبع قوله وفعله ولا تخالفه .

صنعتُ يومئذٍ ، مخافة كلامي الذي تكلمتُ به حين رجوتُ أن يكون خيراً^(١) .

أجل يا روح الوجود يا رسول الله!

لقد نظر عمر رضي الله عنه إلى ظاهر الأمور ، فرأى أن صلح الحديبية فيه ظلمٌ للمسلمين ، وشروطه قاسية عليهم ، وهكذا كانت نظرة كثير من الصحابة .

أما المعصوم عليه الصلاة والسلام فكان حاله مع الصلح كما وصفه القرآن الكريم : ﴿ وَالنَّجْوَى إِذَا هُوَ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ١ - ٤] .

ولذلك عندما تحلل المصطفى ﷺ من إحرامه ، قام الصحابة تباعاً فحلّقوا ، وقصّروا ، وتحلّلوا ، ثم انصرف الجميع من الحديبية بعد أن أقاموا بالحديبية بضعة عشر يوماً ، وفي الطريق إلى المدينة أنزل الله سورة الفتح ، فقال أحدهم : يا رسول الله ، أفتَحُّ هو؟ قال : «نعم» ، والذي نفس محمد بيده إنه لفتحٌ فقُسمت خيبر على أهل الحديبية^(٢) .

ما سامني الدهر ضيماً واستجرتُ به إلا ونلتُ جواراً منه لم يُضْمِ
ولا التمسْتُ غنى الدارين من يده إلا استلمتُ الندى من خير مُستلم

* * *

(١) مسند أحمد : ٣٢٥ / ٤ ، تاريخ الطبري : ٦٣٤ / ٢ .

(٢) سنن أبي داود : ١٧٤ / ٣ .

...«لَقَدْ حَسَنَ اللَّهُ وَجْهَكَ»...

كان رسول الله ﷺ محاصراً لبعض حصون خيبر ، فأتاه رجلٌ معه غنمٌ يرعاها ، اسمه يسار ، وكان أجيراً للرجل من اليهود .

فقال : يا رسول الله ، اعرض عليّ الإسلام .

فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام فأسلم ، وكان رسول الله ﷺ لا يحتقر أحداً في دعوته إلى الإسلام .

فلما أسلم ذلك الرجل ، قال : يا رسول الله ، إني رجلٌ أسود ، قبيح اللون ، لا مال لي ، فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل ، أدخل الجنة؟ .
قال : «نعم» .

فقال : ولكنني كنتُ أجيراً لصاحب هذه الغنم ، وهي عندي أمانة ، فكيف أصنع بها؟ .

قال : «إضرب في وجوهها فإنها سترجع إلى ربها» .

فقام ذلك الرجل الراعي ، فأخذ حفنة من الحصى فرمى بها في وجوهها ، وقال : ارجعي إلى صاحبك ، فوالله لا أصبحك أبداً .

فخرجت غنمه مجتمعة كأن سائقاً يسوقها حتى دخلت الحصن ، ثم تقدّم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين ، فأصابه حجرٌ فقتله ، وما صلى صلاة قط!! .

فأتى به إلى رسول الله ﷺ فوضع خلفه ، وسُجّي بشملةٍ كانت عليه ، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ومعه نفرٌ من أصحابه ، ثم أعرض عنه .

فقالوا: يا رسول الله ، لم أعرضت عنه؟

قال: إن معه زوجته من الحور العين ، ثم دعا له وقال: «لقد حسن الله وجهك ، وطيب ريحك ، وكثر مالك»^(١).

هنيئاً لكم يا صحابة الحبيب ﷺ ، فقد أكرمكم الله سبحانه بالصحة إكراماً عظيماً ، أما نحن وقد بعُدت بيننا وبينه الأزمان والمسافات ، فما لنا إلا الإكثار من الصلاة والسلام عليه ، ومن ثم اتباعه وزيارته ، والطلب من الله أن يجعله لنا شفيعاً يوم الدين ، آمين:

شدّوا المطايا وقد نالوا المنى بمنى	وكلهم بأليم الشوق قد باحا
سارت ركائبهم تندى روائحها	طيباً بما طاب ذاك الوفد أشباحا
نسيم قبر النبي المصطفى لهم	راخ إذا سكرُوا من أجله فاحا
إنّا أقمنا على شوقٍ وعن قدرٍ	ومن أقام على عذيرٍ كمن راحا

* * *

(١) السيرة النبوية للمحافظ ابن كثير: ٣٦٢/٢ ، أسد الغابة: ٧٦/١ .

... دروس في الدعوة إلى الله ...

في السنة السابعة للهجرة ، بعث رسول الله ﷺ رسلاً من أصحابه ، وكتب معهم كتاباً إلى الملوك والزعماء يدعوهم فيها إلى الإسلام ، ومنها كتاب إلى قيصر ملك الروم ، وآخر إلى كسرى ملك فارس ، والثالث إلى النجاشي ملك الحبشة ، وآخر إلى المقوقس ملك الإسكندرية . . . وغيرهم .

والشيء الرائع في تلك الكتب أنها تقطر رحمةً ورأفةً ، وترفع لواء الدعوة إلى الله ، بعيداً عن المصالح والأموال والأموال الدنيوية .

مثال ذلك ما ورد في كتابه صلوات الله عليه إلى النجاشي ملك الحبشة :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة ، سلامٌ على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أدعوك بدعاء الله فإني أنا رسول الله فأسلم تسلم : ﴿يَتَأَهَّلَ الْكَتَبُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران : ٦٤] ، فإن أبيت فعليك إثم النصارى»^(١) .

أجل يا سيدي يا روح الوجود يا محمد!

هكذا تكون الدعوة إلى الله : حبٌ ووفاء ، وتمني الخير للآخرين ،

(١) دلائل البيهقي : ٣١٠/٢ ، مستدرک الحاكم : ٦٢٣/٢ .

والانفتاح على جميع خلق الله ، من حيث إن : «الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله» .

ولذلك كانت عبارات : «إلى النجاشي عظيم الحبشة» «إلى المقوقس عظيم القبط» «سلامٌ على من أتبع الهدى» . . . كثيرة . . .

وفي ذلك احترام كامل حتى للكافرين . . . والمشركين . . . والمخالفين ، بل وقد أرسل ﷺ مع الكتب والرسل هدايا قيمة ، مثل هديته إلى النجاشي حيث فيها المسك ، وفيها بعض الحلل الفاخرة ، ونحو ذلك .

وكلها تدخل في باب : «تهادوا تحابوا» ، وليت المتصدّرين لميادين الدعوة إلى الله تعلّموا هذه الأخلاق الحميدة من سيد الأخلاق عليه الصلاة والسلام :

حسبي إذا ما منحتُ المصطفى مدّحي	في الحشر تزكيةً منه وتعديلُ
وليس يُدرِك أدنى وصفه بشرٌ	أيقطع الأرض ساع وهو مكبولُ
كلّ الفصاحة عيٌّ في مناقبه	إذا تفكّرت والتكثير ت قليلُ
لو أجمع الخلق أن يحصوا محاسنه	أعيتهم جملةً منها وتفصيلُ

* * *

... مصباح كل فضل ﷺ ...

في السنة السابعة للهجرة حدثت غزوة ذي قرد - أو الغابة - وكان فيها:
عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل ،
فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ ، وأسر أصحاب
رسول الله ﷺ رجلاً من بني عقيل ، وأصابوا معه العضباء^(١) ، فأتى عليه
رسول الله ﷺ وهو في الوثاق ، قال: يا محمد! فأتاه ، فقال: «ما شأنك؟» .

فقال: بَمَ أخذتني ، بَمَ أخذت سابقة الحاج؟^(٢) .

فقال إعظاماً لذلك: «أخذتك بنجيرة حلفائك ثقيف» . ثم انصرف عنه ،
فناداه فقال: يا محمد! يا محمد! وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً ، فرجع
إليه .

فقال: «ما شأنك» ، قال: إني مسلم!

قال: «لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كلّ الفلاح» ، ثم انصرف ..

فناداه فقال: يا محمد! يا محمد! فأتاه ، فقال: «ما شأنك؟» .

قال: إني جائعٌ فاطعمني وظمآن فاسقني ، قال: «هذه حاجتك» .

فغدي بالرجلين ، قال: وأسرت امرأة من الأنصار ، وأصيبت العضباء
فكانت المرأة في الوثاق ، وكان القوم يُريحون نَعْمَهُم بين يدي بيوتهم ،

(١) هي: ناقة المصطفى ﷺ .

(٢) هي: العضباء ، فإنها كانت لا تُسبق .

فانفلتت ذات ليلة من الوثاق فأتت الإبل ، فجعلت إذا دنت من البعير رغا^(١) فتركه ، حتى تنتهي إلى العضباء فلم ترغ .

قال : وناقة منوقة^(٢) ، فقعدت في عجْزها ثم زجرتها ، فانطلقت ونذروا بها فطلبوها فأعجزتهم ، قال : ونذرت لله ، إن نجاها الله عليها لتنحرنها ، فلما قدمت المدينة رآها الناس ، فقالوا : العضباء ، ناقة رسول الله ﷺ ؟ !

فقالت : إنها نذرت ، إن نجاها الله عليها لتنحرنها ، فاتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له ، فقال : «سبحان الله ، بئسما جزئتها ، نذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها ، لا وفاء لنذر في معصية ، ولا فيما لا يملك العبد»^(٣) .

أجل يا روح الوجود يا رسول الله!

لقد علّمت الأجيال الأخلاق الحميدة ، وليس ذلك شعاراتِ جوفاء لا رصيد لها على أرض الواقع ، بل هي دروسٌ عملية ، وليت الأمة أخذت بذلك كله :

أنت مصباح كل فضلٍ فما تصدر إلّا عن ضوئك الأضواء
لم تزل في ضمائر الكون تختار لك الأمهات والآباء

* * *

(١) الرغاء : صوت الإبل .

(٢) أي : مذلة مروضة منقادة .

(٣) سنن أبي داود : ٦٠٩/٣ ، صحيح مسلم : ١٢٦٢/٣ .

...«فَادْعُوا إِلَى اللَّهِ»...

قبيل غزوة خيبر والتي حدثت في أواخر شهر المحرم من السنة السابعة للهجرة ، أرسل المعصوم عليه السلام كتاباً إلى يهود خيبر ، جاء فيه :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أرسل رسول الله ﷺ إلى يهود خيبر : «بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ﷺ صاحب موسى وأخيه ، والمصدق لما جاء به موسى ، ألا إن الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة ، وإنكم لتجدون ذلك في كتابكم : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهم فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وإني أنشدكم بالله ، وأنشدكم بما أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى ، وأنشدكم بالذي أيسس البحر لأبائكم حتى أنجاهم من فرعون وعمله ، إلا أخبرتموني هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ، فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم قد تبين الرشد من الغي ، فادعواكم إلى الله وإلى نبيه^(١) .

ما أروع قراءة سيرة الحبيب ﷺ !

حقاً كلما أعاد الإنسان قراءة السيرة العطرة ، وجد نفسه أمام أفضل حياة تُعتبر أنموذجاً رائعاً للأسوة والقُدوة ، في الأخلاق والمعاملات والآداب

(١) عيون الأثر : ٢١١/١ ، سنن البيهقي : ١٨٠/١٠ .

والسلوك ، بل وفي كل نواحي الحياة : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

نسأل الله تعالى أن يكرمنا بزيارته ، واتباعه ، ومحبته ، وفي الآخرة شفاعته :

يا شوق (طيبة) والبشرى تظللها	ما مثل ما ارتقت في الدهر مرتقب
بدر بدا من (ثنيات الوداع) لها	إلا له لا يليق الشوق والطرب
كأن تربتها تبرأ قد انقلبت	كأنما هي ثراها أمست الشهب
المال والنفس والأهلون إن طلبت	فداء دين الذي ما كان منسحب
الدين تَمَّتْ الأنصار نصرته	ولم يحل دونها بذل ولا تعب
وكل شرك تولى وامحى وغدت	رايات جندك تعلو أينما ركبوا
فصلوات الله وسلامه على صاحب الخلق العظيم محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .	

* * *

...«أهو...هو؟!»...

من الأمور الرائعة التي حدثت قبيل غزوة خيبر ، هذه الحكاية المفيدة .
عن شدّاد بن الهاد رضي الله عنه : إن رجلاً من الأعراب ، جاء رسول الله ﷺ ، فأمن به واتّبعه ، فقال : أهاجر معك؟
فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر ، وغنم رسول الله ﷺ الغنائم ، وقسمها ، قَسَمَ له ، فأعطى النبي ﷺ أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى إبلهم ، فلما جاء دفعوا إليه قسمته .
فقال : ما هذا؟

قالوا : قَسَمُ قسمه لك رسول الله ﷺ ، فجاء الأعرابي إلى رسول الله ﷺ ومعه نصيبه ، فسَلَّمَ على النبي صلوات الله عليه ، ثم قال : ما على هذا اتّبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أرمى هنا - وأشار إلى حلقه - بسهم فأموت فأدخل الجنة !

فقال رسول الله ﷺ : «إن تصدق الله يصدقك» .
ثم نهضوا إلى قتال العدو مرة أخرى ، فقاتل حتى أتى به رسول الله ﷺ محمولاً ، وقد أصابه سهم حيث أشار إلى حلقه .
فقال الرسول ﷺ : «أهو ، هو» ، قالوا : نعم .
فقال : «صَدَقَ الله فصدقه» .

وكفّنه الرسول ﷺ في جَبَّتِه ، ثم قدّمه وصلى عليه ، ثم قال : «اللهم هذا

عبدك خرج مهاجراً في سبيلك ، قُتل شهيداً ، وأنا عليه شهيد»^(١) .

أجل يا أبا الزهراء يا روح الوجود!

إن نجاح أي إنسان يُعرف من خلال تأثيره بمن حوله ، وبمدى نجاحهم هم ، فهم ثمرة لتربيته ، وهكذا كان الصحابة الأماجد ، حيث كانوا من الأوائل والناجحين ، والفضل في ذلك يعود إلى الأسوة والقُدوة ﷺ :

أغرَّ عليه للنبوة خاتمٌ	من الله مشهودٌ يلوحُ ويشهدُ
وضمَّ الإله اسم النبي إلى اسمه	إذ قال في الخمس المؤدَّن: أشهدُ
وشقَّ له من اسمه كي يجلَّهُ	فدبو العرش محمودٍ وهذا محمدُ
نبيُّ أتانا بعد يأسٍ وفترةٍ	من الرسل والأوثان في الأرض تُعبدُ
فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً	يلوحُ كما لاح الصَّقيل المهنَّدُ
وأنذرنا ناراً وبشر جنَّةً	وعلمنا الإسلام فالله نحمدُ

* * *

(١) سيرة ابن كثير: ٢/ ٣٦٢ .

... أَتَيْتَكَ يَا رُوحَ الْوُجُودِ...

من أهم الأحداث التي جرت في طريق المسلمين إلى خير ما يلي :

* رَفَعُ المسلمين أصواتهم بالتكبير : فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : لما غزا رسول الله ﷺ خيبر ، أو قال : لما توجه رسول الله ﷺ أشرف الناس على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير : الله أكبر لا إله إلا الله ، فقال رسول الله ﷺ : ازْبَعُوا^(١) على أنفسكم ، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم ، وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ ، فسمعتني وأنا أقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال لي : «يا عبد الله بن قيس» ، قلتُ : لبيك رسول الله .

قال : «ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة؟» .

قلتُ : بلى يا رسول الله فذاك أبي وأمي .

قال : «لا حول ولا قوة إلا بالله»^(٢) .

* * ارتجاز بعض الصحابة : عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر ، فسِرْنَا كَيْلاً ، فقال رجلٌ من القوم لعامرٍ : يا عامر ، ألا تُسمعنا من هُنيهاً^(٣) ، وكان عامرٌ رجلاً شاعراً ، فنزل يحدو بالقوم ، ويقول :

(١) أي : ارفقوا .

(٢) صحيح البخاري : ١٦٩/٥ ، صحيح مسلم : ٢٠٧٦/٤ .

(٣) أي : من أراجيزك وكلماتك .

اللهم لو لا أنت ما اهتدينا ولا تصدّقنا ولا صلّينا
 إنا إذا قومٌ بغوا علينا وإن أرادوا فتنةً أبينا
 فأنزلن سكينةً علينا وثبّت الأقدام إن لاقينا

فقال رسول الله ﷺ: «من هذا السائق؟»، قالوا: عامر بن الأكوع.

قال: «يرحمه الله»، قال رجلٌ من القوم: وجبت يا نبي الله، لولا أمتعتنا به^(١).

أجل يا أبا القاسم يا روح الوجود يا محمد!

آتيك أنت وما خليت من أفقر
 آتيك أهمزُ خيلاً غير مُسرّجة
 كن عودتي في خيام الحزن أنثرها
 كن شعلتي في ضلوع الليل أغمدها
 كن همّتي عند همّ الحق أطلبه
 كن في ربيعك عوداً خالداً، وعلى
 أم اليتيم يتيم الدهر، لا عقب
 إلا استطالت عليه راية الفشل
 لما تعلّيت آلامي إلى أُملي
 حمراء ألوية خفاقة الجذل
 كن غيمتي فوق قحط الروح وانهمل
 كن أمتي بعد من جلّت على الجلل
 نفع الميادين رفد النور والأمل
 رحماك يا أمة وحمى بلا جبل

* * *

(١) صحيح البخاري: ٤٣/٨، صحيح مسلم: ١٤٢٨/٣.

... فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ...

وكان شعار المسلمين يوم خيبر: يا منصور، أُمِّتْ أُمِّتْ^(١). ولما اقتربوا من حصون يهود خيبر، أوقف رسول الله ﷺ الناس وراح يدعو الله سبحانه: فعن أبي معتب بن عمرو أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر، قال لأصحابه وأنا فيهم: «قفوا».

ثم قال: «اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله»، قال: وكان يقولها عليه السلام لكل قرية دخلها.^(٢)

أما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فكان له هذه القصة: عن سلمة رضي الله عنه قال: كان عليّ قد تخلف عن النبي ﷺ في خيبر وكان به رمد، فقال: أنا أتخلف عن رسول الله؟! فخرج عليّ رضي الله عنه فلاحق بالنبي ﷺ، فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها، قال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية - أو ليأخذن الراية - غداً رجلاً يحب الله ورسوله» أو قال: «يحب الله ورسوله، يفتح الله عليه». فإذا نحن بعليّ وما نرجوه، فقالوا: هذا عليّ، فأعطاه رسول الله ﷺ ففتح الله عليه^(٣).

(١) طبقات ابن سعد: ١٠٦/٢.

(٢) عيون الأثر: ١٣١/٢.

(٣) صحيح البخاري: ٢٣/٥.

وفي رواية أخرى - وبعد أن أعطاه الراية - قال عليّ: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟.

فقال ﷺ: «أنفذ على رِسلك^(١) حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَمِ»^(٢).

صلوات الله عليك يا روح الوجود يا محمد!

لقد كُنْتَ الأب والقائد والمربي والمعلم والقُدوة والأسوة ، لذلك كان الصحابة الأماجد جيلاً فريداً:

وقال الله قد أرسلتُ عبداً	يقول الحق إنّ نفع البلاء
شهدتُ به فقوموا صدّقوه	فقلتم لا نقوم ولا نشاء
وجبريلُ رسول الله فينا	وروح القدس ليس له كفاء
فإن أبي ووالده وعرضي	لعرض محمدٍ منكم وقاء

* * *

(١) أي: اثبت ولا تعجل.

(٢) صحيح مسلم: ١٨٧٢/٤.

... غَمَرَ الْبَرِيَّةَ عَذْلَهُ ...

حين فرغ رسول الله ﷺ من فتح خيبر ، عاد المسلمون من الحبشة وقائدهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه .

وركبوا سفينة من الحبشة ، ووصلوا إلى المدينة عند فتح خيبر ، ففرح رسول الله ﷺ بذلك والمسلمون ، حتى قال عليه الصلاة والسلام : «ما أدري أنا بأيّهما أفرح ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟!» .

وكانت أسماء بنت عميس زوجة جعفر جالسة ذات يوم عند حفصة بنت عمر زوجة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم تزورها .

فدخل عمر على ابنته حفصة وأسماء عندها ، فلما رأى أسماء ، قال : من هذه؟ قالت حفصة : هذه أسماء بنت عميس .

قال عمر رضي الله عنه : الحبشية هذه؟ البحرية هذه؟

فقالت أسماء : نعم .

فقال عمر : يا أسماء ، نحن سبقناكم بالهجرة ، فنحن أحقّ برسول الله ﷺ منكم .

فقالت أسماء : كلا والله ، كنتم مع رسول الله ﷺ ، يُطعم جائعكم ، ويعظ جاهلكم ، وكنا في دار البعداء والبغضاء بالحبشة ، وذلك في الله تعالى ، وفي رسوله ﷺ ، وأيم الله لا أطعم طعاماً ، ولا أشرب شراباً ، حتى أذكر ما قلت للنبي ﷺ ، وأسأله ، والله لا أكذب ، ولا أزيغ ، ولا أزيد .

فلما جاء رسول الله ﷺ إلى بيته عند حفصة ، قالت أسماء : يا رسول الله ، إن عمر قال كذا وكذا .

فقال رسول الله ﷺ : « فما قلت له ؟ » .

قالت أسماء : قلت كذا وكذا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « ليس بأحقّ بي منكم ، وله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان » .

قالت أسماء : فكان أبو موسى الأشعري ، وأهل السفينة ، يأتونني أرسالاً ، يسألونني عن هذا الحديث ، وما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ^(١) .

أجل يا أبا الزهراء يا رسول الله !

فالعدل لديك ميزة فريدة ، فلا محابة لقريب ولا رجل ولا . . . إنما الكل أمام القرآن سواء ، وما أكثر الشواهد في السيرة على ذلك . . .
الله أعطى المصطفى خُلُقاً على حبّ الإله وخوفه مجبولاً
غمر البريّة عدله فصديقُهُ وعدوّه لا يظلمون فتيلاً

* * *

(١) صحيح البخاري : ١٧٥/٥ ، طبقات ابن سعد : ٢٠٥/٨ .

... حَنَانٌ لَا مِثِيلَ لَهُ!!...

وبعد أن حاصر الرسول ﷺ أهل خيبر ، جاؤوا يفاوضونه :

عن ابن عمر رضي الله عنه قال : أتى رسول الله ﷺ أهل خيبر عند الفجر فقاتلهم حتى ألجأهم إلى قصرهم وغلبهم على الأرض والنخل ، فصالحهم على أن يحقن دماءهم ولهم ما حملت ركابهم ، وللنبي ﷺ الصفراء والبيضاء والحلقة - وهو السلاح - ويخرجهم ، وشرطوا للنبي ﷺ أن لا يكتموه شيئاً ، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد^(١).

لكن ، وكعادة اليهود ، فقد نقضوا العهد ، وأخفوا كنزاً كان عندهم لبني النضير ، ولما سألهم النبي ﷺ على ذلك ، جحدوا معرفة مكانه !!

فأعلن الرسول ﷺ الحرب عليهم ، فجاء كبارهم ووجهائهم يتذللون بين يديه ، من أجل أن لا يُخرجهم ، واقترحوا عليه أن يقوموا بالعمل كله مقابل نصف الثمر ، فقال صلوات الله عليه : «أقركم فيها على ذلك ما شئنا»^(٢).

ثم افتتح المسلمون حصن بني أبي الحقيق ، فجاء بصفية ابنة حبي بن أخطب وبأخرى معها سبايا ، ولما علم أن عروس صفية - وهو ابن أبي الحقيق - قد قُتل ، قال : «أدخلوا علي صفية».

فأدخلوها ، فقال لها : «لم يزل أبوك من أشد يهود لي عداوة حتى قتله

(١) سنن أبي داود : ٤٠٨/٣ .

(٢) صحيح مسلم : ١١٨٧/٢ .

الله» ، فقالت: يا رسول الله ، إن الله يقول في كتابه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

فقال لها ﷺ: «اختاري ، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي ، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقني بقومك».

فقالت: يا رسول الله ، لقد هويت الإسلام ، وصدقت بك قبل أن تدعوني حيث صرتُ إلى رَحْلِكَ ، وما لي في اليهودية وما لي فيها والدُّ ولا أُخْ ، خيّرني الكفر والإسلام ، فاللهُ ورسوله أحبُّ إليَّ من العتق وأن أرجع إلى قومي .

قال: فأمسكها ﷺ لنفسه ، وأصبحت إحدى أمهات المؤمنين^(١).

سلامٌ عليك يا روح الوجود يا رسول الله!

أي حنانٍ هذا الذي أظهرته أمام تلكم المرأة التي قُتل زوجها ، وقتل أبوها ، وأصبحت مع السبايا ، لكنها أعلنت إسلامها ، فما كان منك إلا أن اتخذتها زوجة ، وهذا من صميم الأخلاق الحميدة:
بكتاب الزبور نَعْتُكَ يُبْلَى وبلوح التوراة وُضِفَكَ يَمْلَى
وبنصّ الإنجيل قد صَحَّ نَقْلًا ما مضت فترة من الرسل إلّا
بشّرت قومها بك الأنبياءُ

* * *

(١) طبقات ابن سعد: ١٢٣/٨ .

... كَفَى الْعَرَبَ فَخْرًا...

لما انصرف رسول الله ﷺ من خيبر ، حدثت بعض الأحداث وهم في الطريق إلى المدينة المنورة ، منها :

* فوات صلاة الفجر : فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال : سرنا مع النبي ﷺ ليلة ، فقال بعض القوم : لو عرست بنا يا رسول الله ، قال : «أخاف أن تناموا عن الصلاة» .

فقال بلال رضي الله عنه : أنا أوقظكم ، فاضطجعوا ، وأسند بلال ظهره إلى راحلته ، فغلبته عيناه ، فنام ، فاستيقظ النبي ﷺ وقد طلع حاجب الشمس ، فقال : «يا بلال ، أين ما قلت ؟» ، قال : ما ألقيت عليّ نومةً مثلها قط . قال : «إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردّها عليكم حين شاء ، يا بلال ، قم فأذن بالصلاة» ، فتوضأ ، فلما ارتفعت الشمس وابتضت ، قام فصلى^(١) .

* مقالة النبي ﷺ حين رأى جبل أحد : عن عقبة بن سويد الأنصاري أنه سمع أباه ، وكان من أصحاب النبي ﷺ قال : قفلنا مع النبي ﷺ من غزوة خيبر ، فلما بدا له أحد ، قال : «الله أكبر ، أحدٌ جبلٌ يُحبّنا ونحبّه»^(٢) .

* وشأن شارب الخمر : فعندما قام المسلمون بإهراق الخمر لليهود ، عمد يومئذ رجلٌ من المسلمين ، فشرب من ذلك الخمر ، فرفع ذلك إلى النبي ﷺ ، فكره ذلك ، فخفقه بنعله وأمر من حضره فخفقوه بنعالهم ، وكان يُقال له عبد الله الحمار ، وكان رجلاً لا يصبر عن الشراب فضربه رسول الله ﷺ مراراً ،

(١) صحيح البخاري : ١ / ١٥٤ .

(٢) أخرجه ابن حنبل والطبراني في معجم (مجمع الزوائد ٤ / ١٣) .

فقال عمر رضي الله عنه: الْعَنَّةُ ما أكثر ما يُضْرَبُ ، فقال صلوات الله عليه :
«لا تفعل يا عمر ، فإنه يُحِبُّ الله ورسوله»^(١).

نعم يا سيدي يا أبا الزهراء!.

هذه اللفتات كلها تدور حول محور أساسي هو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

غدا الطرف يعي دونها حين يرمقُ	علت برسول الله يعرب رتبة
يسابق أقطاب الكمال فيسبقُ	وهل يصطفي الرحمن إلّا مكملاً
ويهزم جيش الشرك، والشرك مطبقُ	ويهدم أركان الضلال برشده
وبالبأس طوراً والصّوارم تبرقُ	وأيد دين الله بالحلم تارة
فأعلامه في الشرق والغرب تحفّقُ	به انتشر الإيمان كالبرق في الدّجى
وأن له الشأو الذي ليس يلحقُ	كفى العرب فخراً أن منهم (محمداً)

* * *

(١) سنن البيهقي: ١٠٣/٩.

... أَلَا أَقْتُلْ لَكُمْ مُحَمَّدًا؟! ...

في السنة السابعة للهجرة خرج الرسول ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع ، وهي قِبَل نجد ، وأما سبب تسمية الغزوة بهذا الاسم فهو من الأمور العجيبة :

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قال : خرجنا مع النبي ﷺ في غزوة ونحن ستة نفر بيننا بعيْرٌ نعتقبه ، فنقبت أقدامنا^(١) ، ونقبت قدامي ، وسقطت أظفاري ، وكنا نلفّ على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا!!^(٢).

ومن الأمور التي جرت في تلك الغزوة ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه :

أن رجلاً من بني محارب يُقال له غوث ، قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمدًا؟ .

قالوا: بلى ، وكيف تقتله؟ .

قال: أفتكُ به ، قال: فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالسٌ وسيف رسول الله في حجره ، فقال: يا محمد ، أنظر إلى سيفك هذا؟ .

قال: «نعم» ، وكان مُحلّياً بفضة .

قال: فأخذه فاستلّه ، ثم جعل يهرّهُ ، ويهمُّ فيكبتُهُ الله^(٣).

(١) أي: رقت جلودها ، وتقرّحت من المشي .

(٢) صحيح البخاري: ١٤٥/٥ .

(٣) أي: يذله ويصرفه ويخيبه .

ثم قال: يا محمد ، أما تخافني ؟ .

قال : « لا ، وما أخاف منك ؟ » .

قال : أما تخافني وفي يدي السيف ؟ .

قال : « لا ، يمنعني الله منك » .

ثم عمد إلى رسول الله ﷺ فردّه عليه ، قال : فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ اَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة : ١١] ^(١) .

أجل يا حبيب الحق يا محمد!

كم صبر معك الصحابة الأكارم ، وذلك عندما عاينوا الأخلاق الحميدة منك؟! أما نحن ، وقد بعُدت الأزمنة والأمكنة ، فما لنا إلا أن نردّد:

عليّ لئن أتيتُ ثرى محمد	صلاة الله لا تعدوه سمرمد
فقبّله وقل: صبّ غريب	بأقصى الغرب أمك وهو مقعد
أراد زيارة فثناه عذر	وكم سيف جراز ^(٢) وهو مُغمّد
فإن مُنع المسير أذاك منه	سلام طيب أبداً يُردّد

* * *

(١) تاريخ الطبري: ٥٥٧/٢ ، سيرة ابن هشام: ٢١٦/٣ .

(٢) سيف ماضي حديد .

...«أطلقوا ثُمَامَةَ»...

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً قبل نجد ، فجاءت برجلٍ من بني حنيفة يُقال له ثُمَامَةُ بن أثال ، فربطوه بسارية من سواري المسجد ، فخرج إليه النبي ﷺ ، فقال: «ما عندك يا ثُمَامَةُ؟» فقال: عندي خيرٌ يا محمد ، إن تقتلني تقتل ذا دم ، وإن تُنعم تُنعم على شاكِرٍ ، وإن كنت تريد المال فسلْ منه ما شئت ، حتى كان الغد .

ثم قال له: «ما عندك يا ثُمَامَةُ؟» .

قال: ما قلتُ لك ، إن تُنعم تُنعم على شاكِرٍ ، فتركه حتى كان بعد الغد ، فقال: «ما عندك يا ثُمَامَةُ؟» .

فقال: عندي ما قلتُ لك ، فقال: «أطلقوا ثُمَامَةَ» .

فانطلق إلى نَجْلٍ^(١) قريبٍ من المسجد ، فاغتسل ، ثم دخل المسجد ، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، يا محمد ، والله ما كان على الأرض وجهٌ أبغضَ إليَّ من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحبَّ الوجوه إليَّ ، والله ما كان من دينٍ أبغضَ إليَّ من دينك ، فأصبح دينك أحبَّ الأديان إليَّ ، والله ما كان من بلدٍ أبغضَ إليَّ من بلدك ، فأصبح بلدك أحبَّ البلاد إليَّ ، وإن خيلك أخذتني ، وأنا أريد العمرة ، فماذا ترى؟ فبشّره الرسول ﷺ ، وأمره أن يعتمر^(٢) .

(١) هو: الماء القليل .

(٢) صحيح البخاري: ٢١٤/٥ .

... ولما قدم إلى مكة قالوا: أصبوت يا ثُمَام؟ فقال: لا ، ولكنني اتبعْتُ
خير الدين دين محمد ، ولا والله لا تصلُ إليكم حَبَّةٌ من اليمامة حتى يأذن فيها
رسول الله ﷺ ، ثم خرج إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئاً ، فكتبوا
إلى الرسول ﷺ: إنك تأمر بصلة الرحم ، وإنك قد قطعْتَ أرحامنا ، وقد قتلتَ
الآباء بالسيف ، والأبناء بالجوع.

فكتب رسول الله ﷺ إليه أن يُخَلِّي بينهم وبين الحمل^(١).

أجل يا صاحب الخلق العظيم يا رسول الله!.

كيف لا ينبهر المشركون بأنوار وجهك ، وصفاء روحك ، وحُسن
تعاملك ، وخلقك العظيم ، وهل يستطيع أحدٌ في العالم إذا تعرَّض لواحد مثل
ثُمَامَة أن يصفح عنه ويُطلق سراحه؟! .

وعليك يا خير الأنام تحية كالروض صافح روحه ريحانه
ممن يزورك خطّه وكلامه إن لم يزرك لذنبه جثمانه

* * *

(١) المسند للإمام أحمد: ٢/٢٤٦.

... لا حَاجَةَ لَنَا فِي طَعَامِكَ ...

في شهر ذي القعدة من السنة السابعة للهجرة خرج الرسول ﷺ ومعه المسلمون إلى مكة المكرمة بنية العمرة .

وكان تعداد المسلمين قرابة ألفين ، ولما وصلوا إلى ذي الحليفة أحرموا ، ثم راحوا يُلَبِّونَ ، وكانوا يسوقون أمامهم الهدى .

وحين دخل الرسول ﷺ مكة ، دخلها وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه آخذٌ بخطام ناقته ، وهو يقول :

خَلَّوْا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ	خَلَّوْا فَكُلَّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ	أَعْرِفُ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ	كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْباً يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ ^(١)	وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فقال عمر رضي الله عنه : يا ابن رواحة إيهاً ! .

فقال رسول الله ﷺ : «يا عمر ، إني أسمع» ، فأسكت عمر ، فقال رسول الله ﷺ : «إيهاً يا ابن رواحة !» .

ثم قال صلوات الله عليه : «قل : لا إله إلا الله وحده ، نصر عبده ، وأعزَّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده» ، قال : فقالها ابن رواحة ، فقالها الناس كما قال^(٢) .

(١) أي : يُزِيلُ الرَّأْسَ عَنْ مَوْضِعِهِ .

(٢) طبقات ابن سعد : ١٢١/٢ ، سنن الترمذي : ١٣٩/٥ .

ثم دخل الرسول صلوات الله عليه المسجد الحرام - ومعه المسلمون - من باب بني شيبه ، بينما خرج رؤساء المشركين إلى جبل قعيقعان .

ثم طافوا بالبيت ، واستلموا الحجر الأسود ، بينما كان عبد الله بن رواحة يقول :

يا رب لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدّقنا ولا صلّينا
فأنزلن سكيناً علينا وثبّت الأقدام إن لاقينا
إن الألى وقد بغوا علينا وإن أرادوا فتنةً أيننا

ثم نحر المسلمون الهدى بالمروة ، وتحلّلوا ، ثم أقاموا في مكة ثلاثة أيام ، فأرسل أهل مكة إلى رسول الله ﷺ : إنه قد انقضى أجلك فاخرج ! فقال صلوات الله عليه : «وما عليكم لو تركتموني فأعرستُ بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه» ، قالوا : لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا ، فخرج^(١) .

أجل يا رسول الله !

هكذا يكون التعامل بين القائد وجنوده ، فهو لم يكن ليجلس في برجه العاجي ، ليعطي الأوامر ، إنما كان واحداً منهم ، يعيش معهم آلامهم وأحلامهم ، وطموحاتهم ، و.....

* * *

(١) تاريخ الطبري : ٢٥ / ٣ ، دلائل البهقي : ٣٣ / ٤ .

... ثُمَّ قَدَّمَهُ فَضَرَبَ عُنُقَهُ ...

في بدايات السنة الثامنة للهجرة ، بعث رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى بكتابه ، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال: أين تريد؟ ، قال الشام ، قال: لعلك من رسل محمد؟ .

قال: نعم ، أنا رسول رسول الله ، فأمر به فأوثق رباطاً ثم قَدَّمَهُ فضرب عنقه صبراً ، ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسولٌ غيره ، وبلغ رسول الله ﷺ الخبر فاشتد عليه ، وندب الناس ، وأخبرهم بمقتل الحارث بن عمير ومن قتله ، فخرج ثلاثة آلاف إلى مؤتة^(١) .

ثم قال الرسول ﷺ: «أمير الناس زيد بن حارثة ، فإن قُتل فجعفر بن أبي طالب ، فإن قُتل فعبد الله بن رواحة ، فإن قُتل فليترض المسلمون بينهم رجلاً فيجعلوه عليهم» . ثم عقد لواء أبيض ودفعه إلى زيد بن حارثة^(٢) .

ولما حانت لحظات الوداع ، حضر الناس توديع أمراء الجيش ، فلما ودّع عبد الله بن رواحة مع من ودّع من أمراء رسول الله ﷺ بكى .

فقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ .

فقال: أما والله ما بي حُبُّ الدنيا ، ولا صبايةٌ بكم ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آيةً من كتاب الله عز وجل ، يذكر فيها النار: ﴿وَلَنْ يَنْفَكُوا إِلَّا وَأَرْدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] .

(١) طبقات ابن سعد: ٣٤٣/٤ .

(٢) دلائل البيهقي: ٣٥٩/٤ .

فلستُ أدري كيف لنا بالصّدر بعد الورود ، فقال المسلمون : صحبكم الله ، ودفع عنكم ، وردّكم إلينا صالحين ، فقال عبد الله رضي الله عنه : لكنني أسأل الرحمن مغفرةً وضربةً ذات فرع^(١) تقذف الزّيدا أو طعنةً بيدي حرّان مجهزةً بحربةٍ تُنفذ الأحشاء والكبد حتى يُقال إذا مرّوا على جدثي^(٢) أرشده الله من غازٍ وقد رشدا^(٣) ووقف الرسول ﷺ يوصي الجيش ، فقال : «اغزوا باسم الله ، فقاتلوا عدوّ الله وعدوّكم بالشام ، وستجدون فيهم رجالاً في الصّوامع مُعتزلين من الناس ، فلا تعرضوا لهم ، وستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص^(٤) فافلقوها بالسيوف ، ولا تقتلوا امرأةً ، ولا صغيراً ضرعاً^(٥) ، ولا كبيراً فانياً ، ولا تقطعن شجرة ، ولا تعقرن نخلاً ولا تهدموا بيتاً»^(٦) .

هكذا ، فلتتعلّم الدنيا من نبيّ الرحمة ﷺ الأخلاق الفاضلة ، والتعامل الرائع مع الآخرين ، عسى أن تسعد في الدارين .

* * *

(١) أي : واسعة يسيل دمهـا .

(٢) أي : قبري .

(٣) عيون الأثر : ١٥٣ / ٣ .

(٤) أي : مواضع .

(٥) أي : النحيف الضاوي الجسم .

(٦) سنن البيهقي : ٩١ / ٩ .

... تَلَا حَمَّ عَجِيب!! ...

ووقف عبد الله بن رواحة رضي الله عنه لحظة وداع للرسول ﷺ ، فقال :
فثَبَّتَ اللهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنِ تَثْبِيتِ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نُصِرُوا
إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي ثَابِتُ الْبَصَرِ
أَنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يُحْرِمُ نَوَافِلَهُ وَالْوَجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أَزْرَى بِهِ الْقَدَرُ^(١)
ثم قال : يَا رَسُولَ اللهِ ، مُرْنِي بِشَيْءٍ أَحْفَظُهُ عَنْكَ .
فقال صلوات الله عليه : «إِنَّكَ قَادِمٌ غَدًا بِلَدَاءَ ، السَّجُودَ بِهِ قَلِيلٌ ، فَأَكْثِرِ
السَّجُودَ» .

قال عبد الله : زِدْنِي يَا رَسُولَ اللهِ .
فقال : «اذْكُرِ اللهُ ، فَإِنَّهُ عَوْنٌ لَكَ عَلَى مَا تَطْلُبُ» .
فقام من عنده حتى إِذَا مَضَى ذَاهِبًا رَجَعَ إِلَيْهِ ، فقال : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنْ اللهُ
وَتَرَى يَحِبُّ الْوَتَرَ ! .
فقال : «يَا ابْنَ رَوَاحَةَ ، مَا عَجَزْتَ فَلَا تَعْجِزَنَّ إِنْ أَسَاءَتْ عَشْرًا أَنْ تُحْسِنَ
وَاحِدَةً» .

قال ابن رواحة : لَا أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا .
وسار أصحاب ابن رواحة ، وَتَخَلَّفَ هُوَ لِيُصَلِّيَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ
يَلْحَقُ بِهِمْ ، فَلَمَّا صَلَّيْهُمُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ رَأَاهُ ، فقال : «مَا مَنَعَكَ أَنْ
تَغْدُوَ مَعَ أَصْحَابِكَ؟» ، فقال : أَرَدْتُ أَنْ أُصَلِّيَ مَعَكَ ثُمَّ أَلْحَقَهُمْ ، فقال صلوات

(١) البداية والنهاية للمحافظ ابن كثير : ٢٥٧/٤ .

الله عليه : « لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت فضل غدوتهم »^(١).

أجل يا رسول الله يا أحمد!.

ما أروع هذا الود بينك وبين أصحابك ، حتى أن الإنسان لا يستطيع أن يُميز بينك كقائد وبين الصحابة كجنود ، فسلام الله عليك وصلواته .

الله أرسله بكل هداية وحباه في الدارين كُلَّ عناية فلقد حوى في المجد أبعد غاية (أنى اهتديت من الكتاب بآية فعلمت أن علاه ليس يضاهي)

فشهدت أن الله حصّ محمداً فغدا بأمالك السماء مؤيداً وعلى لسان الأنبياء ممجّداً (ورأيت فضل العالمين محدداً وفضائل المختار لا تنهاى)

أمداحه تبقى على مر الزمان كم آية فيها له مدح حسن أعيت مدائحه الحسان ذوي اللسن (كيف السبيل إلى تقصي مدح من قال الإله له وحسبك جاهاً)

* * *

(١) سنن الترمذي : ٤٠٥ / ٢ .

... وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ ...

ولما التقى الجيشان في غزوة مؤتة ، حمل اللواء زيد بن حارثة رضي الله عنه فقاتل ، وقاتل المسلمون معه ، حتى قُتل طعناً بالرماح ، فصلَّى عليه المسلمون خلف رسول الله ﷺ ، ثم قال لهم : «استغفروا له وقد دخل الجنة وهو يسعى»^(١).

ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، فعقر فرسه الشقراء ، وراح يضرب ذات اليمين وذات الشمال ، حتى قُطعت يمينه ، فأخذ اللواء بشماله حتى قُطعت ، فاحتضن اللواء بعضديه ، وكان يُشد :

يا حَبْذا الجَنَّةِ واقتَرابُها طَيِّبَةً وبارداً شَرابُها
والروم رومٌ قد دنا عذابُها كافرةً بعيدةً أنسابُها
عليَّ إذ لا قِيتَها ضرابُها

وتكاثر الروم عليه ، حتى سقط شهيداً ، فوجدوا في جسده أكثر من خمسين بين طعنة وضربة رضي الله عنه وأرضاه^(٢).

ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ، فتردّد قليلاً ، ثم راح يقاتل بحماسٍ شديد وهو يقول :

أقسمتُ يا نفس لتنزلتَ لتنزلنَّ أو لتُكرهتَ

(١) طبقات ابن سعد : ٤٦/٣ .

(٢) دلائل البیهقي : ٣٦٣/٤ .

إن أجلب الناس^(١) وشدوا الرنة^(٢) مالي أراك تكريهين الجنة
قد طالما قد كنت مطمئنة هل أنت إلا نطفة في شنة^(٣)
وبقي يقاتل حتى سقط شهيداً^(٤).

فأخذ الراية ثابت بن أرقم ، فقال : يا معشر المسلمين ! اصطلحوا على
رجلي منكم ، قالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن
الوليد رضي الله عنه فقاتل حتى كتب الله النصر على يديه .
هنيئاً لكم يا صحابة الحبيب ﷺ ! .

وذلك لما قدّمتم من الغالي والنفيس في سبيل إعلاء كلمة الحق سبحانه
وتعالى ، ولذلك كان الرسول صلوات الله عليه يُتابع الحدث لحظة تلو لحظة ،
فعن أنس رضي الله عنه : أن النبي ﷺ نعى زيداً وجعفرأ وابن رواحة للناس ،
قبل أن يأتيهم خبرهم ، فقال : «أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذ جعفر
فأصيب ، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب» وعيناه تذرفان^(٥).

* * *

(١) أي : اجتمعوا وتألبوا .

(٢) الرنة : الصيحة .

(٣) شنة : الخلق من كل آنية .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٢٠٤ / ١ .

(٥) صحيح البخاري : ١٨٢ / ٥ ، سنن النسائي : ٢٦ / ٤ .

... الطيَّارُ في الجنَّة... ..

وعن أسماء ابنة عميس رضي الله عنها قالت: لما أُصيب جعفر بن أبي طالب وأصحابه يوم مؤتة ، دخل عليَّ رسول الله ﷺ ، وقد عجنتُ عجيني وغسلتُ بنيَّ ودهنتهم ونظفتهم .

فقال رسول الله : «اثني بني جعفر» ، قالت: فأتيته بهم فتشمتهم وذرفت عيناه، فقلتُ: يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ما يبكيك أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟

قال: «أصيبوا هذا اليوم» ، قالت: فقمْتُ أصبح ، واجتمع إليَّ النساء، وخرج رسول الله ﷺ إليَّ ، فقال: «لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم»^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ جالسٌ وأسماء بنت عميس قريبةً منه إذ ردَّ السلام ، ثم قال: «يا أسماء ، هذا جعفر مع جبريل وميكائيل وإسرافيل سلّموا علينا ، فردّي عليهم السلام ، وقد أخبرني أنه لقي المشركين يوم كذا وكذا قبل ممّره على رسول الله ﷺ ، بثلاثٍ أو أربع ، فقال: لقيتُ المشركين فأصبْتُ في جسدي من مقاديمي^(٢) ثلاثاً وسبعين بين رميةٍ وطعنةٍ وضربة ، ثم أخذتُ اللواء بيدي اليمنى ففُطعت ، ثم أخذت بيدي اليسرى ففُطعت ، فعوضني الله من يدي جناحين أطير بهما مع جبريل وميكائيل أنزلُ من الجنة حيثُ شئتُ وأكل من ثمارها ما شئتُ» .

(١) مسند الإمام أحمد: ٦/ ٣٧٠ .

(٢) أي: ما استقبل من جسدي .

فقلت أسماء: هنيئاً لجعفر ما رزقه الله من الخير ، ولكن أخافُ أن لا يُصدّق الناس ، فاصعد المنبر فأخبر به ، فصعد صلوات الله عليه المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : «يا أيها الناس ، إن جعفرأ مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه ، سلم عليّ» .

ثم أخبرهم كيف كان أمره حيثُ لقي المشركين ، فاستبان للناس بعد اليوم الذي أخبر رسول الله ﷺ ، أن جعفرأ لقيهم ، فلذلك سُمي الطيّار في الجنة^(١) .

نعم يا روح الوجود يا رسول الله!

يا رب بالمختار يسّر أمرنا واغفر خطايانا وأذهب ضُرنا
واجزل عطايانا وأجمل سترنا واجعل بطيبة في حماه مقرنا
وأجب سؤال نفوسنا ودُعاها

يا رب صلّ على النبي محمّد والآل والصّحب الكرام المّختدِ
القائمين السراكعين السّجد أنصار دينك باللسان وباليدِ
والمال حبّاً للرسول وجّاهها

* * *

(١) مستدرک الحاكم: ٢١٢/٣ .

... إن عصيتني أطعك!! ...

في جمادى الآخرة من السنة الثامنة للهجرة ، أرسل رسول الله ﷺ سرية إلى ذات السلاسل ، وأمر عليها عمرو بن العاص رضي الله عنه .

... حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلسل ، وبذلك سميت تلك الغزوة ذات السلاسل^(١) .

فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده ، فبعث إليه رسول الله ﷺ يستمده ، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهم .

وقال لأبي عبيدة حين وجَّهه: «لا تختلفا» ، فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له عمرو: إنما جئت مدداً لي ، قال أبو عبيدة: لا ، ولكنني على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه ، وكان أبو عبيدة رجلاً ليناً سهلاً ، هيناً عليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو: بل أنت مددٌ لي .

فقال له أبو عبيدة: يا عمرو! إن رسول الله ﷺ قال لي: لا تختلفا ، وإنك إن عصيتني أطعك .

فقال عمرو: فإني الأمير عليك وأنت مددٌ لي ، قال: فدونك ، فصلي عمرو بالناس^(٢) .

أجل يا سيدي يا أبا الزهراء! .

(١) عيون الأثر: ١٥٧/٢ .

(٢) سيرة ابن هشام: ٢٩٩/٤ ، تاريخ الطبري: ٣٢/٣ .

لا يوجد في التاريخ قائد ربّي جنوده على هذا الحبّ والتفاهم مثلك ، فأنت الذي علّمت الصحابة الأكارم أن يتفانوا في سبيل الله ، وأن يذوب الواحد منهم في الجماعة ، وأن يتنازل الواحد منهم عن حقه مقابل أن لا ينزعج أخوه في الله .

دليل ذلك عبارة أبي عبيدة رضي الله عنه لعمر بن العاص : وإنك إن عصيتني أطعتك ! .

وكيف لا يفعل أبو عبيدة ذلك ، وقد أوصيته بقولك : « لا تختلفا » .

ولذلك كانت أروع لوحة ناطقة عما كان عليه الصحابة معك يا رسول الله ، هي ما ورد في أواخر سورة الفتح : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْعُهُ فَتَازَرُوا فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٩] .

* * *

... هكذا يُسر الشريعة...

وفي سرية ذات السلاسل جرت هذه الحادثة ، والتي فيها من العبر والعظات الشيء الكثير :

عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه كان على سرية ، وأنهم أصابهم بردٌ شديد لم يُر مثله ، فخرج لصلاة الصبح ، فقال : والله لقد احتلمتُ البارحة ، ولكني والله ما رأيتُ برداً مثل هذا ، هل مرّ على وجوهكم مثله؟

قالوا: لا ، فغسل مغابنه وتوضأ وضوءه للصلاة ، ثم صلى بهم .

فلما قدم على رسول الله ﷺ ، سأل رسول الله ﷺ : «كيف وجدتُم عمرأ وصحابته لكم؟» .

فأثنوا عليه خيراً ، وقالوا: يا رسول الله ، صلى بنا وهو جُنُب!! .

فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمرو فسأله ، فأخبره بذلك وبالذي لقي من البرد .

فقال: يا رسول الله ، إن الله تعالى قال : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٩] . ولو اغتسلتُمُ ، فضحك رسول الله ﷺ إلى عمرو^(١) .

- وفي رواية أخرى - أن عمرو بن العاص رضي الله عنه صلى بالناس وهو

(١) عيون الأثر: ١٥٧/٢ ، سنن أبي داود: ٢٣٨/١ .

جُنِبَ وَمَعَهُ مَاءٌ ، لَمْ يَزِدْ عَلَى غَسْلِ فَرْجِهِ ، وَتَيَمَّمُ!!^(١)

أَجْلِ يَا رُوحَ الْوُجُودِ يَا رَسُولَ اللَّهِ!

هَكَذَا عَلَّمْتَ الْأَجْيَالَ الْيُسْرَ لَا الْعُسْرَ ، وَاللِّينَ لَا الشَّدَّةَ ، وَالصَّدْرَ الرَّحْبَ
فِي الْمَعَامَلَاتِ ، فَتَكُونُ جِيلٌ فَرِيدٌ لَا مِثْلَ لَهُ ، كَيْفَ لَا ، وَلِلْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ هَذَا
الطَّابِعِ الرَّائِعِ حَتَّى الْيَوْمِ ، فَكَأَنَّهَا قِطْعَةٌ مِنْ جَنَّةِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ :

اقْطَعْ زَمَانَكَ إِنْ سَعَدْتَ بِبَلَدَةٍ حَوَتْ الرُّسُولَ فَتِلْكَ أَطْيَبُ تَرْبَةٍ
جَاوَزَهُ تَأْمَنُ أَنْ تُصَابَ بِشَدَّةٍ فَلَأَنْتِ أَنْتِ إِذَا حَلَلْتَ بِطَيْبَةٍ
وَضَلَلْتَ تَرْتَعِ فِي ظِلَالِ رَبَّاهَا

هِيَ جُنَّتِي مِمَّا أَخَافُ وَجُنَّتِي وَبِجَاهِ مَنْ فِيهَا تُخَلِّصُ مَهْجَتِي
وَإِذَا نَظَرْتُ لَهَا فَذَلِكَ بُغْيَتِي مَعْنَى الْجَمَالِ مِنْهُ الْخَوَاطِرُ وَالَّتِي
سَلَبْتُ عَقُولَ الْعَاشِقِينَ حُلَاهَا

تِلْكَ الْمَنَازِلُ لَا نَعِيمَ كَقُرْبَاهَا تِلْكَ الْمِيَاهُ لَنَا الشِّفَاءُ بِشُرْبِهَا
يَاطِيبُ نَفَحَتِهَا وَحُسْنُ مَهْبَّهَا لَا تَحْسِبِ الْمَسْكَ الذَّكِيَّ كَتَرْبِهَا
هِيَ هَاتِ أَيْنَ الْمَسْكَ مِنْ رَبَّاهَا

لَمْ لَا تَطِيبُ ثَنَاءً وَتَكْرُمُ مَنَبَةً وَالْمُصْطَفَى حَيًّا حَوْتَهُ وَمَيِّتًا
فَنَسِيمُهَا يَحْكِي الْعَبِيرَ إِذَا أَتَى طَابَتْ فَإِنْ تَبَغَّ التَّطِيبُ يَا فَتَى
فَادْمِ عَلَى السَّاعَاتِ لَثْمَ ثَرَاهَا

وَالسُّؤَالُ الْمُلَخَّصُ هُنَا: لَوْ أَنَّ مَا جَرَى مَعَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ جَرَى فِي أَيَّامِنَا ،
مَاذَا سَتَكُونُ رَدَّةُ الْفِعْلِ ، وَكَمْ سَتَصْدُرُ فِتَاوَى تَكْفِيرِيَّةٌ أَوْ تَفْسِيقِيَّةٌ أَوْ . . أَوْ . . ؟!

* * *

(١) دلائل البيهقي: ٤/٤٠٢ .

...«ومنبري على حَوْضي»...

في السنة الثامنة للهجرة حدثت هذه الحادثة :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ كان يخطب يوم الجمعة ويُسند ظهره إلى خشبة ، فلما كثر الناس قال : «ابنوا لي منبراً» . فسُوِّي له منبر - إنما كان عتبتين - فتحول من الخشبة إلى المنبر ، قال : فحنت إليه الخشبة حينئذٍ^(١) .

قال أنس رضي الله عنه : وأنا في المسجد أسمع ذلك ، قال : فوالله ما زالت تحنُّ حتى نزل النبي ﷺ من المنبر فمشى إليها فاحتضنها فسكتت ، فبكى الحسن وقال : يا معشر المسلمين ! الخشبة تحنُّ إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه ، أفليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحقُّ أن يشتاقوا إليه؟!

وفي رواية سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ كان يقوم الجمعة إذا خطب إلى خشبة ذات فُرْضَتَيْن^(٢) - قال : أراها من دَوْم^(٣) كانت في مُصَلَّاه - وكان يتكئ إليها ، فقال له أصحابه : يا رسول الله ! إن الناس قد كثروا ، فلو اتخذت شيئاً تقوم عليه إذا خطبت يراك الناس ، فقال : «ما شئتم» .

قال سهل : ولم يكن بالمدينة إلّا نجَّارٌ واحد ، قال : فذهبتُ أنا وذلك النجار إلى الغابة فقطعنا هذا المنبر من أثلّة ، قال : فقام رسول الله ﷺ فحنت الخشبة ، فقال رسول الله ﷺ : «ألا تعجبون من حين هذه الخشبة؟» ، فأقبل

(١) مسند أحمد : ٢٢٦/٣ .

(٢) الفرض : الحز في الشيء والقطع .

(٣) الدَّوم : ضخام الشجر ، واحدها دومة .

الناس عليها ، فرَقُوا من حنينها حتى كثر بكاءؤهم ، فنزل صلوات الله عليه ،
فأتاها فوضع يده عليها فسكنت ، فأمر رسول الله ﷺ بها فدُفنت تحت منبره ،
أو جُعِلت في السقف^(١) .

وهذه واحدة من معجزات الحبيب ﷺ ، وما أكثرها ، فصلوات الله على
من حنّت له الأشجار والجمادات ، وكلمته الطيور والوحوش .

صدق بما حدثت عنه ففي الوري	بالغيب عنه مصدق ومكذب
فاطرب لتسيح الحصى في كفه	فمن السماع لذكره ما يطرب
والجذع حنّ له وبات كمغرم	قلقي بفقد حبيبه يتكرب
واهتز من فرح (ثبير) تحته	ومن الجبال مسبح ومؤوب
وشفى جميع المؤلمات بريقه	يا طيب ما يزقي به ويطيب

* * *

(١) دلائل البيهقي: ٥٥٩/٢ ، طبقات ابن سعد: ٢٥٠/١ .

... فهو هادي كل حيران ...

وفي السنة الثامنة للهجرة ، وقبيل فتح مكة المكرمة حدثت هذه الحادثة الرائعة ، والتي فيها من المواعظ والحكم الشيء الكثير :

عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : بعثني رسول الله ﷺ والزيبر بن العوام وأبا مرثد الغنوي ، وكلنا فارس ، فقال : «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها امرأة من المشركين معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين» .

قال : فأدركناها تسير على جمل لها حيث قال لنا رسول الله ﷺ .

قال : قلنا : أين الكتاب الذي معك ؟ قالت : ما معي كتاب ، فأخذنا بها فابتغيها في رحلها فما وجدنا شيئاً ، قال صاحبائي : ما نرى كتاباً ، قال : قلت : لقد علمت ما كذب رسول الله ﷺ ، والذي يُحلف به لتُخرجن الكتاب أو لأجردنك .

قال : فلما رأَت الجَدَّ مني أهوت بيدها إلى حُجَرتِها ، وهي محتجزة بكساء ، فأخرجت الكتاب !

قال : فانطلقنا به إلى رسول الله ﷺ ، فقال : «ما حملك يا حاطب على ما صنعت ؟» .

قال : ما بي إلا أن أكون مؤمناً بالله ورسوله ، وما غيّرت ولا بدلت ، أردت أن تكون لي عند القوم يدٌ يدفع الله بها عن أهلي ومالي ، وليس من أصحابك هناك إلا وله من يدفع الله به عن أهله وماله .

فقال صلوات الله عليه : «صَدَقَ ، فلا تقولوا له إلا خيراً» .

قال: فقال عمر رضي الله عنه: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني أضرب عنقه، قال: فقال: «يا عمر، وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة».

قال: فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم^(١).

أجل يا سيدي يا رسول الله!

ما أروع حرصك على أتباعك، وما أجمل دفاعك عنهم، كيف لا؟ وأنت الهداية إلى نور الحق، فصلوات الله وتسليماته عليك يا خير المرسلين:

هداية الله في الدنيا وخيرته	من خلقه فهو هادي كل حيران
في أمة كان هاديها وليس لها	إلا عبادة أصنام وأوثان
لم يُبق للشرك عزاً يطمئن به	ولا نصيراً لذي بغى وعدوان
وأصبحت ملة الإسلام ظاهرة	بالحق فالناس في يمن وإيمان
وبدّل الغي رشداً والضلال هدى	في الأرض والدين فرداً بعد أديان

* * *

(١) صحيح البخاري: ٧١/٨.

... تواضع الفاتحين...

في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة ، توجه رسول الله ﷺ نحو مكة المكرمة ، ومعه عددٌ كبير من الصحابة ، لكن هل اغترّ وتكبر بذلك الفتح المبين؟ وهل أخذ ثأره من أهلها وقد عذّبوه . . وقتلوا بعض أصحابه و . . ؟

قال ابن إسحاق: . . . فحدّثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذي طوى وقف على راحلته معتجراً^(١) بشقة بُرد حبرة حمراء ، وإن رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عُثْونَه^(٢) ليكاد يمسُّ واسطة الرّحل^(٣) .

وعن عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ يوم الفتح على ناقه له يقرأ من سورة الفتح^(٤) .

وكانت من وصايا المصطفى ﷺ قبيل فتح مكة : « لا تُجهزن على جريح ، ولا يُبعن مُدبر ، ولا يُقتلن أسير ، ومن أغلق بابه فهو آمن »^(٥) .

ثم راح الرسول ﷺ يطوف بالبيت الحرام ، وأمر بتطهيره من الأصنام :

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته ، فطاف عليها وحول البيت أصنامٌ مشدودةٌ بالرصاص ، فجعل

(١) أي : يلف العمامة على رأسه وقد بدا وسط رأسه .

(٢) أي : منتهى لحيته .

(٣) سيرة ابن هشام : ٢٤ / ٤ .

(٤) صحيح البخاري : ١٩٢ / ٩ .

(٥) فتوح البلدان للبلاذري : ٥٣ .

النبي ﷺ يُشير بقضيب في يده إلى الأصنام وهو يقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع ، فقال تميم بن أسد الخزاعي في ذلك :

وفي الأصنام معتبرٌ وعلمٌ لمن يرجو الثواب أو العقاب^(١)

أجل يا رسول الله ﷺ!

ما هذا التواضع العجيب ، حيث لم نسمع بذلك في تاريخ الأبطال والفاحين ، فعادة ما يكون الفاتح في نشوة النصر ، وعادة ما يُظهر الكبر والبطر والفرح أثناء ذلك ، غير أنك يا رسول الله ، أنت الذي وصفك الله في قرآنه: ﴿وَأَنْتَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

فعليك الصلاة والسلام في كل وقتٍ وحينٍ يا صاحب الخلق العظيم:

صلوات الله تترى عليه	وعليهم طيبات عذابا
يفتح الله علينا بها من	جوده والفضل باباً فباباً
ما انتضى الشرق من الصبح سيفاً	وفرى من جنح ليل إهاباً

* * *

(١) سيرة ابن هشام: ٣٧/٤.

﴿ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾

ولما وصل النبي ﷺ إلى الكعبة ، وقف على بابها ، وألقى خطبة جامعة مانعة ، تحدث فيها عن جانب من حقوق الإنسان ، جاء فيها :

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال : «يا أيها الناس ، إن الله قد أذهب عنكم عبية^(١) الجاهلية وتعاظمها بأبائها ، فالناس رجلان : برّ تقيّ كريم على الله ، وفاجر شقيّ هين على الله ، والناس بنو آدم ، وخلق الله آدم من تراب ، قال الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣]»^(٢) .

ثم التفت صلوات الله عليه إلى أهل مكة ، وقد نكسوا رؤوسهم خوفاً من القصاص ، فقال لهم : «يا معشر قريش ، ما ترون أني فاعل فيكم؟» .

قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم .

قال : «اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(٣) .

وأرسل صلوات الله عليه إلى صناديد قريش من أجل العفو والصفح عنهم ، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم الفتح ورسول الله ﷺ بمكة أرسل إلى صفوان بن أمية بن خلف وإلى أبي سفيان بن حرب وإلى الحارث بن هشام ، قال عمر : قلت : قد أمكن الله منهم أعرفهم بما صنعوا حتى

(١) أي : الكبر .

(٢) سنن الترمذي : ٣٨٩/٥ .

(٣) سيرة ابن هشام : ٣٢/٤ .

قال النبي ﷺ: «مثلي ومثلكم كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾» [يوسف: ٩٢].

قال عمر: فانفضحت حياة من رسول الله ﷺ كراهية لما كان مني ، وقد قال لهم رسول الله ﷺ ما قال (١).

أجل يا نبي الرحمة يا رسول الله!

لا يعرف الحق إلى قلبك سبيلاً ، ولا يستطيع الكبر أن يتسلل إلى كيانك ،
فأنت روح الوجود ، تحرص على هداية الناس ، وتعفو وتصفح عن
المسيئين ، فصلاة الله وسلامه عليك في كل وقتٍ وحين:

يا رب هبنا للنبي وهب لنا	ما سؤلته نفوسنا تسويلاً
واجعل صلاتك دائماً منهلةً	لم تُلَف دون ضريحه تهليلاً
ما هزّت القضبُ النسيم ورجعتُ	ورقاً في فنن الأراك هديلاً

* * *

(١) طبقات ابن سعد: ١٢١/٢.

... فَهَلْ سَمِعْتَ بِمِثْلِهِ؟! ...

وبينما الرسول ﷺ يطوف بالبيت الحرام ، وذلك أثناء فتح مكة ، إذ حدث هذا الحادث ، والذي يحمل في طياته عبراً كثيرة :

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به أن فضالة بن عمير بن الملوّح الليثي أراد قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح !

فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : «أفضالة؟» .

قال : نعم فضالة يا رسول الله ، قال : «ماذا كنت تُحدث به نفسك؟» .

قال : لا شيء كنتُ أذكر الله عز وجل .

قال : فضحك النبي ﷺ ثم قال : «استغفر الله» ، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إليّ منه .

قال فضالة : فرجعتُ إلى أهلي ، فمررتُ بامرأة كنتُ أتحدثُ إليها ، فقالت : هَلُمَّ إلى الحديث . فقلتُ : لا .

وانبعت فضالة يقول :

يا بئى عليك الله والإسلام	قالت : هَلُمَّ إلى الحديث ، فقلتُ : لا
بالفتح يوم تكسر الأصنام	لو ما رأيت محمداً وقبيله
والشرك يغشى وجهه الإظلام ^(١)	لرأيت دين الله أضحى بيننا

(١) سيرة ابن هشام : ٣٧/٤ ، عيون الأثر : ١٨٠/٢ .

أجل يا رسول الله يا أحمد!

لقد كنت حريصاً على هداية البشر جميعاً ، لذلك لم يكن هدفك فضح المذنبين ، إنما كان الهدف هو هدايتهم إلى طريق الهدى والرشاد ، وقد صدق الله سبحانه بوصفه إياك : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨ - ١٢٩] .

ما ضلّ صاحبكم فحُصّن وكُرمَ ما ويقول «ما كذبَ الفؤاد» لقد سما وكفاه ما قد قاله ربّ السما «إن الذين يبايعونك إنما»
فيما يقولُ يبايعون الله

شهدت جميع الأنبياء بفضله فلأجل ختمهم أتوا من قبله
وله لواء الحمد حُصّن بحمّله هذا الفخارُ فهل سمعتَ بمثله
واهاً لنشأته الكريمة واها

يا أمة الهادي ومن كمالكم فجلال أحمد شاهدٌ بكمالكم
هو ستركم هو ذخركم لمآلكم صلّوا عليه وسلّموا فبذلكم
تُهدى النفوسُ لرشدها وغناها

* * *

...«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ»...

عن حويطب بن عبد العزى قال: لما دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح خفتُ خوفاً شديداً ، فخرجتُ من بيتي وفرقتُ عيالي في مواضع يأمنون فيها ، فأنتهيتُ إلى حائط - أي: بستان - عوف .

فكنتُ فيه فإذا أنا بأبي ذر الغفاري ، وكانت بيني وبينه خُلة^(١) ، والخلةُ أبداً مانعةٌ ، فلما رأيته هربتُ منه ، فقال: يا أبا محمد ، فقلتُ: لبيك . قال: مالك؟ قلت: الخوف ، قال: لا خوف عليك أنتَ بأمان الله عز وجل ، فرجعتُ إليه فسلمت عليه ، فقال: اذهب إلى منزلك ، قلت: هل لي سبيلٌ إلى منزلي؟ والله ما أراني أصل بيتي حياً حتى ألقى فأقتل أو يدخل عليّ منزلي فأقتل ، وإن عيالي لفي مواضع شتى ، قال: فاجمع عيالك في موضع أبلغ معك إلى منزلك ، فبلغ معي وجعل يُنادي أن حويطباً آمن فلا يُهَجْ ، ثم انصرف أبو ذر إلى رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال: «أوليس قد آمن الناس كلهم إلا من أمرتُ بقتلهم؟» قال: فاطمأنتُ ورددتُ عيالي إلى منازلهم وعاد إليّ أبو ذر ، فقال لي: يا أبا محمد ، حتى متي وإلى متي ، قد سُبقت في المواطن كلها ، وفاتك خيرٌ كثير ، وبقي خير كثير ، فأت رسول الله ، فأسلم تسلم ، ورسول الله أبرّ الناس ، وأوصل الناس ، وأحلم الناس ، شرفه شرفك ، وعزه عَزَّكَ ، قال: قلتُ: فأنا أخرجُ معك فأتيه ، فخرجتُ معه حتى أتيتُ رسول الله ﷺ بالبطحاء ، وعنده أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، فوقفْتُ على رأسه وسألتُ أبا ذر: كيف يُقال إذا سلّم عليه؟ قال: قل: السلام عليك أيها النبي

(١) أي: الصداقة والمحبة .

ورحمة الله وبركاته ، فقلتها ، فقال : «وعليك السلام يا حويطب» .
فقلتُ : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، فقال الرسول : «الحمد لله
الذي هداك» .

قال : وسرّ رسول الله ﷺ بإسلامي ، واستقرضني مالا ، فأقرضته أربعين
ألف درهم ، وشهدتُ معه حُنيئاً والطائف ، وأعطاني من غنائم حُنين مائة
بغير^(١) .

هكذا علّم الرسول ﷺ الأجيال وإلى قيام الساعة ، كيف يكون المسلم
داعيةً إلى الله ، يحمل الخير للناس ، لا يحقد . . ولا يحسد . . ولا يكره ،
إنما هو كالشمس الساطعة ، أو كالقمر المنير ، أو كالشلال العذب :
حُكم الشفاعة في يديه وأمرها وغزاةً نادتُهُ أذهبَ ضُرّها
والروح حين أتته شَرَف قدرها كثرت محاسنه فأعجز حصرها
فغدت وما نلقى لها أشباهها

* * *

(١) مستدرك الحاكم : ٤٩٣ / ٣ .

... مَدَائِحُهُ تَزِيدُ الْقَلْبَ شَوْقًا ...

كان أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ وهو ابن خالتها ، قال ابن إسحاق: وأقام أبو العاص بمكة ، وأقامت زينب عند رسول الله ﷺ بالمدينة ، حين فَرَّقَ الإسلام بينهما ، حتى إذا كان قبيل الفتح - فتح مكة - خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام ، وكان رجلاً مأموناً ، بماله له وأموال لرجالٍ من قريش أبضعوها معه^(١) .

فلما فرغ من تجارته ، وأقبل قافلاً ، لقيته سرية من سرايا رسول الله ﷺ ، فأصابوا ما معه ، وأعجزهم هارباً ، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله ، أقبل أبو العاص تحت جناح الليل ، حتى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ ، فاستجار بها فأجارته ، وجاء في طلب ماله .

فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الصبح ، فكبر للصلاة وكبر المسلمون ، صاحت زينب من صُفَّة النساء: أيها الناس ، إني قد أجزتُ أبا العاص بن الربيع!

فلما سلّم رسول الله ﷺ من الصلاة ، أقبل على الناس ، فقال: «أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعتُ؟» ، قالوا: نعم .

قال: «أما والذي نفس محمد بيده ، ما علمتُ بشيء من ذلك حتى سمعتُ ما سمعتم ، وإنه يجير على المسلمين أديانهم» ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته زينب فقال: «أي بُنَيَّة ، أكرمي مثواه ، ولا يخلصن إليك ، فإنك لا تحلين له» .

(١) أي: جعلوها بضاعة .

ثم بعث رسول الله ﷺ، إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص، فقال لهم: «إن هذا الرجل متا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، أن تحسنوا وتردّوا عليه الذي له، فإننا نحبّ ذلك، وإن أبيتم، فهو فيء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحقّ به».

فقالوا: يا رسول الله، بل نردّه عليه، فردّوه، ثم احتمل أبو العاص ماله إلى مكة، فأدّى إلى كل ذي مالٍ من قريش ماله، ومن كان أبضع معه، ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحدٍ منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيراً، فقد وجدناك وفياً كريماً.

قال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ووالله ما منعني من الإسلام عنده، إلا تخوّف أن تظنّوا إني إنما أردت أن آكل أموالكم، فلما أداها الله إليكم، وفرغت منها، أسلمت، ثم خرج من مكة حتى قدم على رسول الله ﷺ مسلماً، فأعاد إليه رسول الله ﷺ زوجته، وفرح المسلمون بذلك^(١).

أجل يا روح الوجود يا رسول الله!

بمدح المصطفى تحيا القلوبُ	وتغتفر الخطايا والذنوبُ
وأرجو أن أعيش به سعيداً	وألقاه وليس عليّ حُوبُ
يفرّج ذكّره الكربات عناً	إذا نزلت بساحتنا الكروبُ
مدائحُه تزيد القلب شوقاً	إليه كأنها حليّ وطيبُ
وأذكره وليّ الخطب داجٍ	عليّ فتنجلي عنّي الخطوبُ

* * *

(١) سيرة ابن هشام: ٣١٢/٢، طبقات ابن سعد: ٢٢/٨.

...«غَفَرَ اللَّهُ لَكَ»...

كان شيبة بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار رجلاً صالحاً له فضلٌ ، وكان يحدث عن إسلامه وما أراد الله به من الخير ، ويقول : ما رأيتُ أعجبَ مما كنا فيه من لزوم ما مضى عليه آباؤنا من الضلالات .

ثم قال : لما كان عام الفتح ودخل رسول الله ﷺ مكة عنوة ، قلتُ : أسير مع قريش إلى هوازن بحنين فعسى أن اختلطوا أن أصيب من محمد غرةً فأثأرُ منه فأكون أنا الذي قمتُ بثأر قريش كلها ، وأقول لو لم يبق من العرب والعجم أحدٌ إلا اتبع محمداً ما تبعته أبداً ، وكنتُ مرصداً لما خرجتُ له لا يزدادُ الأمر في نفسي إلا قوة ، فلما اختلط الناس اقتحم رسول الله ﷺ عن بغلته وأصلت السيف فدنوتُ أريدُ ما أريدُ منه ورفعتُ سيفي حتى كذتُ أسوره ، فرفع لي شواظُ من نارٍ كالبرق كاد يمحشني ، فوضعتُ يدي على بصري خوفاً عليه ، والتفتُ إلى رسول الله فناداني : «يا شيبُ اذُنْ» ، فدنوتُ فمسح صدري ، ثم قال : «اللهم أعذه من الشيطان» .

قال : فوالله لهو كان ساعتئذٍ أحب إلي من سمعي وبصري ونفسي ، وأذهب الله ما كان فيّ ، ثم قال : «اذن فقاتل» ، فتقدّمت أمامه أضربُ بسيفي ، والله يعلمُ أنني أحبُّ أن أقيه بنفسي كل شيء ، ولو لقيتُ تلك الساعة أبي لو كان حياً لأوقعْتُ به السيف ، فجعلتُ ألزمه فيمن لزمه حتى تراجع المسلمون وكرّوا كرة رجلٍ واحدٍ ، وقربتُ بغلة رسول الله ﷺ فاستوى عليها ، فخرج في أثرهم حتى تفرّقوا في كل وجه ، ورجع إلى معسكره فدخل خبائه ، فدخلتُ عليه ما دخل عليه غيري حُبّاً لرؤية وجهه وسروراً به ، فقال : «يا شيبُ ، الذي أراد الله بك خيرٌ

مما أردت بنفسك». ثم حدثني بكل ما أضمرت في نفسي مما لم أكن أذكره لأحد قط .

قال : فقلتُ ، فإنني أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنتَ رسول الله ، ثم قلت : استغفر لي ، فقال : «غفر الله لك»^(١) .

أجل يا سيدي يا أبا الزهراء!.

لقد كان يأتيك أعتى عُتاة الجاهلية يُريد قتلَكَ ، لكن ما يلبثُ أن يتحوّل بين يديكَ إلى مدافع عنكَ وعن الدّين الحنيف ، ورحم الله الإمام أبا حنيفة عندما قال :

أنتَ الذي من نوركَ البذرُ اكتسَى والشمس مشرقةً بنور بهاكا
أنتَ الذي لما توسّل آدمٌ من زلّةٍ بك فاز وهو أبাকা

* * *

(١) عيون الأثر: ١٩٠/٢ .

...بماذا نُجيبك يا رسولَ الله؟!...

بعد انتهاء غزوة حنين ، ثم انتهاء غزوة الطائف ، وذلك في السنة الثامنة للهجرة ، وُزِعَ رسول الله ﷺ الغنائم ، وكانت كثيرة جداً:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء وَجَدَ هذا الحي من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة^(١) حتى قال قائلهم: لقي والله رسول الله قومه ، فدخل عليه سعد بن عبادة ، فقال: يا رسول الله ، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفياء الذي أصببت ، قسّمت في قومك وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء.

قال: «فأين أنت من ذلك يا سعد؟» قال: يا رسول الله ، ما أنا إلا من قومي ، قال: «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة» قال: فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة ، فأتاهم رسول الله ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال: «يا معشر الأنصار، ما قاله بلغتنني عنكم؟ وجدة^(٢) وجدتموها علي في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلّالاً فهداكم الله ، وعالةً فأغناكم الله ، وأعداءً فألف الله بين قلوبكم؟» قالوا: بلى ، الله ورسوله أمّن وأفضل.

ثم قال: «ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟» قالوا: بماذا نُجيبك يا رسول الله؟ لله ورسوله المُنُّ والفضل.

(١) هو: اسم للقول الفاشي بين الناس.

(٢) وَجَدَ عليه جِدَّة: غضب.

قال صلوات الله عليه: «أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم: أتيتنا مكذباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فأويناك ، وعائلاً فأسيناك! أوجدتكم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعاة^(١) من الدنيا تألفتُ بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكُم؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنتُ امرءاً من الأنصار ، ولو سلَّك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكتُ شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار».

قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً ، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرَّقوا^(٢).

أجل يا نبي الرحمة يا رسول الله! .
صلَّى عليك الذي أعطاك منزلةً شفيها في مقام الحرِّ مقبول

* * *

(١) أي: البقية اليسيرة.

(٢) صحيح البخاري: ٢٠١/٥ ، تاريخ الطبري: ٩٣/٣ ، سيرة ابن هشام: ١٦٤/٤ .

... دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ!!...

لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ أناساً في القسمة ، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وأعطى عيينة مثل ذلك ، وأعطى أناساً من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة .

فجاء رجلٌ من بني تميم يُقال له ذو الخويصرة ، فوقف عليه وهو يُعطي الناس ، وقال : يا محمد! إعدل ، فوالله إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله!!

فقال الرسول ﷺ : «ويلك! ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟! لقد خبثٌ وخسرٌ إن لم أكن أعدل ، أو عند من تلتمسُ العدل بعدي؟» .

فغضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق .

فقال النبي ﷺ : «معاذ الله! أن يتحدّث الناس أني أقتل أصحابي ، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، ويتعمّقون في الدّين حتّى يخرجوا منه كما يخرج السّهم من الرميّة ، محلّقاً رؤوسهم ، فإذا خرجوا ، فاضربوا أعناقهم» .

وفي رواية أخرى : «فمن يعدلُ إذا لم يعدل الله ورسوله؟! رحم الله أخي موسى قد أُوذي بأكثر من هذا ، فصبر» إلى أن قال : «آيتهم رجلٌ إحدى ثدييه مثل ثدي المرأة ، يخرجون على حين فرقةٍ من الناس» .

قال أبو سعيد الخدري - أحد رواة الحديث - : أشهدُ أني سمعتُ من النبي ﷺ وأشهدُ أنّ عليّاً قتلهم وأنا معه جيء بالرجل على النّعت الذي نعته النبي

صلوات الله عليه قال : فنزلت فيه : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [التوبة : ٥٨] (١).

أجل يا سيدي يا أبا القاسم!

لقد تحمّل الأنبياء عليهم السلام من أقوامهم الأذى الكثير ، وخاصةً أولو العزم منهم ، وتحملت أنت من قومك الأذى الكثير الكثير ، فصبرت . . وعفوت . . وسامحت وصفححت . . وكنت تدعو الله لهم بالهداية ، فعليك سلام الله وصلواته .

الليل طال! ألا فجرٌ يبددهُ	ربّاه أرسى لنا فلكاً وربّانا
هناك لاح سنا المختار مؤتلقاً	يهدي إلى الله أعجماً وعربانا
يتلو كتاب هدى، كان الإخاء له	بدءاً ، وكان له التوحيد عنوانا
يقود دعوته في اليمّ باخرة	تُقلّ من أمها شيباً وشبانا
السلم رايتها ، والله غايتها	لم تبغ إلا هدى منه ورضوانا

* * *

(١) صحيح البخاري : ٢١/٩ ، صحيح مسلم : ٧٤٠/٢ ، تاريخ الطبري : ٩٢/٣ .

... نَحْنُ إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ...

عن موسى بن عقبة رضي الله عنه قال : ثم انصرف رسول الله ﷺ من الطائف في شوال إلى الجعرانة ، وبها السبي ، وقَدِمْتُ عليه وفود هوازن مسلمين فيهم تسعة نفرٍ من أشرافهم فأسلموا ، وبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام ، ثم كلّموه فيمن أصيب ، فقالوا: يا رسول الله! إن فيمن أصبتم الأمهات ، والأخوات ، والعَمَّات ، والخالات ، وهُنَّ مَخَازِي الأَقْوَام ، ونرغبُ إلى الله وإليك يا رسول الله ، وكان رحيماً جواداً كريماً ، فقال : «سأطلبُ لكم ذلك ، وقد وقعتِ المقاسم مواقع ، فأَيُّ الأمرين أحبُّ إليكم؟ أطلبُ لكم السبي ، أم الأموال؟» .

قالوا: خيّرنا يا رسول الله بين الحسب وبين المال ، فالحسبُ أحبُّ إلينا ولا نتكلّمُ في شاةٍ ولا بغير .

فقال رسول الله ﷺ : «أمّا الذي لبني هاشمٍ فهو لكم ، وسوف أُكلّمُ لكم المسلمين وأشفع لكم ، فكلّموهم وأظهروا إسلامكم ، وقولوا: نحن إخوانكم في الدين» .

وعلّمهم التّشهُد وكيف يتكلّمون ، وقال لهم : «قد كنتُ استأْنِيتُ بكم بضع عشرة ليلةً» .

فلما صلّى رسول الله ﷺ الهاجرة قاموا فاستأذنوا رسول الله ﷺ في الكلام ، فأذن لهم ، فتكلّم خطبائهم فأصابوا القول ، فأبلغوا فيه ، ورغبوا إليهم في ردّ سببهم ، ثم قام رسول الله ﷺ حين فرغوا فشفع لهم وحضّ المسلمين عليه ، وقال : «قد رددتُ الذي لبني هاشمٍ ، والذي بيدي عليهم ، فمن أحبّ منكم أن

يُعْطِي غير مُكْرِهِ فليَفْعَل ، ومن كره أن يُعْطِي ويأخذ الفداء فَعَلَيَّ فداؤهم .
فَأَعْطَى النَّاسُ مَا كَانَ بِأَيْدِيهِمْ مِنْهُمْ ، إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ سَأَلُوا الْفِدَاءَ ^(١) .

أَجَلْ يَا رَسُولَ الْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ!

لم يكن لديك ردة الفعل على قومك ، إنما كنت الرحمة المهداة ، والسراج المنير ، وصاحب الخلق العظيم ، فصلوات الله وسلامه عليك في كل وقتٍ وحين :

وآية الغار إذ وُقيتَ في حُجْبٍ	عن كل رجسٍ لرجسٍ الكفر مُتَحَلٍ
وقال صاحبك الصديق كيف بنا	ونحن منهم بمرأى الناظر العجلِ
فقلْتَ لا تحزن إن الله ثالثنا	وكنْتَ في حُجْبٍ سترٍ منه مُنْسدِلِ
حامت لديك هام الوحش حاسمةً	كيداً لكلّ غويّ القلب مُحْتَبِلِ
عرجتَ تخرقُ السبع الطباقي إلى	مقام زُلفى كريمٍ قُمتَ فيه علي
عن قاب قوسين أو أدنى هبطتَ ولم	تستكملِ الليل بين المرّ والقفلِ

* * *

(١) دلائل النبوة للإمام البيهقي : ١٩١/٥ .

... فكن في الشعر حسّانا...

خرج كعب وبُجير ابنا زهير بن أبي سلمى حتى أتيا أبرق العزّاف^(١) ، فقال
بُجير لكعب : اثبت في غنمنا هذا حتى آتي هذا الرجل - يعني رسول الله ﷺ -
فأسمع ما يقول ، فثبت كعب وخرج بجير .

فجاء رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام ، فأسلم فبلغ ذلك كعباً فقال :
فذكر أبياتاً من الشعر ، فلما بلغت الأبيات رسول الله ﷺ أهدر دمه ، فقال :
«من لقي كعباً فليقتله» .

فكتب بذلك بجير إلى أخيه يذكر له أن الرسول ﷺ قد أهدر دمه ويقول له :
النّجا ، وما أراك تفلت ، ثم كتب إليه بعد ذلك : اعلم أن رسول الله لا يأتيه
أحدٌ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا قبل ذلك ، فإذا جاءك
كتابي هذا فأسلم وأقبل ، فأسلم كعب وقال قصيدة يمدح فيها رسول الله ﷺ ،
ومنها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول	متيم إثرها لم يُقد مَكْبُولُ
تُبئت أن رسول الله أوعدني	والعفو عند رسول الله مَأْمُولُ
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة	القرآن فيها مواعيطٌ وتفصيلُ
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم	أُذنب ولو كثرت في الأقاويلُ
إن الرسول لنورٌ يُستضاء به	مهتدٌ من سيوف الله مسلُولُ
في فتية من قريشٍ قال قائلهم	بيطن مكة لما أسلموا زُولوا

ثم أقبل كعب بن زهير حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله ﷺ ، ثم

(١) هو : ماء لبني أسد ، وهو في طريق القاصد إلى المدينة من البصرة .

دخل ، وكان الرسول ﷺ مع أصحابه ، متحلّقون حوله حلقةً دون حلقة ، يلتفتُ إلى هؤلاء مرّةً فيحدّثهم وإلى هؤلاء مرةً فيحدّثهم .

وتقدم كعب حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ ، ثم وضع يده في يده ، وكان الرسول ﷺ لا يعرفه ، فقال كعب : يا رسول الله ، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً ، فهل أنت قابلٌ منه إن أنا جئتكَ به؟ فقال رسول الله ﷺ : «نعم» .

قال كعب : أنا يا رسول الله كعب بن زهير^(١) .

أجل يا رسول الله!

فبعد أن أهدرت دم كعب ، قبلت توبته وإسلامه ، وسامحته ، ثم خلعت عليه بردتك وهو يُشد القصيدة الرائعة ، والتي أطلق عليها فيما بعد (البردة):
هو الرسول فكن في الشعر حسّانا وصغ من القلب في ذكراه ألعانا
ذكرى النبي الذي أحيا الهدى وكسا بالعلم والنور شعباً كان عريانا

* * *

(١) المستدرک: ٥٧٩/٣ ، دلائل البیهقي: ٢٠٧/٥ ، سيرة ابن هشام: ١٨٩/٤ .

... والله ما هذا بالعدل...

كان رسول الله ﷺ قد سار بجيشه قاصداً تبوك ، وحين سار رسول الله ﷺ كان أبو خيثمة مالك بن قيس غير متحمس إلى الخروج أول الأمر .

وبعد سير النبي صلوات الله عليه بأيام ، ضاق صدر أبي خيثمة ، وشعر بالندم على تخلفه عن رسول الله ﷺ ، فعاد إلى أهله في يوم شديد الحر ، وكان له زوجتان ، وهما في بستانه ، فوجد امرأته قد رشّت كل واحدة منهما عريشها ، وبردت له ماء ، وهيات له فيه طعاماً .

فوقف أبو خيثمة على باب بستانه ، ونظر إلى امرأته وما صنعتا له ، فقال لهما : رسول الله في الشمس والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظلّ وماء بارد وطعام مهيباً وامرأة حسناء في ماله مقيم؟ ما هذا بالصفة والعدل .

ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ ، فهيناً لي زاداً .

ففعلا ، ثم قدم بغيره فارتحل ، وخرج في طلب رسول الله ﷺ ، حتى أدركه حين نزل تبوك .

وكان أبو خيثمة قد أدرك عمير بن وهب الجمحي في الطريق يريد الالتحاق برسول الله ﷺ ، فترافقا ، حتى إذا قربا من تبوك ، قال أبو خيثمة لعمير : إن لي عليك ذنباً ، فلا عليك أن تتخلف عني ، حتى آتي رسول الله ﷺ ، ففعل عمير ، حتى إذا دنا أبو خيثمة قال الناس : يا رسول الله ، هذا راكبٌ على الطريق مقبل ، فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال : «كن أبا خيثمة» .

فقالوا : هو والله أبو خيثمة ، فلما أناخ أبو خيثمة راحلته ، أقبل فسلم على

رسول الله ﷺ، فقال الرسول ﷺ: «أولى لك يا أبا خيثمة».

فأخبر رسول الله ﷺ بخبره ، واعتذر إليه ، فقبل رسول الله ﷺ صلوات الله عليه
عذره ودعا له بخير ، وقد أنشد أبو خيثمة يومذاك قوله :

ولما رأيتُ الناسَ في الدينِ نافقوا أتيتُ التي كانت أعفَ وأكرما
وباعيتُ باليمنِ يدي لمحمّدٍ فلم أكتسبِ إنمأ ولم أغشَ محرما
تركتُ خضيباً^(١) في العريشِ وصرمةً صفايا كراماً بُسرهما^(٢) قد تحمّما^(٣)
وكنْتُ إذا شكَّ المنافقُ أسمعَتْ إلى الدّينِ نفسي شطره حيث يمّما^(٤)

أجل يا رسول الله!

ما أروع تلك الكوكبة من الصحابة الذين ربّيتهم على القرآن والسنة ، فكانوا
قدوة وأسوة للأجيال من بعد فرَضِيَ الله عنهم أجمعين .

يا سيّد الرسل طُبْ نفساً بطائفةٍ باعوا إلى الله أرواحاً وأبدانا
قادوا السفين، فما ضلّوا وما وقفوا وكيف لا ، وقد اختاروك ربّانا

* * *

(١) أي: الزوجة التي تخضب يديها.

(٢) أي: نوع من أنواع الرطب.

(٣) أي: أخذ من الأرباب فاسود.

(٤) سيرة ابن كثير: ١٤/٤ ، تاريخ الطبري: ١٦٩٦/٤ .

... فَلَمْ أَحْرَمْ زيارته بقلبي...

في السنة التاسعة للهجرة جاء عدي بن حاتم إلى النبي ﷺ ، فأعلن إسلامه بين يديه ، ثم أجلسه إلى جواره ، فرأى أمراً عجباً ! قال عدي : بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا قطع السبيل .

فقال الرسول ﷺ لي : « يا عدي ، هل رأيت الحيرة ؟ » . قلت : لم أرها ، وقد أنبت عنها ، قال : « فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ^(١) ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله » . فقلت فيما بيني وبين نفسي : فأين دُعَا رطي الذين قد سعّروا البلاد ؟ ثم قال : « ولئن طالَّت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى » .

قلت : كسرى بن هرمز ؟

قال : « كسرى بن هرمز ، ولئن طالَّت بك حياة لترين الرجل يُخرج ملء كفه من ذهبٍ أو فضةٍ يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه ، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه ، وليس بينه وبينه ترجمانٌ يترجم له ، فيقولنَّ : ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك ؟ فيقول : بلى ، فيقول : ألم أعطك مالاً وأفضل عليك ؟ فيقول : بلى ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم » .

قال عدي : سمعتُ النبي ﷺ يقول : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد شقة تمرة فبكلمة طيبة » .

(١) المقصود هنا : المرأة في الهودج .

قال عديّ: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنْتُ فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ: «يُخرج ملء كفه»^(١).

أجل يا روح الوجود يا أبا الزهراء!

من أين تلك النبوءات الصادقة لولا أنك المعصوم ، والذي يمدّه الله بالوحي ، كما أخبر سبحانه وأقسم: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ١ مَاضِلٌ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ - ٤] ، ومن كان الوحي مؤيده ، فكيف يضلّ أو يخطئ؟! .

إليك أفرّ من ذلّي وذنبِي فأنت إذا لقيتُ الله حسبي
وزورة أحمد المختار قدماً مناي وبُعيتي لو شاء ربي
فإن أحرم زيارته بجسمي فلم أحرم زيارته بقلبي

* * *

(١) صحيح البخاري: ٢٣٩/٤ ، سنن البيهقي: ٢٢٥/٥ .

...عَاشُوا عَلَى الْحُبِّ...

في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة ، ندب الرسول ﷺ المسلمين للخروج إلى غزوة تبوك ، وذلك لتفريق جموع الروم في بلاد الشام .

وأعلمهم المكان الذي يُريد ليتأهبوا لذلك ، ثم إنه صلوات الله عليه جدّ في سفره ، وأمر الناس بالجهاز والانكماش ، وحضّ أهل الغنى على النفقة والحُملان في سبيل الله ، وعند ذلك تسابق المسلمون في الإنفاق!!

مثلاً: عثمان بن عفان رضي الله عنه ، عندما كان الرسول ﷺ يحثّ على تجهيز جيش العسرة ، قام عثمان فقال: يا رسول الله ، عليّ مائة بعيرٍ بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله! .

ثم حضّ رسول الله ﷺ مرة أخرى ، فقام عثمان فقال: وعليّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله .

وفي الثالثة ، قال عثمان رضي الله عنه: يا رسول الله ، عليّ ثلاثمائة بعيرٍ بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله! .

ففرح رسول الله ﷺ ، ونزل من على المنبر وقال: «من جهّز جيش العسرة فله الجنة» «ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم» «غفر الله لك يا عثمان ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، وما أسررت وما أعلنت ، اللهم لا تنس هذا اليوم لعثمان»^(١) .

وأما عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، فروى أبو هريرة أن النبي ﷺ

(١) صحيح البخاري: ١٥/٤ ، سنن النسائي: ٢٣٤/٦ ، سنن الترمذي: ٦٢٥/٥ .

قال : «تصدّقوا ، فإنني أريد أن أبعث بعثاً» .

فجاء عبد الرحمن بن عوف فقال : يا رسول الله ، عندي أربعة آلاف ، ألفان أقرضتهما ربي وألفان لعيالي .

فقال الرسول صلوات الله عليه : «بارك الله لك فيما أعطيت ، وبارك لك فيما أمسكت»^(١) .

أجل يا حبيب الحق يا رسول الله !.

خلفت جيلاً من الأصحاب سيرتهم	تضوع بين الوري زَوْحاً وريحاناً
كانت فتوحهمو براً ومرحمة	كانت سياستهم عدلاً وإحساناً
لم يعرفوا الذين أشكلاً ومسبحة	بل أُشربوا الذين محراباً وميداناً
أعطوا ضربيتهم للذين من دمهم	والناس تزعم نصر الذين مجاناً
أعطوا ضربيتهم صبراً على محن	صاغت بلالاً وعماراً وسلماناً
عاشوا على الحب أفواهاً وأفئدة	باتوا على البؤس والنعماء إخواناً
الله يعرفهم أنصار دعوته	والناس تعرفهم للخير أعواناً

* * *

(١) سنن أبي داود : ٣١٣/٢ ، مجمع الزوائد للهيتمي : ٣٢/٧ .

...«سَلَنِي عَمَّا شِئْتَ»...

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ خرج بالناس قبل غزوة تبوك ، فلما أن أصبح صلى بالناس صلاة الصبح ، ثم إن الناس ركبوا ، فلما أن طلعت الشمس نعى الناس على أثر الدلجة ، ولزم معاذ رسول الله ﷺ أثره والناس تفرقت بهم ركبهم على جواد الطريق تأكل وتسير ، فبينما معاذ على أثر رسول الله ﷺ وناقته تأكل مرة وتسير أخرى عثرت ناقة معاذ فكبحها بالزمام فهبت حتى نفرت منها ناقة رسول الله ﷺ ، ثم إن الرسول كشف عنه قناعه فإذا ليس من الجيش رجل أدنى إليه من معاذ ، فناداه رسول الله فقال : «يا معاذ» ، قال لبيك يا نبي الله .

قال : «إذن دونك» ، فدنا منه حتى لصقت راحلتهما إحداهما بالأخرى ، فقال رسول الله ﷺ : «ما كنت أحسب الناس منّا كمكانكم من البُعد» ، فقال معاذ : يا نبي الله ، نعى الناس فتفرقت بهم ركبهم ترتع وتسير ، فقال رسول الله ﷺ : «وأنا كنت ناعساً» فلما رأى معاذ بشري رسول الله ﷺ إليه وخلوته له قال : يا رسول الله ، ائذن لي أسألك عن كلمة قد أمرضتني وأسقمتني وأحزنتني ، فقال : «سَلَنِي عَمَّا شِئْتَ» ، قال : يا نبي الله ، حدّثني بعمل يُدخلني الجنة لا أسألك عن شيء غيرها ، فقال الرسول ﷺ : «بخ بخ ، لقد سألتَ بعظيم ، وإنه ليسيرٌ على من أراد الله به الخير : تُؤمن بالله واليوم الآخر ، وتقيم الصلاة ، وتعبد الله وحده لا تُشرك به شيئاً حتى تموت وأنت على ذلك» .

ثم قال صلوات الله عليه : «إن شئتَ حدّثتك يا معاذ برأس هذا الأمر ، وقوام هذا الأمر ، وذروة السّنام» ، فقال معاذ : بلى بأبي وأمي أنت يا نبي الله فحدّثني .

فقال ﷺ: «إن رأس هذا الأمر: أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وإن قوام هذا الأمر: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وإن ذروة السنام منه: الجهاد في سبيل الله ، إنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يُقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، فإن فعلوا ذلك فقد اعتصموا وعصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل»^(١).

أجل يا رسول الله يا أعظم من ربّي صحابته!.

أتى بصراطٍ مستقيمٍ من الهدى	له نبأٌ بادي البيان لباحثٍ
فصادف عُميةً يعمهون، قلوبهم	من الغيِّ غُلْفٌ تابعي كُلِّ عاثٍ
فأخرجهم من ظلمة الجهل نوره	وأنقذهم من موبقات الهناهِثِ
وأضحّت شمسُ الحق مشرقة السنا	قد اتّضحت آثارها للمباحثِ

* * *

(١) مسند الإمام أحمد: ٢٤٥/٥ ، مجمع الزوائد للهيثمي: ٢٧٢/٥ .

... فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا...

لقد تحمّل الصحابة الأكارم في سبيل نشر الدعوة إلى الله الشيء الكثير ، وهذه واحدة من الصور :

عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧] ، قال: خرجوا في غزوة تبوك: الرجالن والثلاثة على بعير ، وخرجوا في حرّ شديد ، فأصابهم يوماً عطش حتى جعلوا ينحرون إبلهم ليعصروا أكراشها ، ويشربوا ماءها ، فكان ذلك عُسْرَةً من الماء ، وعُسْرَةً من النفقة ، وعُسْرَةً من الظَّهْرِ^(١) .

لكن الذي كان يخفف على الصحابة ذلك ، وجود الرسول ﷺ بينهم ، وبالتالي مواساته لهم ، والدعاء منه بالبركة :

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: لما كنا في غزوة تبوك ، أصاب الناس مجاعة ، فقالوا: يا رسول الله ، لو أَذِنْتَ لنا فنحرننا نواضحنا^(٢) فأكلنا وادَّهنا .

فقال صلوات الله عليه : «افعلوا» .

قال: فجاء عمر رضي الله عنه ، فقال: يا رسول الله! إن فعلت قلّ الظَّهْر ولكن ادْعُهُم بفضل أزوادهم ، ثم ادْعُ الله لهم عليها بالبركة ، لعل الله أن يجعل فيها ذلك .

فقال رسول الله ﷺ: «نعم» ، قال: فدعا بنطع فبسطه ، ثم دعا بفضل

(١) دلائل النبوة للبيهقي: ٢٢٧/٥ ، الطبقات الكبرى لابن سعد: ١٦٧/٢ .

(٢) الناضح: هو البعير أو الثور الذي يُسْقَى عليه الماء .

أزوادهم ، فجعل الرجل يجيء بكفّ ذرة ، ويجيء الآخر بكفّ تمر ، ويجيء الآخر بكسرة ، حتى اجتمع على النّطع من ذلك شيء يسير .

قال : فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ، ثم قال : «خذوا في أوعيتكم» .

قال : فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلّا ملؤوه !

قال : فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة ، فقال رسول الله ﷺ : «أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاكٍّ فيُحجب عن الجنة»^(١) .

أجل يا روح الوجود يا أبا الزهراء!

أرى العمر يفنى والرجاء طويل	وليس إلى قرب الحبيب سبيلُ
حباه إله الخلق أحسنَ سيرة	فما الصبر عن ذاك الجمال جميلُ
متى يشتفي قلبي بشمّ ترابه	ويسمحُ دهرٌ بالمزار بخيلُ
دللتُ عليه في أوائل أسطري	فذاك نبيٌّ مصطفىٌّ ورسولُ

* * *

(١) صحيح مسلم: ٥٦/١ .

...«قَدْ أَمْسَيْتُ رَاضِياً عَنْهُ»...

عن محمد بن عمر أن عبد الله ذا البجادين من مزينة كان يتيماً لا مال له ، ثم مات أبوه فلم يُورثه شيئاً ، وكان عمّه ميلاً^(١) فأخذه وكفله حتى كان قد أيسر ، وكانت له إبلٌ وغنم ورقيق ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعلت نفسه تتوق إلى الإسلام ، ولا يقدر عليه من عمّه ، حتى مضت السنوات والمشاهد كلها ، فانصرف رسول الله ﷺ من فتح مكة راجعاً إلى المدينة ، فقال عبد الله لعمه : يا عمّ ، إني قد انتظرتُ إسلامك ، فلا أراك تريد محمداً ، فأذن لي في الإسلام .

فقال : والله لئن اتّبع محمدًا لا أترك بيدك شيئاً كنتُ أعطيتك إلاّ نزعته منك ، فقال ذو البجادين : فأنا والله متّبع محمدًا ، وتارك عبادة الحجر ، هذا ما بيدي فخذّه ، فأخذ كلّ ما كان أعطاه حتى جرّده من إزاره ، فأتى أمه فأعطته بجاداً^(٢) لها فشقّ بجاده باثنين فاتّزر بواحدٍ ، وأشح بالآخر ، ثم أتى المدينة ، فاضطجع في المسجد في السّحر ، ثم صلّى رسول الله ﷺ ثم جعل يتصفّح الناس لما انصرف من صلاة الصبح ، فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال : «من أنت؟» قال : أنا عبد العزّى .

قال : «أنت عبد الله ذو البجادين» ثم قال : «انزل منّي قريباً» .

(١) أي : ذو المال .

(٢) أي : الكساء الغليظ .

فكان يكون من أضيافه ﷺ ويعلمه القرآن ، حتى قرأ قرآناً كثيراً ، والناس يتجهّزون إلى تبوك^(١).

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ولما كانت غزوة تبوك ، قمتُ من جوف الليل ، فرأيتُ شعلَةً من نارٍ في ناحية العسكر ، قال : فاتّبعْتُها أنظر إليها ، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ، ورسول الله ﷺ في حفرتِه ، وأبو بكر وعمر يُدليّانه إليه ، وهو يقول : «أدنيا إليّ أخاكما» فدليّاه إليه ، فلما هيأه لشقّه قال : «اللهم إني قد أمسيتُ راضياً عنه ، فارض عنه» وكان ابن مسعود يقول : يا ليتني كنتُ صاحب الحفرة!!^(٢).

أجل يا سيّدي يا رسول الله!

لم تفتح القلوب والبلاد بالعنف والسيف ، إنما فتحتها بالحبّ واللين ،
فهنيئاً لمن أعطيتهم تلك الأوسمة الرفيعة كذي البجادين رضي الله عنه :
وكيف تخافُ النفس من دونها الردىٰ وذاك النبيّ الهاشميّ خفيّرها
محمد المبعوث للخلق رحمةً نبيّ الهدىٰ هادي الورىٰ ونذيرها
وشافعها في الحشر عند إلّٰها ومُنقذها من ناره ومُجيرها

* * *

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني : ٦٧٣ / ٢ .

(٢) عيون الأثر : ٢٢٢ / ٢ .

... وَصَايَا ذَهَبِيَّة ...

عن بريدة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أُمِرَ أميراً على جيشٍ أو سريةٍ أوصاه في خاصّته بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيراً .

ثم قال : «اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصالٍ أو خلالٍ ، فأيتهم ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك ، فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحولوا منها ، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ، ولا يكون لهم في الغنيمة والفىء شيء ، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن هم أبوا فسلهم الجزية ، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم ، وإذا حاصرت أهل حصنٍ ، فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله ، وإذا حاصرت أهل حصنٍ فأرادوك أن تُنزّلهم على حكم الله فلا تُنزّلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك ؛ فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا»^(١).

(١) صحيح مسلم : ٣ / ١٣٥٧ ، سنن الترمذي : ٤ / ١٦٢ .

أجل!

إنها وصايا نطق بها نبي الرحمة محمد ﷺ ، وعلى العالم أجمع إن أراد العدل والمساواة ، والسلم والتعايش ، أن يخط تلك الوصايا بخطوط من ذهب على صحائف من نور ، لتعلق على جدران المنظمات الدولية التي تدعي مناصرة المستضعفين المظلومين ، كهيئة حقوق الإنسان :

شدوا المطي وقد نالوا المنى بمنى	وكلهم بأليم الشوق قد باحا
سارت ركائبهم تندی روائحها	طيباً بما طاب ذاك الوفد أشباحا
نسيم قبر النبي المصطفى لهم	روح إذا شربوا من ذكره راحا
إننا أقمنا على عذر وعن قدر	ومن أقام على عذر كمن راحا

والعجيب أنه بعد تلك الوصايا النبوية ، والتي تقطر رحمة ورأفة ، يتهم نبي الإسلام بأنه إرهابي . . . وأنه يحمل لواء العنف . . . ؟!!

* * *

...«اذْهَبْ فَأَنْتَ أَمِيرٌ عَلَيْهِمْ»...

في السنة التاسعة للهجرة قدمت بعض الوفود على رسول الله ﷺ ، وكان منها وفد أهل الطائف :

عن عثمان بن أبي العاص قال : قدمتُ في وفدٍ ثَقِيفٍ حين قدموا على رسول الله ﷺ ، فلبسنا حُلُلنا ببابه ، فقالوا : من يُمسك لنا رواحِلنا ؟ فكل القوم أحبَّ الدخول على النبي ﷺ وكره التخلُّف عنه .

قال عثمان : وكنتُ أصغرهم فقلتُ : إن شِئتم أمسكتُ لكم على أن عليكم عهد الله لَتُمسكنَّ لي إذا خرجتم ، قالوا : فذلك لك ، فدخلوا عليه ثم خرجوا ، فقالوا : انطلق بنا ، قلتُ : أين ؟ قالوا : إلى أهلِكَ ، فقلتُ : خرجتُ من أهلي حتَّى إذا حللتُ بباب النبي ﷺ أرجعُ ولا أدخلُ عليه ، وقد أعطيتُموني ما قد علمتم ؟ !

قالوا : فأعجلْ فإننا قد كفيناك المسألة فلم ندعْ شيئاً إلَّا سألناه ، فدخلتُ فقلتُ : يا رسول الله ، ادع الله أن يُفقهني في الدين ويُعلِّمني ، قال : «ماذا قلتَ ؟» فأعدتُ عليه القول ، فقال : «لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحدٌ من أصحابك ، اذهبْ فَأَنْتَ أَمِيرٌ عَلَيْهِمْ وعلى من يقدِّمُ عليك من قومك»^(١) .

... ولما همَّ عثمان بن أبي العاص الثَّقِيفي رضي الله عنه أن يلحق بقومه ، قال له رسول الله ﷺ : «أَمَّ قومك» ، قال : قلتُ : يا رسول الله ! إني أجِدُ في نفسي شيئاً ، قال : «اذنُه» ، فجلّستني بين يديه ، ثم وضع كفَّه في صدري بين

(١) أخرجه الطبراني في الكبير : [مجمع الزوائد للهيتمي : ٣٧٠ / ٩] .

ثديي ، ثم قال : «تحوّل» ، فوضعها في ظهري بين كتفي ، ثم قال : «أم قومك ، فمن أمّ قوماً فليخفف ؛ فإن فيهم الكبير ، وإن فيهم المريض ، وإن فيهم الضعيف ، وإن فيهم ذا الحاجة ، وإذا صلي أحدكم وحده فليصل كيف شاء»^(١) .

أجل يا رسول الله ، يا رحمةً مهداة!

فأنت الذي علّمت الناس أن ييسّروا ولا يعسّروا ، ويبشّروا ولا ينقّطوا ، ونهيتهم عن التنطّع ونحو ذلك .

وهذا درسٌ نبويّ بليغ للناس كافة ، وللمتصدّرين للدعوة خاصة ، وذلك من أجل مراعاة المريض والعاجز والكبير والطفل . . . ، فصلوات الله عليك يا نبي الله :

وكيف تأبى جَنِيّ أوصافه هممٌ	يروقها من قطوف العزّ تذليلٌ
وليس يُدرّك أدنى وصفه بشرٌ	أيقطع الأرض ساع وهو مكبولٌ
كل الفصاحة عيٌّ في مناقبه	إذا تفكّرت والتكثيرُ تقييلٌ
لو أجمع الخلق أن يُحصوا محاسنه	أعيتهم جُملةٌ منها وتفصيلٌ

* * *

(١) صحيح مسلم : ٣٤١/١ ، مسند أحمد : ٢١/٤ .

...«أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ»...

في السنة التاسعة للهجرة بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما إلى اليمن ، وكانت هذه الوصايا الرائعة :

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن : «إنك ستأتي قوماً أهل كتابٍ فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلواتٍ في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقةً تُؤخذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك فإيّاك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»^(١).

وعن أبي بردة رضي الله عنه قال : بعث النبي ﷺ جدّه أبا موسى ومعاذاً إلى اليمن ، فقال : «يسّروا ولا تعسّروا ، وبشّروا ولا تنفروا ، وتطاوعا».

فقال أبو موسى : يا نبيّ الله ، إن أرضنا بها شرابٌ من الشعير ؛ المِزْرُ ، وشرابٌ من العسل ؛ البتْعُ .

فقال صلوات الله عليه : «كل مسكرٍ حرام»^(٢).

وعن معاذ أن رسول الله ﷺ قال له : «كيف تصنعُ إن عرض لك قضاء؟» قال : أقضي بما في كتاب الله ، قال : «فإن لم يكن في كتاب الله؟» قال : فبِسْئَةٍ

(١) صحيح البخاري : ١٥٨/٢ .

(٢) صحيح البخاري : ٣٦/٨ .

رسول الله ، قال : « فإن لم يكن في سته رسول الله ؟ » قال : أجتهد رأيي لا آلو ، قال : فضرب رسول الله ﷺ صدري ثم قال : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله »^(١).

يا سيدي يا أبا الزهراء!

كم كنت حريصاً على أن يكون سفراؤك إلى الناس من أفضل الناس ، ولذلك كنت توصيهم بأن يكونوا ميسرين ، وملتزمين بما ورد في القرآن والسنة .

والأروع من ذلك ما فعلته مع معاذ بن جبل وهو يبدأ الخطوات الأولى باتجاه اليمن ، فعن معاذ قال : لما بعثه الرسول ﷺ إلى اليمن ، خرج معه الرسول ﷺ يوصيه ، ومعاذ راكبٌ ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته ، فلما فرغ قال : « يا معاذ ! إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ، أو لعلك أن تمر بمسجدي هذا أو قبري ».

فبكى معاذ حزناً لفراق رسول الله ﷺ ، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة ، فقال : « إن أولى الناس بي المتقون ، من كانوا وحيث كانوا »^(٢).

* * *

(١) مسند أحمد : ٢٣٦ / ٥ .

(٢) دلائل البهقي : ٤٠٤ / ٥ .

... رَحْمَةً حَتَّى مَعَ زَعِيمِ الْمَنَافِقِينَ ...

(عبد الله بن أبيّ بن سلول) زعيم المنافقين في العهد النبوي ، وله من الأمور والمواقف ضد مسيرة الدعوة إلى الله ما لا يُحمد أبداً!!

ومع ذلك كله كيف كان موقف رسول الرحمة ﷺ عندما مرض ابن سلول مرض الموت ، ثم ماذا حدث عند دفنه؟!

مرض عبد الله بن أبيّ بن سلول في ليالي بقين من شوال من السنة التاسعة للهجرة ، ومات في ذي القعدة ، وكان مرضه عشرين ليلةً.

فكان رسول الله ﷺ يعودُه فيها ، فلما كان اليوم الذي مات فيه ، دخل عليه رسول الله ﷺ وهو يجود بنفسه ، فقال : «قد نهيتك عن حبّ يهود».

فقال : قد أبغضهم أسعد بن زُرارة فما نفعه!

ثم قال : يا رسول الله ! ليس هذا بحين عتاب ، هو الموتُ فإن مُتَ فاحضُرْ غسلي ، وأعطني قميصك أكفّن فيه ، فأعطاه رسول الله ﷺ قميصه الأعلى ، وكان عليه قميصان ، فقال ابن أبيّ : أعطني قميصك الذي يلي جلدك .

فنزح الرسول صلوات الله عليه قميصه الذي يلي جلده فأعطاه!!^(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : لما توفي عبد الله جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يُعطيه قميصه يكفّن فيه أباه ، فأعطاه ، ثم سأله أن يُصلي عليه ، فقام رسول الله ﷺ ليصلي ، فقام عمر رضي الله عنه فأخذ بثوب رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله ، تُصلي عليه وقد نهاك ربك أن تُصلي عليه؟

(١) دلائل النبوة للبيهقي : ٢٨٥/٥ .

فقال الرسول ﷺ: «إنما خيرني الله فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] وسأزيد على السبعين» ، قال: إنه منافق ، قال: فصللي عليه رسول الله ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَى أَبَدًا وَلَا تُقَمِّ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤] (١).

أجل يا رسول الله ، يا صاحب القلب الكبير!

حتى مع زعيم المنافقين مسامح وكريم ورحيم؟ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

أضياء النور وانقشع الظلام	بمولد من له الشرف التمام
ربيع في الشهور له فخار	عظيم لا يُحد ولا يُرام
به كانت ولادة من تسامت	به الدنيا وطاب بها المقام

* * *

(١) صحيح البخاري: ٨٥/٦ ، صحيح مسلم: ٢١٤١/٤.

...لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ»...

في السنة التاسعة للهجرة وَفَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفَدُّ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ،
وكانت هذه اللقطة الرائعة :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ
شَيْءٍ ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَيَسْأَلُهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ !
فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَتَانَا رَسُولُكَ فزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ
تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ ؟ قَالَ : «صَدَقَ» .

قال : فمن خلق السماء ؟ قال : «الله» .

قال : فمن خلق الأرض ؟ قال : «الله» .

قال : فمن نَصَبَ هذه الجبال ، وجعل منها ما جعل ؟ قال : «الله» .

قال : فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال ، آله أَرْسَلَكَ ؟
قال : «نعم» .

قال : وزعم رسولك أن علينا خمس صلواتٍ في يومنا وليلتنا ؟ قال :
«صدق» .

قال : فبالذي أَرْسَلَكَ اللَّهُ أَمَرَكَ بهذا ؟ قال : «نعم» .

قال : وزعم رسولك أن علينا زكاةً في أموالنا ؟ قال : «صدق» .

قال : فبالذي أَرْسَلَكَ اللَّهُ أَمَرَكَ بهذا ؟ قال : «نعم» .

قال : وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا ؟ قال : «صَدَقَ» .

قال : فبالذي أَرْسَلَكَ اللَّهُ أَمَرَكَ بهذا ؟ قال : «نعم» .

قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً؟ قال: «صدق».

قال: ثم ولي وهو يقول: والذي بعثك بالحق لا أزيدُ عليهن ولا أنقصُ منهن!!

فقال النبي ﷺ: «لئن صدقَ ليدخلن الجنة»^(١).

أجل يا رسول الله!

ما أروع هذه البساطة في التعاليم ، وما أجمل مخاطبة الناس بما يفهمون ، وبالتالي ما أروع ختام تلکم المقابلة مع الأعرابي: «لئن صدق ليدخلن الجنة» فصلوات الله عليك يا معلم الناس الخير:

رسول الله دعوة مُستقيلٍ	من التقصير خاطره هيوْبُ
شفاعته لنا ولكل عاصٍ	بقدر ذنوبه منها ذنوبٌ ^(٢)
صلاة الله ما سارت سحابٌ	عليه وما رسا وثوى عسيبٌ

* * *

(١) صحيح مسلم: ٤١/١ ، سنن الترمذي: ١٤/٣ .

(٢) ذنوب: نصيب .

... وَهَكَذَا يَكُونُ الْقَضَاءُ...

في السنة العاشرة للهجرة ، بعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب إلى اليمن ، وبعث خالد بن الوليد في جُنْدٍ آخر ، وقال : «إن التقيتما فالأمير عليّ»^(١) فقال عليّ رضي الله عنه : تبعثني إلى قوم أسنّ مني وأنا حديث السنّ لا أبصر بالقضاء؟!

قال : فوضع يده على صدري وقال : «اللهم ثبت لسانه واهد قلبه ، يا عليّ ، إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول ، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء» .

قال : فما اختلف عليّ قضاءً بعد - أو ما أشكل عليّ قضاءً بعد^(٢) -

وفي رواية ابن عمر رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ أوصى عليّاً بقوله : «يا عليّ ! اجعل حكم الله بين عينيك وحكم الشيطان تحت قدميك»^(٣) .

وعن عليّ رضي الله عنه قال : لما نفذني النبي ﷺ إلى اليمن ، قال : «يا عليّ ! الناس رجالان ، فعاقلٌ يصلح للعفو ، وجاهلٌ يصلح للعقوبة»^(٤) .

ثم يؤكد النبي ﷺ على الهدف من القضاء . . والدعوة بشكل عام ، فيقول في معرض وصاياه لعليّ رضي الله عنه : «يا عليّ ! لأن يهدي الله على يدك

(١) سيرة ابن هشام : ٣١٩/٤ .

(٢) مسند أحمد : ١١١/١ .

(٣) كنز العمال : ٨١٢/٥ .

(٤) كنز العمال : ٧٧٢/٥ .

رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس»^(١).

فماذا كانت نتائج وصايا رسول الله ﷺ لعلّي وأدعيته له؟!

قال عليّ: لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن حفر قوم زُبَيْة^(٢) للأسد ، ووقع فيها الأسد ، فوقع فيها رجل وتعلق برجل وتعلق الآخر بآخر حتى صاروا أربعة ، فجرحهم الأسد فيها فهلكوا ، وحمل القوم السلاح فكاد أن يكون بينهم قتال ، قال : فأتيتهم فقلت : أتقتلون مائتي رجلٍ من أجل أربعة أناسٍ ، تعالوا أقض بينكم بقضاء ، فإن رضيتموه فهو قضاء بينكم ، وإن أبيتم رفعتم إلى رسول الله ﷺ وهو أحقّ بالقضاء ، قال : فجعل للأول ربع الدية ، وجعل للثاني ثلث الدية ، وجعل للثالث نصف الدية وجعل للرابع الدية ، وجعل للديات على من حفر الزُبَيْة على القبائل الأربعة!!

فسخط بعضهم ورضي بعضهم ، ثم قدموا على رسول الله ﷺ فقصّوا عليه القصة ، فقال : «أنا أقضي بينكم» فقال قائل : لكن علينا قد قضى بيننا ، فأخبره بما قضى ، فقال صلوات الله عليه : «القضاء كما يقضي علي»^(٣).

أجل! سلام الله عليك يا رحمة مهداة.. ويا سراجاً منيراً!

أعني الرسول فإن الله فضله على البرية بالتقوى وبالجود مبارك كضيء البدر صورته ما قال كان قضاء غير مردود

* * *

(١) مستدرك الحاكم : ٥٩٨ / ٣ .

(٢) أي : حفرة تُحفر للأسد ، وذلك من أجل صيده .

(٣) مسند أحمد : ٧٧ / ١ .

... مُرُونَةُ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ...

وفي السنة العاشرة من الهجرة، حجَّ الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين حَجَّةَ الوداع - حَجَّةَ الإسلام - ، وكانت بعض اللقطات الرائعة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ مُوافين لَهلال ذي الحجة، فقال رسول الله ﷺ: «من أحبَّ أن يُهَلَّ بعمره فليُهَلَّ، ومن أحبَّ أن يُهَلَّ بحجَّة فليُهَلَّ، ولولا أنني أَهْدَيْتُ لأَهْلَكُ بعمره».

فمنهم من أَهَلَّ بعمره، ومنهم من أَهَلَّ بحجَّة، وكنتُ ممن أَهَلَّ بعمره^(١).

وهذا من يُسر الإسلام وسماحته، وهذا هو المنهج النبوي، وكما روت عائشة رضي الله عنها وذلك عندما سُئِلَتْ عن رسول الله ﷺ ومنهجه، قالت: «ما خَيْرَ رسول الله بين أمرين إِلَّا اختار أيسرهما ، ما لم يكن إثماً».

وَلَيْتَ الْمُتَصَدِّرِينَ لِلدَّعْوَةِ رَفَعُوا لَوَاءَ التَّيْسِيرِ وَالتَّبْشِيرِ ، اقْتَدَاءً بِالرَّسُولِ ﷺ .

وفي الطريق كان النَّبِيُّ ﷺ يُلَبِّي ، وكذلك كان الصحابة يُلَبُّونَ ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن تلبية رسول الله ﷺ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إِنْ الْحَمْدُ وَالنَّعْمَةُ لَكَ ، وَالْمَلِكُ لَا شَرِيكَ لَكَ»^(٢).

وكان بعض الصحابة يزيدون على تلبية الرسول ﷺ ببعض الكلمات، ويسمع رسول الله ﷺ ذلك فلا يُنكر عليهم! ولا يقول لهم: هذه بدعٌ ما أنزل الله بها من سلطان!

(١) صحيح البخاري: ٥/٣.

(٢) صحيح البخاري: ١٧٠/٢.

مثال ذلك زيادة ابن عمر: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ ، وسعديك ، والخير في يديك ،
لبيك والرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ والعمل^(١).

ومنها زيادة جابر بن عبد الله رضي الله عنه: لَبَّيْكَ إِلَهَ الْحَقِّ^(٢).

وأمرهم الرسول ﷺ برفع أصواتهم بالتلبية ، فعن السائب رضي الله عنه عن
رسول الله ﷺ قال: «جاءني جبريل فقال لي: يا محمد ، مُرْ أَصْحَابُكَ أَنْ
يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ»^(٣).

أَجْلُ يَا أَبَا الزَّهْرَاءِ يَا أَحْمَدُ!

وهكذا علّمت كيف تكون مرونة وصلاحيّة الشريعة الإسلامية لكل وقت
وكل مكان، فمن أراد أن يحج . . أو يعتمر . . أو يقرن بينهما، فلا بأس، ومن
أراد أن ينضبط بضوابط الأدب مع رسول الله ﷺ، بحيث يتبعه حرفياً فلا بأس،
ومن أراد الزيادة أو النقصان في التلبية، فلا بأس .

لم أستطع حصراً لما أُعْطِيَته فذكرتُ بعضاً واعتذاري منشئ
ماذا أقول إذا وصفتُ محمداً نَقَدَ الكلام ووصفه لا ينفدُ

* * *

(١) صحيح مسلم: ٨٤٣/٢.

(٢) سنن النسائي: ١٦١/٥.

(٣) سنن النسائي: ١٦٢/٥.

...«ها هُنَا تُسَكَّبُ الْعَبْرَاتُ يَا عُمَرُ»...

ونَبَقِيَ مع الرسول ﷺ وصحبه الأكارم وقد وصلوا إلى البيت الحرام ، من حَجَّة الوداع ، وذلك في السنة العاشرة للهجرة :

حيث دخل الرسول ﷺ البيت الحرام من باب بني شيبه ، وكان الوقت ضُحًى ، وعندما رأى البيت رفع يديه وكَبَّر وقال : «اللهم أنت السلام ومنك السلام فحِثْنَا رَبَّنَا بِالسَّلَام ، اللهم زدْ هذا البيت تشريفاً وتعظيماً ومهابةً ، وزدْ من حَجَّه أو اعتمره تكريماً وتشريفاً وتعظيماً وبراً»^(١).

ثم طاف صلوات الله عليه بالبيت ، فاستلم الحجر الأسود وراح يُقَبِّله ، ذلك لأن للحجر الأسود خصائص ذكرها رسول الله ﷺ ، منها قوله : «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشدَّ بياضاً من اللبن ، فسودَّته خطايا بني آدم»^(٢).

ومنها قوله صلوات الله عليه : «إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة ، طمس الله نورهما ، ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب»^(٣).

ومنها قوله ﷺ : «أشهدوا هذا الحجر خيراً ، فإنه يوم القيامة شافعٌ مشفعٌ له لسانٌ وشفعتان ، يشهد لمن استلمه»^(٤).

لكن الشيء الملفت للنظر تلك العلاقة الحميمة التي كانت بين المصطفى

(١) سنن البيهقي : ٧٣/٥ .

(٢) سنن الترمذي : ٢٢٦/٣ .

(٣) سنن الترمذي : ٢٢٧/٣ .

(٤) سنن ابن ماجه : ٩٨٢/٢ .

ﷺ وبين الجمادات ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : استقبل رسول الله ﷺ الحجر ، ثم وضع شفتيه عليه ييكبي طويلاً ، ثم التفت فإذا هو بعمر بن الخطاب ييكبي ، فقال : «يا عمر! ها هنا تُسكب العبرات»^(١) .

لكن وكي لا يُغالي المغالون ، وينحرف المنحرفون ، فيتصوّر أحدهم أن الحجر الأسود يضّر وينفع ، ها هو عمر رضي الله عنه يأتي الحجر الأسود ، فيسلم ثم يقبله ، ثم يقول : إني أعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنني رأيتُ النبي ﷺ يقبلُك ما قبلُك^(٢) .

صلوات الله وسلامه على ساكن طيبة!

ونسأل الله تعالى أن يكرمنا بزيارته في الدنيا ، وبشفاعته يوم الدين ، آمين :
لو لم تكن أزكى البلاد وأطهرها ما اختارها لرسوله لما سرى
فبطيها أيقن وخل من افتري وإنشُر في الخبر الصحيح مُقرراً
أن الإله بطابة سمّاها

دار الحبيب لنا فلذُ برحيها فالنفس مولعةٌ بدار حبيها
الله شرفها به لنصيها واختصّها بالطيبين لطيبها
واختارها ودعا إلى سكنها

مدّت بها رُحمى الإله ظلالها من أجل من منع النفوس ضلالها
جُلّ في البلاد فلن تُصيبَ مثالها لا كالمدينة منزلٌ وكفى بها
شرفاً حلول محمد بفناها

* * *

(١) مجمع الزوائد : ٢٤٢/٣ .

(٢) صحيح البخاري : ١٨٣/٢ .

...«تَسَمَّتْ مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ إِبْلِيسُ!!»...

ونبقى مع الرسول ﷺ ومن معه في حجة الوداع ، حيث وصل وفد الحجيج إلى عرفات الله ، وهناك جمع رسول الله ﷺ بين صلاتي الظهر والعصر ، وأمرهم أن يقفوا في المكان المحدد على عرفات للوقوف : «كونوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم عليه السلام»^(١).

وكان صلوات الله عليه يوم عرفة مُفطراً ، وأمضى غالبية وقته وهو يدعو الله سبحانه ، من ذلك ما رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أكثر ما دعا به رسول الله ﷺ عشية عرفة في الموقف : «اللهم لك الحمد كالذي نقول وخيراً مما نقول ، اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآبي ، ولك رب تراثي ، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر ، وشتات الأمر ، اللهم إني أعوذ بك من شر ما يجيء به الريح»^(٢).

ومن ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان فيما دعا به رسول الله ﷺ في حجة الوداع : «اللهم إنك تسمع كلامي ، وتعلم مكاني ، وتعلم سرّي وعلايتي ، ولا يخفى عليك شيء من أمري ، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير المشفق المقرّ المعترف بذنبي ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهاًل المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضريب ، مَنْ خضعت لك رقبتك ، وفاضت لك عيناه ، وذللّ جسده ، ورغم لك أنفه ، اللهم

(١) سنن النسائي : ٢٥٥ / ٥ .

(٢) سنن الترمذي : ٥٣٧ / ٥ .

لا تجعلني بدعائك شقياً ، وكن بي رؤوفاً رحيماً ، يا خير المسؤولين ويا خير المعطين»^(١).

أجل يا رسول الرحمة!

لقد علّمت الأجيال كيف يقف الواحد منهم على عرفة ، وكيف ينسى هناك نفسه وماله وأهله والناس أجمعين ، ليعيش تلك الأيام الجميلة مع الله سبحانه ، وأدخلت يا سيدي يا رسول الله الأمل إلى قلوب العصاة والمنحرفين!!

عن عباس بن مرداس أن رسول الله ﷺ دعا عشية عرفة لأُمته بالمغفرة والرحمة ، فأكثر الدعاء ، فأجابه ربه عز وجل أن قد فعلتُ وغفرتُ لأمتك إلا من ظلم بعضهم بعضاً.

فقال: «يا رب ، إنك قادرٌ على أن تغفر للظالم وتُثيب المظلوم خيراً من مظلّمته» فلم يكن في تلك العشية إلاذا ، فلما كان من الغد دعا غداة المزدلفة ، فعاد يدعو لأُمته ، فلم يلبث النبي صلوات الله عليه أن تبسّم ، ثم أخبرهم عن سبب تبسّمه فقال: «تبسّمتُ من عدوّ الله إبليس حين علم أن الله عز وجل قد استجاب لي في أمتي وغفر للظالم ، أهوى يدعو بالثبور والويل ويحشو التراب على رأسه ، فتبسّمت مما يصنع جزعُه»^(٢).

* * *

(١) مجمع الزوائد: ٢٥٢/٣.

(٢) مسند أحمد: ١٤/٤.

... ضَحَى الحبيبُ بقلبي ...

وَنُصِتَ للرسول ﷺ وهو يحدث الناس عن فضل يوم عرفة ، وذلك عندما وقف في حجة الوداع بين المسلمين ، ثم قال : «ما رُؤِيَ الشيطان يوماً هو فيه أصغر ، ولا أدحر ، ولا أحقر ، ولا أغيظ منه في يوم عرفة ، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة ، وتجاوز الله عن الذنوب العظام ، إلا ما أرى يوم بدر» .

قيل : وما رأى يوم بدر يا رسول الله ؟

قال : «إنه قد رأى جبريل يَرْعُ الملائكة^(١)»^(٢) .

وينقل لنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه قول النبي ﷺ يوم عرفة : «أيها الناس ، إن الله عز وجل تطوّل عليكم^(٣) في هذا اليوم فغفر لكم إلا التّبعات فيما بينكم ، ووهب مُسيئكم لمحسنكم وأعطى محسنكم ما سأل ، فادفعوا بسم الله» .

فلما كان بجمع قال : «إن الله قد غفر لصالحيكم ، وشفع صالحكم في طالحيكم تنزل الرحمة فتعمّمهم ، ثم تُفرّق المغفرة في الأرض فتقع على كل تائب ممن حفظ لسانه ويده ، وإبليس وجنوده على جبل عرفات ينظرون ما يصنع الله بهم ، فإذا نزلت المغفرة دعا هو وجنوده بالويل ، يقول : كنتُ

(١) أي: يرتبهم ويصفّهم للحرب .

(٢) موطأ مالك : ٢٩١ .

(٣) من الطّول ، وهو الفضل والعلو .

أستفّرهم حُقباً من الدهر ثم جاءت المغفرة فغشيتهم ، فيتفرّقون وهم يدعون بالويل والثبور»^(١) .

واعتبر يوم عرفة يوم عيد ، وذلك لما روي عن عمر رضي الله عنه : أن رجلاً من اليهود قال له : يا أمير المؤمنين ، آيةٌ في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ، قال : أيّ آية؟ .

قال : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .

[المائدة : ٣] .

قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائمٌ بعرفة يوم الجمعة^(٢) .

أجل يا أبا الزهراء يا أحمد!

فكم حرصت على أمتك أن يتعرّضوا لنفحات الله ، كيوم الجمعة ، وشهر رمضان ، وليلة القدر ، ويوم عرفة ، ونحو ذلك ، حيث غفران الذنوب ، والتقرّب من علام الغيوب سبحانه وتعالى :

ضحّى الحبيب بقلبي يوم عيدهم والناس ضحّوا بمثل الشاء والغنم!

* * *

(١) سنن ابن ماجه : ١٠٠٦/٢ .

(٢) صحيح البخاري : ١٨/١ .

...«افْعَلْ وَلَا حَرَجَ»...

وبينما رسول الله ﷺ واقفاً على عرفات ، وحوله المسلمون ، وذلك في حجة الوداع ، إذ سقط رجلٌ عن راحلته .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينا رجلٌ واقفٌ مع النبي ﷺ إذ وقع عن راحلته فوقصته^(١) ، أو قال : فأقعصته^(٢) .

فقال النبي ﷺ : «اغسلوه بماءٍ وسدرٍ وكفّوه في ثوبين» أو قال : «ثوبيه ، ولا تخمّروا رأسه ، فإن الله يبعثه يوم القيامة يلبّي»^(٣) .

ثم نزل بين عرفة والمزدلفة ، وأمر أصحابه بالسكينة ، ثم تعجلوا إلى منى ، ورموا الجمرات ، ثم خطب ﷺ بمنى يوم النحر .

والشيء اللافت للنظر أنه ﷺ عاد فوقف مرةً أخرى لإفتاء الناس والإجابة عن استفساراتهم وأسألهم :

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ وقف في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه .

فجاء رجلٌ فقال : لم أشعر فحلقتُ قبل أن أذبح ؟ ! .

فقال : «اذبح ولا حرج» .

فجاء آخر ، فقال لم أشعر فنحرتُ قبل أن أرمي ؟ ! .

(١) أي : رمت به فكسرت عنقه .

(٢) أي : قتلته قتلاً سريعاً .

(٣) صحيح البخاري : ٢٢ / ٣ .

فقال النبي ﷺ: «إرم ولا حرج».

فما سُئِلَ النبي صلوات الله عليه عن شيءٍ قُدِّمَ ولا أُخِّرَ إلا قال: «إفعل ولا حرج»^(١).

وفي رواية أسامة بن شريك: خرجتُ مع النبي ﷺ حاجًّا ، فكان الناس يأتونه ، فمن قال: يا رسول الله ، سعيْتُ قبل أن أطوف ، أو قدَّمتُ شيئاً ، أو أخرتُ شيئاً ، فكان يقول: «لا حرج لا حرج ، إلا على رجلٍ اقترض»^(٢) عرض رجلٍ مسلمٍ وهو ظالمٌ ، فذلك الذي حَرَجَ وهلك»^(٣).

أجل يا رسول الله!

ما أروع العودة دائماً إلى سيرتك الطاهرة ، ففيها الرحمة واللين واليسر والتسامح ، فكل أمرٍ يمكن حله «فلا حرج.. لا حرج».

لكن المشكلة يا سيدي يا رسول الله أن بعض من يدعون اتباعك قد عقَّدوا المجتمع ، وذلك بتوزيع تُهم: التكفير.. والتفسيق.. والزندقة!!

ماذا يقول الناس في وصف من أنزل فيه الله طه ونون الأمر فوق الوصف لكنّه يُمدح كي يسمو به المادحون

* * *

(١) صحيح البخاري: ٣١/١.

(٢) أي: نال منه وقطعه بالغيبة.

(٣) سنن أبي داود: ٥١٧/٢.

... التبركُ بشَعَرَاتِ الْمُصْطَفَى ﷺ ...

ونتابع مع المصطفى ﷺ ومعه المسلمون ، وذلك في حجة الوداع ، من السنة العاشرة للهجرة :

وبعدئذ نحر النبي صلوات الله عليه الهَدْيَ والبُدنَ بمنى ، فعن أنس رضي الله عنه قال : ونحر النبي ﷺ بيده سَبْعَ بُدُنٍ قِيَاماً ، وضَحَى بالمدينة كبشين أملحين أقرنين^(١).

ثم حلق النبي ﷺ رأسه ، وحلق المسلمون كذلك ، وكانت هذه اللقطات الرائعة :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما رمى رسول الله ﷺ الجُمرة ، ونحر نُسْكُهُ وَحَلَقَ ، ناول الحائق شَقَّه الأيمن فحلَّقه ، ثم دعا أبا طلحة الأنصاري رضي الله عنه فأعطاه إِيَّاه ، ثم ناوله الشقَّ الأيسر ، فقال : «احْلِقْ» فحلَّقه ، فأعطاه أبا طلحة وقال له : «اقسمه بين الناس»^(٢).

وعنه رضي الله عنه قال : لقد رأيتُ رسول الله ﷺ والحلاق يحلِّقُهُ ، وأطاف به أصحابه ، فما يريدون أن تقع شعرةٌ إلَّا في يد رجلٍ!^(٣)

وفي رواية أخرى لأنس قال : لما حلق رسول الله ﷺ رأسه بمنى أخذ شقَّ رأسه الأيمن بيده ، فلما فرغ ناولني وقال : «يا أنس ، انطلق بهذا إلى

(١) صحيح البخاري : ٢/٢١٠.

(٢) صحيح مسلم : ٢/٩٤٨.

(٣) صحيح مسلم : ٤/١٨١٢.

أم سليم ، فلما رأى الناس ما خصّها به من ذلك تنافسوا في الشق الآخر ، هذا يأخذ الشيء وهذا يأخذ الشيء!

قال محمد: فحدّثته عبيدة السلماني فقال: لأن يكون عندي منه شعرة أحبّ إليّ من كل صفراء وبيضاء أصبحت على وجه الأرض وفي بطنها^(١).

يا ليتنا كنّا معكم - يا أحباب الرسول - فنفوز فوزاً عظيماً!

فما أروع التنافس على التبرك بكلّ ما له علاقة بالحبيب المصطفى ﷺ:

هل كان أحمد يوماً جلس صومعة	أو كان أصحابه في الدّير رهبانا
هل كان غير كتاب الله مرجعهم	أو كان غير رسول الله سلطانا
لا بل مضى الدّين دستوراً لدولتهم	وأصبح الدّين للأشخاص ميزانا
الله يعرفهم أنصار دعوته	والناس تعرفهم للخير أعوانا
والليل يعرفهم ، عبّاد هجعتهم	والحرب تعرفهم في الرّدع فرسانا
زعيمهم خير خلق الله ، لا بشر	إن يُهد حيناً ، يضلّ القصد أحيانا
الله أكبر ما زالت هتافهم	لا يسقطون ولا يحيون إنسانا

* * *

(١) مسند أحمد: ٣/٢٥٦.

...حقوق... و.. واجبات...

ونسير مع المصطفى ﷺ في مسيرة حجة الوداع ، لتتعلم منه الدروس والمواعظ والعبر:

فعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم ، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله ، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب»^(١).

وفي رواية أبي حرة الرقاشي: أن عمه حدثه عن خطبة النبي صلوات الله عليه في أواسط أيام التشريق ، والتي جاء فيها: «ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون ولكنه رضي في التحريش بينكم ، فاتقوا الله عز وجل في النساء فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإن لهن عليكم ولكم عليهن حقاً أن لا يؤطئن فرشكم أحداً غيركم ، ولا يأذنن في بيوتكم لأحدٍ تكرهونه ، فإن خفتن نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ضرباً غير مبرح».

قال حميد: قلتُ للحسن: ما المبرح؟ قال: المؤثر.

«ولهنّ رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف ، وإنما أخذتموهنّ بأمانة الله ، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله عز وجل ، ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها»^(٢).

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم: ١١/١.

(٢) المسند للإمام أحمد بن حنبل: ٧٢/٥.

وفي رواية أخرى: أن النبي ﷺ قال: «يا معشر قريش ، لا تجيئوا بالدنيا
تحملونها على رقابكم ، ويجيئ الناس بالآخرة ، فإنني لا أغني عنكم من الله
شيئاً»^(١).

أجل يا رسول الله يا روح الوجود!

إنها خطبة جامعة مانعة ، فيها تبيان للحقوق والواجبات ، فمن تمسك بها
سعد في الدارين ، ومن أعرض عنها نال الشقاء في الدنيا والآخرة! .

وصنتُ عن الخليفة حُرَّ وجهٍ	بهم ما زال في تعبٍ وعُتبٍ
ليصفوا بامتداح عُلاك عيشي	ومن جدوى يديك يطيبُ كسبي
وأُنقل في الثرى من ضيقٍ لحدٍ	لقصرٍ في ذُرَا الجنّات رَحْبٍ
فنيْتُ فليس فيّ سوى لسانٍ	بذكرك يا جميل الذُكر رَطْبٍ

* * *

(١) مجمع الزوائد للهيتمي: ٢٧١/٢ .

...إِنَّهُ لَعَجَبٌ مَحْضٌ!!...!!

وفي أواخر السنة العاشرة من الهجرة خرج في بني حنيفة شيخ مرتدّ ادّعى أنه نبيّ!! وراح يسجع للناس الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاةً للقرآن ، مثال ذلك قوله : لقد أنعم الله على الحُبلى ، أخرج منها نسمةً تسعى ، من بين صفاقٍ وحشاً ، وأحلّ لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ! .

ومنها قوله : والشّاء وألوانها ، وأعجبُها السّوادُ وألبانها ، والشاة السوداء واللّبن الأبيض ، إنه لعجبٌ محض ، وقد حُرِّمَ المَذْقُ ، فما لكم لا تمجّعون^(١)؟! .

ومنها قول : والمبذّرات زرعاً ، والحاصدات حصداً ، والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحناً ، والخابزات خُبزاً ، والشاردات ثرداً^(٢) ، واللاّقات لقماً ، إهالةً وسمناً ، لقد فضّلتكم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر ، ريفكم فامنعوه ، والمعتّر^(٣) فأووه ، والباغي فناوئوه!!^(٤) .

ومنها قوله : يا ضفدعُ ابنة ضفدع ، نُقِّي ما تُنْقِين ، أعلاك في الماء وأسفلك في الطّين ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدّرين! .

وأرسل رسول الله ﷺ إلى مسيلمة كتاباً يردعه عن ذلك الكذب والدّجل ، وأن يعود إلى خطّ الهداية والرّشد ، فكان جوابه : من مسيلمة رسول الله إلى

(١) أي : ما لكم لا تأكلون التمر باللين؟

(٢) الثرد : الهشم ، وهنا : هشم الخبز وبّله بماء القدر .

(٣) أي : الفقير .

(٤) سيرة ابن هشام : ٢٧٢ / ٤ .

محمد رسول ، سلامٌ عليك ، أما بعد ، فإنني أشركتُ في الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقريشٍ نصف الأرض ، ولكن قریشاً قومٌ يعتدون!! .

فكتب إليه الرسول ﷺ كتاباً يقول فيه : «بلغني كتابك الكذب والافتراء على الله ، وإن الأرض لله يُورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين ، والسلام على من اتبع الهدى»^(١) .

أجل يا رسول الله!

إن الكذاب مسيلمة حاول أن يقلّد القرآن الكريم ، وتقمّص شخصية النبي ﷺ لكنه خاب وخسر ، فالنبوة ليست أمراً كسباً ، إنما هي اصطفاءً من الله سبحانه : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [الحج : ٧٥] .

لكن هل انتهت المسألة عند مسيلمة؟ أبداً فقد قال المعصوم صلوات الله عليه : «لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً كلهم يدّعي النبوة»^(٢) .

فإن أحرم زيارته بجسمي فلم أحرم زيارته بقلبي
فدونك يا رسول الله مني تحية مؤمن وهدي محب

* * *

(١) طبقات ابن سعد : ١/ ٢٧٣ .

(٢) صحيح البخاري : ٤/ ٢٤٣ .

... «اللهم ارحم سعداً وآل سعد»...

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد هياً راحلة لمتاع رسول الله ﷺ في حجة الوداع ، وعند عودتهم بعد الحج ، نزلوا في موضع ليستريحوا ، فأوصى أبو بكر غلاماً له برعي البعير ، فغفل الغلام عن البعير حتى نذ عنهم بعيداً.

ولما أزمعوا على الرحيل ، أخذ أبو بكر يلوم غلامه ويعاتبه ويخاصمه ، على فعله ، وبينما هم يبحثون عن البعير ، جاء سعد بن عبادة رضي الله عنه وولده قيس بزاملة^(١) إلى رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله قد وجد بعيره .

فقال سعد: يا رسول الله ، هذه زاملة مكان زاملتك ، فشكرهما رسول الله ﷺ وقال: «قد جاء الله بزاملتنا، فارجعا بزاملتكما، بارك الله عليكما».

ثم قال: «أما يكفيك يا أبا ثابت - ويقصد سعداً - ما تصنع بنا في ضيافتك منذ نزلنا المدينة؟».

فقال سعد: يا رسول الله ، المنة لله ولرسوله ، والله يا رسول الله للذي تأخذ من أموالنا أحب إلينا من الذي تدع .

فقال الرسول صلوات الله عليه : «صدقتم يا أبا ثابت ، أبشر ، قد أفلحت ، إن الأخلاق بيد الله ، فمن شاء أن يمنحه خلقاً صالحاً منحه ، ولقد منحك الله خلقاً صالحاً».

فقال سعد: الحمد لله هو فعل ذلك .

(١) هي: البعير الذي يُحمل عليه الطعام والمتاع .

وكان سعد بن عبادَةَ يَكرُم رسولَ الله ﷺ منذ نزل المدينة إلى حين وفاته، وكان يبعث بكل يوم عند المساء جفنةً كبيرةً فيها لحم وثريد ، ولم تنقطع يوماً واحداً ، تدور على حجرات رسول الله ﷺ ، كل يوم عشاء رسول الله ﷺ من بيت سعد، يأكله الرسول ﷺ أو يُعطيه أهل الصُّفَّة .

وإذا كان الرسول ﷺ في سفرٍ أو غزوةٍ ، وكان سعد معه فإن عشاءه من سعد ، ولا تنقطع الجفنة عن حجراته ، وكذلك كان سعد يطعم جيش رسول الله ﷺ ، فقد أرسل سعد مع ابنه قيس ثلاثين بغيراً تحمّل تمرّاً إلى المسلمين في غزوة حمراء الأسد ، كما أرسل التمر إلى المقاتلين في غزوة بني قريظة ، وفي غزوة ذي قرد قام سعد مع ثلاث مئة من قومه يحرسون المدينة، وبعث إلى المجاهدين مع رسول الله ﷺ بأحمالٍ من التمر ، وعشرة من الإبل تُذبح للعسكر مع ابنه قيس ، فقال الرسول ﷺ : «يا قيس ، بعثك أبوك فارساً ، وقَرِّئ المجاهدين ، وحرس المدينة من العدو ، اللهم ارحم سعداً وآل سعد»^(١).

أجل يا رسول الله!

إن البريّة يوم مبعث أحمد نظر الإله لها فيدّل حالها
بل كرم الإنسان حين اختار من خير البرية نجمها وهلالها

* * *

(١) طبقات ابن سعد: ١٤٣/٢ ، الإصابة: ٨٠/٣ .

... بِضَرِيحِ أَحْمَدَ فَضَّلَتْ ...

عندما سمع الصحابة الأكارم الآيات القرآنية من رسول الله ﷺ ووقفوا عند الآيات التي تختص بالمدح والثناء على الرسول ﷺ ، عندئذ فهموا ماذا يُمثل الرسول ﷺ من قدر وجهه ، وما هو موقعه بالنسبة لأُمور الشريعة !

ولذلك قدّموا الغالي والنفيس فداء للحبيب صلوات الله عليه :

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] ، قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: أعلم الله تعالى المؤمنين ، أو العرب ، أو أهل مكة ، أو جميع الناس ، على اختلاف المفسرين ، من المواجه بهذا الخطاب أنه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفونه ، ويتحققون مكانه ، ويعلمون صدقه وأمانته ، فلا يتهمونه بالكذب ، وترك النصيحة لهم ، لكونه منهم ، وأنه لم يكن في العرب قبيلة إلا ولها على رسول الله ﷺ ولادة أو قرابة. ^(١)

وقال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ، في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] .

... قالوا: وكونه من أشرفهم ، وأرفعهم ، وأفضلهم على قراءة الفتح ، وهذه نهاية المدح ، ثم وصفه بعد بأوصاف حميدة ، وأثنى عليه بمحامد كثيرة ، من حرصه على هدايتهم ، ورؤسدهم ، وإسلامهم ، وشدة

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض: ٥٦ .

ما يُعْتَنِيهِمْ^(١) ، ويضرّ بهم في دنياهم وأخرائهم ، وعزّته عليه ، ورأفته ورحمته بمؤمنيهم! .

وقال بعضهم : أعطاه اسمين من أسمائه : رؤوفٌ ، رحيمٌ ! .

وفي قول الله تعالى : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

قال السمرقندي رحمه الله : ذكّرهم الله أنّه جعل رسوله ﷺ رحيماً بالمؤمنين ، رؤوفاً لئن الجانب ، ولو كان فظاً خشناً في القول لتفرّقوا من حوله ، ولكن جعله الله سمحاً ، سهلاً طلقاً برّاً لطيفاً .

أجل يا رسول الله!

هذه الأخلاق الحميدة هي الرأسمال الذي ملكت بها قلوب العباد ، وذلك لأن الإنسان عادةً ما يفتح قلبه وعقله لأصحاب الرحمة واللين واليسر والتسامح .

فمن العجائب مُهَجَّتِي عَنْهَا سَلْتُ وهي التي بضريح أحمد فضّلْتُ مثل العقود بقدر جوهرها غلّت ونعم لقد صدقوا بساكنها علّت كالنفس حين زكّت زكاً مأواها

* * *

(١) أي : ما يشقّ عليهم .

... وَحَيَاتِكَ يَا مُحَمَّد...

كذلك فقد فهم الصحابة وهم - غالبيتهم - من العرب الأقحاح أن في كثير من الآيات أقسم الله تعالى بعظيم قدر حبيبه المصطفى ﷺ ، ومعنى ذلك ثناء الله عليه ، وبيان فضله .

وهذا أيضاً جعل الصحابة يتمسكون به صلوات الله عليه وبكل ما له علاقة به ، وقدموا من أجل ذلك كل ما يملكون ، لذلك فازوا في الدارين ، وقد جمع القاضي عياض رحمه الله تعالى بعض ما يتعلق بذلك ، مثلاً قوله :

قال الله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

اتفق أهل التفسير في هذا أنه قَسَمَ من الله جل جلاله بمدة حياة محمد ﷺ من العمر ، ومعناه: وبقائك يا محمد! وقيل: وعيشك! وقيل: وحياتك! وهذه نهاية التعظيم ، وغاية البر والتشريف ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما خَلَقَ الله تعالى ، وما ذَرَأَ ، وما بَرَأَ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ ، وما سمعتُ الله تعالى أقسم بحياة أحدٍ غيره .

علماً أن هذا القسم - بعمر رسول الله ﷺ - جاء في معرض قصة لوط عليه السلام ، حيث قطع البيان الإلهي القصة ، ووضع هذه الجملة الاعتراضية ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ثم عاد إلى القصة نفسها!! .

ومثلها قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١ - ٢] ، ومعناه: أن الله سبحانه أقسم بمكة التي تشرفت بالرسول ﷺ حياً ، وذلك قبل أن ينتقل إلى المدينة المنورة .

ومثلها ما ورد في سورة الضحى ، قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ

فَرَضَى ﴿ [الضحى: ٥] ، وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة ، وأنواع السعادة ،
وشتات الإنعام في الدارين والزيادة .

وروي عن بعض آل النبي ﷺ أنه قال : ليس آية في القرآن أرجى منها ،
ولا يرضى رسول الله ﷺ أن يدخل أحد من أمته النار^(١) .

أجل يا حبيب الله يا أحمد!

لو فهم المسلمون ما ورد في القرآن الكريم من آياتٍ تتحدث عن مقامك
العالى ، لقدّموا الغالى والنفيس فداءً لنصرتك .

لقد قال كعبٌ في النبىِّ قصيدةً وقلنا عسى في مدحه نتشاركُ
فإن شملتنا بالجوائز رحمةً كرحمة كعبٍ فهو كعبٌ مباركُ

فصلوات الله وسلامه على الحبيب محمد

* * *

(١) للتوسع يراجع : الشفاء للقاضي عياض : ٧٤ - ٧٧ .

... فَأَشْرَبَ هَنِيئًا وَعَافِيَةً ...

عندما تفتح المصحف الشريف ، وتقرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۚ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۚ ﴾ [الكوثر: ١-٣] .

تساءل بعدها عن أسباب النزول ، ف تعود إلى كتب أسباب النزول ، ف ترى أمراً عجباً!!

لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، جاء أحد عتاة المشركين وهو العاص بن وائل ، فقال باستهزاء: يا محمد، أنت الأبتَر - أي: مقطوع النسب ، حيث لا ولد ذكر يحمل اسمك - .

فردّ الله عليه بهذه السورة ، حيث بشره بأنه قد أعطاه ﴿ الْكَوْثَرَ ۖ ﴾ : أي: حوضه ، وقيل: نهر في الجنة ، وقيل: الخير الكثير ، وقيل: الشفاعة ، ثم أجاب عدوّه ، وردّ عليه قوله ، فقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۚ ﴾ : أي: إن مبغضك وعدوك هو ﴿ الْأَبْتَرُ ۚ ﴾ : الحقير الذليل ، أو الذي لا خير فيه ، أو المنقطع النسب^(١) .

وكثيرٌ من أمثال هذه الآيات والسور التي تدلّ على ما أظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه ، ومكانته عنده ، مثلاً قول الله تعالى: ﴿ إِلَّا نَصْرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي: ٥٠٣ - ٥٠٤ .

هَكَذَا أَلْفَيْكَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿التوبة: ٤٠﴾ .

وعلق القاضي عياض رحمه الله على هذه الآية بقوله: وما دفع الله به عنه - أي: عن رسول الله ﷺ - في هذه القصة - أي: قصة الهجرة من مكة إلى المدينة - من أذاهم بعد تحزيبهم لهلكه وخلوصهم نجياً في أمره ، والأخذ على أبصارهم عند خروجه عليهم ، وذهولهم عن طلبه في الغار ، وما ظهر في ذلك من الآيات ، ونزول السكينة عليه^(١) .

أجل يا رسول الله!

هكذا يؤكد القرآن الكريم على عظمة مكانتك ، وعلوّ قدرك ، وما أكثر الآيات والسور التي تدلّ بوضوح وجلاء على هذا الأمر ، عرف ذلك من عرف ، وجحد من جحد!! .

ولقد شكوتُ إلى طيبي عِلّتي مما اقترفتُ من الذنوب الجانية
وصفّ الطبيبُ شراب مدح المصطفى فهو الشفا فاشرب هنيئاً عافيه

* * *

(١) الشفا: ٩٣ - ٩٤ .

... هَنِينًا لِمُدَّاحِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ...

وقد يعجب الإنسان وهو يُطالع بعض حكايات الصحابة ، ومقدار الحب الذي أحَبَّوه للمصطفى ﷺ ، لكن كما يقولون: إذا عُرِفَ السَّبَبُ بَطَلَ الْعَجَبُ! .

فالله سبحانه وتعالى قد أكرمه بخصال الكمال ، حيث حوى الحسن والجمال ، مثال ذلك ما ورد في كتب الشرائع والأحاديث والسيرة:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما شمتُ عنبراً قط ، ولا مسكاً ، ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ^(١) .

ونام رسول الله ﷺ في دار أنس على نِطْعٍ - أي ما يُشبه البساط - فغرق ، فجاءت أمه - أي: أم سليم زوجة أبي طلحة - بقارورة تجمع فيها عرقه ، فسألها رسول الله ﷺ عن ذلك؟

فقلت: نجعله في طيننا ، وهو من أطيب الطيب^(٢) .

ومنه: شَرِبُ مالِك بن سنان رضي الله عنه دَمَهُ يوم أحد ، ومَصَّهُ إِيَّاه ، وتسويغهُ ﷺ ذلك له ، وقوله: «لن تُصِيبَهُ النار»^(٣) .

ومثله: شَرِبَ عبد الله بن الزبير دم حجامته ، فقال له النبي ﷺ: «وَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ ، وَوَيْلٌ لَهُمْ مِنْكَ»^(٤) .

(١) صحيح مسلم: (٢٣٣٠) .

(٢) البخاري في التاريخ الكبير: ٤٠٠ / ١ .

(٣) مجمع الزوائد: ٢٧٠ / ٨ .

(٤) المستدرک: ٦٣ / ٤ .

وأما عن وفور عقله صلوات الله عليه ، وذكاء لُبِّه ، وقوّة حواسه ، وفصاحة لسانه ، واعتدال حركاته ، وحُسن شمائله ، فلا مرية ، وينقل القاضي عياض بعضها :

فمثلاً قوله صلوات الله عليه : «المرء مع من أحب»^(١).

وقوله ﷺ : «المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يدٌ على من سواهم»^(٢).

وهذا ما رآه الصحابة رَأَيَ العين ، قالت أمّ معبد رضي الله عنها وهي تصف الرسول ﷺ : حلو المنطق ، فصلٌ ، لا نزرٌ ولا هذرٌ ، كأن منطقه خرزاتٌ نُظْمَنَ^(٣).

أجل يا خير خلق الله يا محمد!

إن الصحابة الكرام كانوا قريبين من المصطفى ﷺ ، فرأوا عن قُرب صفاته الخلقية والخلقية ، فأحبّوه حبّاً لا مثيل له ، وقَدّموا في سبيل إنجاح دعوته الغالي والنفيس ، وصدقوا في ذلك ، فأكرمهم الله تعالى بالخير العميم ، أما نحن ، فماذا نفعل وقد بَعُدنا عن مصدر النور ﷺ ؟!

هنيئاً لمُدّاح النبيّ محمّدٍ وإن قصّروا عن واجب المدح والشكرٍ
لقد سعدوا دُنْياً وأخيراً بمدحه وفازوا وقد حازوا به أعظم الأجرِ

* * *

(١) صحيح البخاري : (٦١٦٨).

(٢) سنن أبي داود : (٤٥٣١).

(٣) شرح السنة للبعوي : (٣٧٠٤).

... كُنْ حَسْبًا عَلَى مَدْحِ الْمُفْدَى...

وأما الحديث عن حُسن خُلُق النبي ﷺ فذاك أمرٌ يطول ، وقد روى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ، وكان يقول : «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً»^(١) .

وروى أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلُقاً ، فأرسلني يوماً لحاجة ، فقلتُ : والله لا أذهب ، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله صلوات الله عليه ، فخرجتُ حتى أمر على صبيانٍ وهم يلعبون في السوق ، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي ، قال : فنظرتُ إليه وهو يضحك ، فقال : «يا أنيس! أذهبتَ حيث أمرتك؟» قال : قلتُ : نعم ، أنا ذاهبٌ يا رسول الله!!^(٢)

وسُئلت عائشة رضي الله عنها : يا أم المؤمنين ، كيف كان خُلُق رسول الله؟ قالت : كان خُلُقه القرآن ، ثم قالت : تقرأ سورة المؤمنين؟ اقرأ : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون : ١] حتى بلغ العشر ، فقالت : هكذا كان خُلُق رسول الله ﷺ^(٣) .

وروى أنس رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزعُ يده من يده حتى يكون الرجل الذي ينزع ، ولا يصرف وجهه حتى يكون

(١) صحيح البخاري : ٢٣٠ / ٤ .

(٢) صحيح مسلم : ١٨٠٥ / ٤ .

(٣) مستدرک الحاكم : ٣٩٢ / ٢ .

الرجل هو الذي يصرفه ، ولم يُرْ مُقَدِّمًا ركبتيه بين يدي جليسه له^(١).

وعن عبد الله بن بسر المازني صاحب رسول الله ﷺ قال : كان الرسول إذا أتى بيت قوم أتاه مما يلي جداره ولا يأتيه مستقبلاً بابه^(٢).

أجل يا صاحب الحق يا أحمد!

كيف لا يُفَتِّن بك الصحابة الأكارم ، ومن بعدهم من طالع سيرتك العطرة؟! وأنت يا سيدي الذي تحمل لواء الأخلاق الحميدة ، وتطبّقها على أرض الواقع ، وصدق الله سبحانه حين وصفك بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : ٤] فصلوات الله عليك في كل وقتٍ وحين :

إذا ما كنت تهوى خفض عيشٍ	وأن ترقى مدارج للكمال
فدع ذكر الحمى والمُحَيّا	وآثار التواضّل والمِطال
وكن حساً على مدح المفدى	رسول الله عين ذوي الكمال
فإن لديه ما يُرجى ويُهوى	جميل الذّكر مع جزل النوال

* * *

(١) سنن الترمذي : ٦٥٤/٤ .

(٢) مسند أحمد : ١٨٩/٤ .

...«وختم بي الرسل»...

اختص الله رسوله محمداً ﷺ من خيرة خلقه ، مصداق ذلك قوله صلوات الله عليه : «إن الله اصطفى كنانة من بني إسماعيل ، واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم»^(١).

وفي رواية أخرى رواها أبو هريرة رضي الله عنه : أن الرسول ﷺ قال : «مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصرٍ أحسن بنيانه ترك منه موضع لبنة ، فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه ، إلا موضع تلك اللبنة لا يعيرون سواها ، فكنْتُ أنا سدَدْتُ موضع تلك اللبنة ، ختم بي البنيان وختم بي الرسل»^(٢).

ثم بعد ذلك خصه الله سبحانه بالآيات - المعجزات والخصوصيات - والكرامات مصداق ذلك قوله صلوات الله عليه : «أعطيت خمساً لم يُعْطَ أَحَدٌ قبلي : نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجلٍ من أمتي أدركته الصلاة فليُصل ، وأُحِلَّت لي الغنائم ولم تُحِلَّ لأحدٍ قبلي ، وأُعْطيت الشفاعة ، وكان النبي يُبعثُ إلى قومه خاصة وُبعثت إلى الناس عامة»^(٣).

ومثله قوله ﷺ : «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها إلى ما زوى لي منها ، وأُعْطيت الكنزين : الأحمر والأبيض ، وإنني سألتُ ربي لأمتي أن لا يُهلكها بسنة عامة»^(٤) وأن لا يُسلط

(١) صحيح مسلم : ٥٨/٧ ، سنن الترمذي (٣٦٠٩).

(٢) مسند أحمد : ٢/٢٤٤.

(٣) سنن ابن ماجه : (٥٦٧).

(٤) أي : الجذب والقحط .

عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم^(١)، وإن ربي قال: يا محمد،
إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يردّ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة
عامّة، وأن لا أسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع
عليهم من أقطارها^(٢) - أو قال: من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك
بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً^(٣).

أجل يا سيدي يا رسول الله!

هذه الخصائص والميزات التي منحك الله إياها، لم يُعطاها أحدٌ من قبلك،
ولن يُعطاها أحدٌ من بعدك، وذلك لأن الله سبحانه اختارك واصطفاك على جميع
خلقه، فصلوات الله عليك في كل وقتٍ وحين:

جميع الوري لم تُحص فضل نبينا ولا جزئه فضلاً عن أحصاء كلّه
فلا البحر يكفي بلّ أصبع قارئ يقبّ بعض الصحف من كُتب فضله
ولا البرّ تتريباً إذا رُشّ ذرة على كل سفرٍ لو هممت بنقله

* * *

(١) أي: حماهم وأوطانهم.

(٢) أي: لو اجتمعت عليهم الأمم من أقطار الأرض فلن يستطيعوا هلاك هذه الأمة.

(٣) سنن أبي داود: (٤٢٥٢)، سنن الترمذي: (٢١٧٧).

... رَأَيْتُهُمْ صَرَخُوا يَوْمَ بَدْرٍ ...

عندما بدأت بدايات الدعوة إلى الله ، وذلك في العهد المكي ، لم يصدق المشركون ما يحدث أمام أعينهم ، وتساءلوا : كيف نترك آلهة آبائنا وأجدادنا ، ونعبد إلهاً واحداً؟! .

فهيّؤوا لصدّ مسيرة الدعوة ، وقدموا كل ما يملكونه في سبيل إفشال الرسول ﷺ وصحبه ، لكن القلّة المؤمنة تحمّلت الشيء الكثير ، وصبروا على الأذى والاضطهاد ، حتى كتب الله النصر لهم :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ قائمٌ يُصلي عند الكعبة وجميع قريش في مجالسهم ، إذ قال قائلٌ منهم : ألا ينظرون إلى هذا المرائي؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ، ثم يُمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟ .

فانبعث أشقاها - وهو عقبة بن أبي معيط - فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه ، وثبت النبي ﷺ ساجداً ، فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك! .

فانطلق منطلق - وهو عبد الله بن مسعود - إلى فاطمة وهي جويرية ، فأقبلت تسعى وثبت النبي ﷺ ساجداً حتى ألقته عنه ، وأقبلت عليهم تسبهم ، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال : «اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش» ثم سَمَى : «اللهم عليك بعمر بن هشام ، وعقبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأمّية بن خلف ، وعقبة بن أبي معيط ، وعمار بن الوليد» .

قال عبد الله: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ، ثم سُحبوا إلى القليب
قليب بدر ، ثم قال رسول الله ﷺ: «وأتبع أصحاب القليب لعنة»^(١).

أجل يا روح الوجود يا رسول الله!

كم آذاك قومك ، وكم صبرت على الأذى ، فكانت النتيجة أن أيدك الله
بنصره ، فما كان منك إلا العفو والرحمة :

من لي بأن ألقى الحبيب وأظفرا وأشم من مثواه مسكاً أذفرا
وأرى التي شغفت بها مُهَج الورى خُصّت بهجرة خير من وطئ الثرى
وأجلهم قدراً فكيف تراها؟

كلفي بها طبعٌ بغير تكلفٍ صفت القلوب لها لأجل من اصطفني
وجلال تلك الأرض ما هو بالخفي كلّ البلاد إذا ذكُرت كأحرفٍ
في اسم المدينة لا خلا معناها

* * *

(١) مسند أحمد: ١/٤١٧.

... آمَنَّا بِهِ وَبِنبُوتِهِ ...

وقد يتساءل الإنسان: ماذا عن الفترة التي سبقت نبوته صلوات الله عليه؟
وفي الجواب يروي العرباض بن سارية رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال:
«إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طيئته»^(١).
ويروي مسيرة الضبي رضي الله عنه، فيقول: قلت: يا رسول الله، متى
كنت نبياً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»^(٢).
ويُفسّر هذا قول الصحابة، منها ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله
عنه أنه قال: لم يبعث الله نبياً من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ
لئن بُعث، وهو حي، ليؤمنن به ولينصرته، ويأخذ العهد بذلك على قومه^(٣).
وقيل: إن الله تعالى لما خلق نور نبينا محمد ﷺ أمره أن ينظر إلى أنوار
الأنبياء عليهم السلام، فغشاهم من نوره ما أنطقهم الله به، فقالوا: يا ربنا،
من غشنا نوره؟ فقال الله تعالى: هذا نور محمد بن عبد الله، إن آمنتُم به
جعلتكم أنبياء، قالوا: آمنا به وبنبوته، فقال الله تعالى: أشهد عليكم؟ قالوا:
نعم. فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُم
عَلَىٰ ذُلِكُم إِصْرِي قَالُوا أَأَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].
ورحم الله الشيخ تقي الدين السبكي عندما قال: في هذه الآية الشريفة من

(١) مسند أحمد: ١٢٧/٤.

(٢) مسند أحمد: ٥٩/٥.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦٤/٢ - ٦٥.

التنويه بالنبي ﷺ وتعظيم قدره العليّ ما لا يخفى ، وفيه مع ذلك : أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلاً إليهم ، فتكون رسالته ونبوته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة ، وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته ، ويكون قوله ﷺ : «وُبعثت إلى الناس كافة» لا يختص به الناس من زمانه إلى يوم القيامة ، بل يتناول من قبلهم أيضاً ، ويتبين بذلك معنى قوله : «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد»^(١) .

أجل يا روح الوجود يا رسول الله!

قبل أن يخلق الله تعالى الأجساد ، جعلك خاتم الأنبياء وأولهم ، وأخذ على الأنبياء العهد أن يتبعوك وينصروك ، فصلوات الله عليك في كل وقت وحين :

كلُّ إليك بكلِّه مشتاق	وعليه من رقبائه أحداقُ
يهواك ما ناح الحمام بأيكه	أو لاح برق في الدجى خفاقُ
شوقٌ إليك لا يزال يديره	فجميعه لجميعه عشاقُ

* * *

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، للعلامة القسطلاني : ٦٢ / ١ - ٦٣ .

...«فَقَدْ اتَّخَذْتُكَ حَبِيبًا»...

وفي مسيرة الوقوف مع المحطات التي تُبين قدر الحبيب المصطفى هذه المحطة الرائعة ، والتي فيها: رُوي أنه لما خرج آدم عليه السلام من الجنة رأى مكتوباً على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة اسم محمد ﷺ مقروناً باسم الله تعالى ، فقال : يا رب ، أسألك بحق محمد لما غفرت لي .

فقال الله : «يا آدم ، وكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه؟» .

قال : لأنك يا رب لما خلقتني بيدك ، ونفخت فيّ من روحك ، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمتُ أنك لم تُضف إلي اسمك إلا أحبّ الخلق إليك .

فقال الله تعالى : «صدقت يا آدم ، إنه لأحبّ الخلق إليّ ، وإذا سألتني بحقه قد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك» .

وفي رواية الطبراني زيادة: «وهو آخر الأنبياء من ذريتك» .

ويؤكد هذا حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه عند المؤرخ ابن عساكر (ت: ٥٧١ هـ) قال : هبط جبريل على النبي ﷺ ، فقال : إن ربك يقول : «إن كنتُ اتخذتُ إبراهيم خليلاً ، فقد اتخذتُ حبيباً ، وما خلقتُ خلقاً أكرم عليّ منك ، ولقد خلقتُ الدنيا وأهلها لأعرّفهم كرامتك ومنزلتك عندي ، ولولاك ما خلقتُ الدنيا» .

ولله درّ العارف الكبير علي وفا (ت: ٨٠٧ هـ) حيث قال في قصيدته التي أولها:

سكن الفؤاد فعش هنيئاً يا جسد هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد

روح الوجود حياة من هو واجد لولاه ما تمّ الوجود لمن وجد
 عيسى وآدم والصدور جميعهم هم أعين هو نورها لما ورد
 لو أبصر الشيطان طلعة نوره في وجه آدم كان أول من سجد
 أو لو رأى النمرود نور جماله عبّد الجليل مع الخليل ولا عند
 لكن جمال الله جلّ فلا يُرى إلا بتخصيصٍ من الله الصّمد^(١)

أجل يا روح الوجود يا أبا القاسم!

كل هذه العظمة ، وكل هذه الرّفعة ، وكل هذا المقام العالي ، كان قبل
 ولادتك وقبل مبعثك ، فكيف أصبح الحال عندما أنزل الله عليك القرآن
 الكريم؟! .

ليست المسألة إلّا كما قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ
 مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ
 السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ
 مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦] .

فصلوات الله عليك يا سيدي يا رسول الله في كل وقتٍ وحين .

* * *

(١) المواهب اللدنية للقسطلاني: ٨٣/١ - ٨٤ .

... مركز النور الإلهي ...

وبعد الولادة الشريفة ، شاء الله تعالى أن تكون مرضعته صلوات الله عليه
حليمة السعدية ، حيث رأت وقومها من بركات الرسول ﷺ الشيء الكثير :
لقد بلغت بالهاشمي حليمة مقاماً علا في ذروة العزّ والمجد
وزادت مواشيها وأخصب ربعتها وقد عمّ هذا السعد كل بني سعد
ثم كانت حادثة شقّ الصدر ، ثم وفاة أمه آمنة وهو في الرابعة من عمره ،
فكفله جده عبد المطلب ، ثم لما مات كفله عمه أبو طالب ، فرأى من الأمور
العجيبة الشيء الكثير ، لذلك قال فيه قصيدة ، جاء فيها :
وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل
ثم سافر مع عمه في تجارة إلى بلاد الشام ، وهناك التقى بالراهب بحيرى .
ولما كُبر صلوات الله عليه تاجر بمال خديجة بنت خويلد ، وكان ذلك سبباً
لزواجه منها رضي الله عنها .

ثم شاء الله تعالى أن يكون بدايات البعثة ، حيث كان الرسول صلوات الله عليه
في الأربعين من عمره ، وكانت بدايات الوحي في غار حراء ، وكانت أول آية نزلت
عليه : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] .

تأمل حراء في جمال محيّا فكم من أناسٍ من حلا حسنه تاهوا
به خلوة الهادي الشفيع محمد وفيه له غارٌ له كان يرقاه
به مركز النور الإلهي مثبتاً فلله ما أحلى مقاماً بأعلاه
وأول ما أسلم به من الرجال : أبو بكر ، ومن النساء خديجة ، ومن الأطفال

علي بن أبي طالب ، ومن الموالي زيد بن حارثة ، ومن العبيد بلال رضي الله عنهم أجمعين .

واستمرت الدعوة السرية قرابة ثلاث سنين ، حتى أنزل الله تعالى قوله : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعِزِّضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [الحجر : ٩٤ - ٩٥] .

أجل يا حبيب الحق يا رسول الله!

لقد وقف غُتاة المشركين ضدك ، أمثال : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والحارث بن قيس ، والأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن عبد المطلب . . .

وأشاعوا الإشاعات الكثيرة ، وحاولوا إسقاط مواقعك ، وإرباك ساحاتك ، وضيقوا الخناق عليك وعلى القلة الضعاف من أصحابك ، لكنك صبرت على ذلك كله ، وتوكلت في كل أمورك على رافع السماء بلا عمد ، فنصرك نصراً مؤزراً ، وأخزاهم الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة .

* * *

... سلامٌ عليك يا خيرَ البرية...

ولما بلغ الرسول ﷺ التاسعة والأربعين من عمره ، مات عمّه أبو طالب ،
والذي كان يدافع عنه وينصره ، على الرغم أنه بقي على دين آبائه وأجداده ! .
و شاء الله تعالى أن تموت السيدة خديجة رضي الله عنها بعد موت أبي طالب
بثلاثة أيام ، وكانت تنصره بمالها وجاهاها .

فتوالى الحزن على رسول الله ﷺ ، حتى سُمّي ذلك العام بعام الحزن ،
وعند ذلك اشتدت الأزمة وزاد تعذيب المشركين وحاولوا قتله صلوات الله
عليه .

فانطلق الرسول ﷺ إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام ، لكن المشكلة أن
أهل الطائف لم يكونوا أحسن حالاً من أهل مكة ، فلم يجيبوه ، بل أغروا به
السفهاء والعبيد والأطفال ، فرجموه بالحجارة والأشواك ، وسبّوه ونادوه
باللقاب سيئة وبذيئة !! .

وقيل : لقد سُجّ رأسه ، وأدميت قدماه ، ثم طُرد من الطائف .

ولما وصل إلى أحد البساتين المحيطة بالطائف ، أسند الظهر الشريف إلى
حائطٍ ليرتاح قليلاً ، فهبط عليه جبريل ومعه ملك الجبال ، وقال له : إن أردتَ
أن أطبق عليهم الأخشيين - أي : الجبلين المحيطين بمكة - لفعلت .

فقال نبي الرحمة صلوات الله عليه : «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلاهم من
يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»^(١) .

(١) صحيح البخاري : (٣٢٣١) ، صحيح مسلم : (١٧٩٥) .

ولما انصرف عن أهل الطائف، مرّ في طريقه بعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما في حائطٍ لهما، فلما رأيا ما لقي تحرّكت له رحمهما، فبعثا له مع عداس النصراني - غلامهما - عنقود عنب، فلما وضعه الغلام بين يديه، قال: «بسم الله» ثم أكل، فقال عدّاس: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة، فقال الرسول ﷺ: «من أيّ البلاد أنت، وما دينك؟» قال: نصراني من مدينة نينوى، فقال: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟» قال: وما يدريك؟ قال: «ذاك أخي، وهو نبيّ مثلي»، فأكبّ عدّاس على يديه ورأسه ورجليه يقبلها، وأسلم^(١).

نعم يا حبيب الله يا أحمد!

لقد صبرت على أذى قومك صبراً لا مثيل له، فكنّت الرحمة المهداة للعالمين:

الحمد لله ممّا باعث الرسل	هدى بأحمد منا أحمد السُّبلِ
خير البرية من بدوٍ ومن حضرٍ	وأكرم الخلق من حافٍ ومُتعلٍ

* * *

(١) سيرة ابن هشام: ٤٢١/١.

... مَا مَنَحْتُ الْمَصْطَفَى مَدْحِي ...

وفي سياق الحديث عن تفضيل الحبيب المصطفى ﷺ يوم القيامة ، ما أورده القاضي عياض وغيره ، مثال ذلك :

ما ورد عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا أول الناس خروجاً إذا بُعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، لواء الحمد بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر» .

وفي رواية أبي هريرة زيادة : «وأكسى حلة من حُلل الجنة ، ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحدٌ من الخلائق يقومُ ذلك المقام غيري»^(١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ قال : «أنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع ، وأول مشفع ، ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلق الجنة ، فيفتح لي فيدخلها معي فقراء المؤمنين ، ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين ، ولا فخر»^(٢) .

ثم يحاور النبي ﷺ ذات مرة بعض الصحابة ، ويبرز بعض الأمور التي تتعلق بما سيكون يوم القيامة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أما ترضون أن يكون إبراهيم وعيسى فيكم يوم القيامة؟» .

ثم قال : «إنهما في أمتي يوم القيامة ، أما إبراهيم فيقول : أنت دعوتي وذريتي ، فاجعلني من أمتك ، وأما عيسى فالأنبياء إخوةٌ بنو علاتٍ^(٣) ،

(١) سنن الترمذي : (٣٦١١) .

(٢) سنن الترمذي : (٣٦١٦) .

(٣) أي : هم الإخوة لأبٍ واحد ، وأمّهات شتى .

أمهاتهم شتّى ، وإن عيسى أخى ليس بيني وبينه نبيّ ، وأنا أولى الناس به»^(١).

أجل يا رسول الله يا أحمد!

هذه بعض الأمور التي فضلك الله بها على الخلق ، وفيهم الأنبياء ، وذلك يوم القيامة ، فإذا كان الخليل إبراهيم ، وكذلك موسى الكليم ، وكذلك عيسى عليهم السلام سيكونون تحت لوائك يا حبيب الله ، فكيف لا تلهج ألسنتنا في كل وقتٍ وحين بالصلاة على روح الوجود محمد صلوات الله عليه؟! .

وكيف لا نقنتفي أثره ليكون لنا أسوة وقدوة؟ .

حسبي إذا ما منحتُ المصطفى مدحي	في الحشر تزكيةً منه وتعديلاً
مدحٌ به ثقلت ميزانُ قائله	وخفّ عنه من الأوزار تثقيلاً
وكيف تأبى جنى أوصافه هممٌ؟	يروقها من قطوف العزّ تذليلُ

* * *

(١) صحيح البخاري: (٣٤٤٣) ، صحيح مسلم: (٢٣٦٥) .

... الخُلة... أو المحبة؟! ...

وفي سياق الحديث عن فضائل المصطفى ﷺ ، عقد بعض العلماء مقارنة بين المحبة والخلة ، وهذا طرفٌ منها :

الخليل يصل بالواسطة ، من قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥] ، والحيب يصل إليه ، من قوله: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم: ٩] .

وقيل : الخليل الذي تكون مغفرته في حدّ الطمع ، من قوله: ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٨٢] ، والحيب الذي مغفرته في حدّ اليقين ، من قوله: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢] .

والخليل قال: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ [الشعراء: ٨٧] ، والحيب قيل له: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ ﴾ [التحریم: ٨] ، فابتدئ بالبشارة قبل السؤال .

والخليل قال في المحنة: ﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ ﴾ ، والحيب قيل له: ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ ﴾ [الأنفال: ٦٤] .

والخليل قال: ﴿ وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٨٤] ، والحيب قيل له: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤] ، أعطي بلا سؤال .

والخليل قال: ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] ، والحيب ﷺ قيل له: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] .

وعلق القاضي عياض رحمه الله على المقارنة التي نقلها أبو بكر ابن فورك عن بعض المتكلمين ، بقوله :

وفيما ذكرناه تنبيهً على مقصد أصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والأحوال ، ﴿كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ [الإسراء : ٨٤] (١) .

أجل يا حبيب الله يا روح الوجود يا أحمد!

لقد خلقتك الله تعالى ، واصطفاك ، وجعلك حبيبه ، وجعل الكل يدور في فلكك ، وأعطاك من الفضائل الدنيوية الكثير ، ووهب لك من الفضائل الأخروية الشيء الكثير ، فهنئاً لمن سار على دربك واقتفى أثرك ، وعاش على محبتك ، ومات على سنتك ، وأكرمه الله بشربة من حوضك :

لنور رسول الله للخلق رحمة	ففي نوره كلٌ يجيء ويذهب
برا مجده الحق للخلق رحمة	فكل الوري في برّه يتقلب
بدا مجده من قبل نشأة آدم	وأسماءه في العرش من قبل تكتب
بمبعثه كل النبيين بشرت	فلا مرسل إلا له كان يخطب

* * *

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى : ٢٦٧ - ٢٦٨ .

... واشفع تُشَفِّعُ ...

وفي سياق الحديث عن المقام العالي للحبيب المصطفى ﷺ ، هذه اللقطات الرائعة عن الشفاعة والمقام المحمود:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل النبي صلوات الله عليه عن معنى قول الله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] فقال: «هي الشفاعة»^(١).

لكن يا ترى هل الشفاعة لأصحاب الكبائر فقط ، أم هي شاملة لجميع العصاة من أمة الحبيب محمد صلوات الله عليه؟ .

والجواب ينقله أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «خُيِّرْتُ بين أن يدخل نصف أمتي الجنة ، وبين الشفاعة ، فاخترتُ الشفاعة ؛ لأنها أعم ، أترونها للمتقين؟ لا ، ولكنها للمذنبين الخطائين»^(٢).

ثم ينقل لنا الرسول ﷺ عن الأحوال التي تُصيب الناس وقتئذٍ ، وكيف يذهبون إلى الأنبياء عليهم السلام ويطلبون منهم الشفاعة عند الله سبحانه فيعتذر كل واحدٍ منهم بسبب ما يرون لأنفسهم منه من ذنوب! .

قال: ثم يأتون خاتم الرسل محمد صلوات الله عليه ، ويطلبون منه الشفاعة ، فينطلق الرسول ﷺ إلى تحت عرش الرحمن ، فيختر ساجداً ، ويحمد الله بالمحامد الكثيرة .

قال: فينادي: يا محمد! ارفع رأسك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فيرفع

(١) سنن الترمذي: (٣١٣٧).

(٢) سنن ابن ماجه: (٤٣١١).

الرسول ﷺ رأسه ويقول: «يا رب! أمتي ، أمتي».

فِينَادِي: يا محمد! أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب^(١).

والبشارة الرائعة هي التي رواها أبو هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لكل نبي دعوة مستجابة دعا بها في أمته ، فاستجيب له ، وأنا أريد أن أُؤخّر دعوتي شفاعاً لأمتي يوم القيامة»^(٢).

أجل يا شفيعنا يا محمد!

جزاك الله عنا كل خير ، فكم كنت حريصاً علينا يا رسول الله . . . :

حسبي إذا ما منحت المصطفى مدحي	في الحشر تزكية منه وتعديل
مدح به ثقلت ميزان قائله	وخف عنه من الأوزار تثقيل
وكيف تأبى جنى أوصافه همم	يروقها من قطوف العزّ تذليل
وليس يدرك أدنى وصفه بشر	أيقطع الأرض ساع وهو مكبول
كل الفصاحة عي في مناقبه	إذا تفكرت والتكثير تقليل

* * *

(١) صحيح البخاري: (٤٧١٢).

(٢) صحيح مسلم: (٣٤٠).

... فضل رسول الله ليس له حد...

وفي سياق الحديث عن تفضيل الرسول ﷺ في الجنة ، بالوسيلة والدرجة الرفيعة ، والكوثر ، وما إلى هنالك ، هذه اللقطات :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أنه سمع النبي ﷺ يقول : «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا عليّ ، فإنه من صلّى عليّ مرة صلّى الله عليه عشراً ، ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة»^(١).

ثم يشرح المصطفى ﷺ الوسيلة ، فيروي أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلوات الله عليه قال : «الوسيلة أعلى درجة في الجنة»^(٢).

كيف لا يا رسول الله ، وأنت خير الخلق على الإطلاق؟

ثم يحدثنا رسول الله ﷺ عن أمر آخر خصّه الله به ، فيقول : «بيننا أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهرٌ حافتاه قباب اللؤلؤ».

فقلتُ لجبريل : «ما هذا؟»

قال : هذا الكوثر الذي أعطاكهُ الله .

قال : ثم ضرب بيده إلى طينه ، فاستخرج مسكاً^(٣).

وفي رواية أخرى لابن عمر وعائشة رضي الله عنهم ، أن النبي ﷺ قال :

(١) سنن أبي داود : (٥٢٣).

(٢) سنن الترمذي : (٣٦١٢).

(٣) صحيح البخاري : (٦٥٨١).

«ومجراه - أي: الكوثر - على الدُرِّ والياقوت ، وماؤه أحلى من العسل ، وأبيض من الثلج»^(١).

أجل يا حبيب الله يا أحمد!

كل هذه الخصائص والميزات التي فضلك الله بها ، لأنه سبحانه قد أكرمك فاجتباك ، وقربك إلى حدٍّ لم يبلغه أحدٌ من العالمين .

بل هناك كرمٌ إلهي مفتوح ، وخصيصةٌ لا حصر لها ، وهي ما قاله الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [الضحى: ٥] .

دع ما ادّعتهُ النصارى في نبيّهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واختكم
فإن فضل رسول الله ليس به حدٌ فيعربُ عنه ناطقٌ بفمٍ
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرفٍ وانسب إلى قدره ما شئت من عظمٍ

* * *

(١) سنن الترمذي: (٣٣٦١).

... تَشْرِقُ الْأَنْوَارُ مِنْ أَنْوَارِهِ ...

وفي سياق الحديث عن تفضيل المصطفى ﷺ ، نجد أن الله سبحانه قد وصفه بصفات عُلْيَا ، وسمّاه بأسماء لم يُطلقها على غيره .

وقد ورد ذلك على ألسنة بعض الأنبياء عليهم السلام ، وورد بعضها في القرآن الكريم ، وقد نقل القاضي عياض بعضاً منها نحو قوله رحمه الله :

وسمّى الله تعالى النبي ﷺ محمداً ، وأحمد ، فمحمّد بمعنى محمود ، وكذا وقع اسمه في زبور داود عليه السلام .

وأحمد بمعنى أكبر مَنْ حَمِدَ ، وأجل من حمد ، وأشار إلى نحو هذا حسان بن ثابت رضي الله عنه بقوله :

وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجْلَهُ فذو العرش محمودٌ وهذا محمدٌ

وقد سمّاه الله تعالى في كتابه بـ(الرؤوف الرحيم) ، وهما من أسماء الله الحسنى ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [١٢٨] فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿

[التوبة : ١٢٨ - ١٢٩] .

ومن أسمائه تعالى : (النور) ومعناه : ذو النور ، أي : خالقه ، أو منور السماوات والأرض بالأنوار ، ومنور قلوب المؤمنين بالهداية .

وسمّاه الله نوراً صلوات الله عليه ، فقال : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [المائدة : ١٥] .

وسمّاه الله (السراج المنير) ، وذلك في قوله سبحانه : ﴿ يَأْتِيهَا النَّوْءُ إِنَّا

أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾

[الأحزاب: ٤٥ - ٤٦].

ومن أسمائه تعالى: العليم ، والعلام ، وعالم الغيب والشهادة ، ووصف
نبيه ﷺ بالعلم ، وخصه بمزية منه ، فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ
وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

هذا ، إضافةً إلى أسماء أخرى: كالفتاح ، والشكور ، وخاتم النبيين ،
وآخر الرسل ، والقوي ، والصادق المصدق ، والولي ، والعفو ، والطاهر ،
والهادي ، ونحو ذلك^(١).

أجل يا حبيب الله يا أحمد!

ما أجملك .. وما أجمل أسماءك وصفاتك ، فصلوات الله عليك دائماً
وأبدًا:

سحبتُ منه الصِّبَا أذْيالها	بمديحي لإمام المرسلينا
أحمد الهادي الذي أمته	رضي الله لها الإسلام ديناً
كان سرّاً في ضمير الغيب من	قبل أن يُخلق كونٌ أو يكونا

* * *

(١) الشفا: ٢٩٨ - ٢٣٢ .

... مُعْجَزَاتُ أَعْجَزَتْ كُلَّ الْوَرَى...

أتقن الله الخالق صنع هذا الكون ، ودبره بحكمة دقيقة ، وليس في هذا الكون أي شيء خُلق عبثاً: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]. وبالتالي فجميع هذا الكون هو ملك لله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢] مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ [الفاتحة: ١ - ٤].

وقد أمر الله مخلوقاته بالعبادة له سبحانه ، فوافق الجميع إلا فسقة الإنس والجن: ﴿وَلِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]. ولذلك من أصول العقيدة أنه لا يتحرك ساكناً ، ولا يُسَكَّن متحركاً إلا بأمر الله سبحانه ، ومن فضله وكرمه أن سخر للإنسان كل ما في هذا الكون ، وجعل سبحانه ما فيه من جمادات ونباتات وحيوانات وجر وإنسٍ تعترف بالحبيب المصطفى صلوات الله عليه .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفر ، حتى إذا دفعنا إلى حائطٍ من حيطان بني النجار ، إذا فيه جملٌ لا يدخل الحائط إلا شدَّ عليه .

قال: فذكروا ذلك للنبي ﷺ ، فجاء ، حتى أتى الحائط ، فدعا البعير ، فجاء واضعاً مشفره إلى الأرض ، حتى برك بين يديه .

قال: فقال النبي ﷺ: «هاتوا خطاماً» ، فخطمه ، فدفعه إلى صاحبه ، قال: ثم التفت إلى الناس ، فقال: «إنه ليس شيءٌ بين السماء والأرض إلا يعلم

أني رسول الله إلا عاصي الجنّ والإنس»^(١).

أجل يا رسول الله يا أحمد!

لقد كَرَّمَ ربنا الإنسان - مهما كان - فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَلَدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

فكيف كان تكريم الرسل والأنبياء ، وكيف كان تكريم صفوة خلق الله محمد ﷺ!؟

لَكَ معجزاتٌ أعجزت كل الوري	وفضائلٌ جلّت فليس تُحاكا
نطق الذراع بِسْمِهِ لَكَ مُعلنًا	والضَبُّ قَدْ لَبَّأكَ حِينَ أَتَاكَ
وكذا الوحوش أَتَتْ إِلَيْكَ وَسَلَّمَتْ	وشكا البعير إِلَيْكَ حِينَ رَأَاكَ
ودعوت أشجاراً إِلَيْكَ مطيعةً	وسعت إِلَيْكَ مُجِيبَةً لِنَدَاكَ
والماء فاض بِراحَتِكَ وَسَبَّحَتْ	صُمّ الحصى بِالْفَضْلِ فِي يَمَانَا

* * *

(١) مسند أحمد: ٣/٣١٠.

... لَمَّا جِئْتَهَا سَجَدَتْ ...

من أكرمه الله تعالى فزار المدينة المنورة ، وزار فيها جبل أحد ، رأى أمراً عجباً!

إنه جبلٌ عاديٌّ ، مكوّن من حجارة وصخور وأتربة ، لا شجر حوله ولا مناظر جميلة ولا وروداً ولا أزهاراً.

لكن ومع ذلك يُقل إلينا أن الرسول ﷺ كان بينه وبين جبل أحدٍ غزلٌ . . ومحبةٌ . . وتبادل شعور رائع!! .

عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك - إلى أن قال -: فقال رسول الله: «إني مُسرّعُ فمن شاء منكم فليُسرع معي ، ومن شاء فليمكث» .

قال: فخرجنا حتى أشرفنا على المدينة ، فأشار الرسول صلوات الله عليه إلى الجيش أن قفوا ، ثم قال: «هذه طابة - وفي رواية: هذه طيبة - ، وهذا أحد ، وهو جبلٌ يحبُّنا ونحبه»^(١).

ومثله مسألة سلام الحجر على النبي ﷺ: وقد حدث ذلك قبل البعثة ، وكذلك بعدها ، فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرفُ حجراً بمكة كان يُسَلِّم عليّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن»^(٢).

ومثله رواية عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال: كنّا مع النبي ﷺ

(١) صحيح مسلم: (١١).

(٢) صحيح مسلم: (٢).

بمكة ، فخرجنا معه في بعض نواحيها ، فمررنا بين الجبال والشجر ، فلم نمرّ بشجرة ولا جبل ، إلّا قال : السلام عليك يا رسول الله ، وأنا أسمع^(١) .

أجل يا رسول الله!

لقد أحبك حتى الجمادات : جبل أحد سلّم عليك ، والجذع حنّ إليك ، والشجر جاء يسعى إليك ، والمدينة كلها أضاءت يوم دخولك ، والشاة انمست به كالمات بين يديك ، والحصى والطعام سّحب بين يديك ، فصلوات الله عليك ، والعجيب أن بعض البشر لم يقفوا ولو مرة مع دعوتك ولم يستجيبوا لك !! .

ومنطق الذئب بالتصديق معجزة	مع الذّراع ونطق العير والجمال
وفي دعائك بالأشجار حين أتت	تمشي بأمرك في أغصانها الدّلل
وقلت عودي فعادت في منابتها	تلك العروق بإذن الله لم تمل
والسّرخ بالشام لما جئتها سجدت	شُمّ الذّوائب من أفنانها الخُضُل
والجذع حنّ لأنّ فارقتَه أسفاً	حين ثكلى شجّتها لوعة الثكل

* * *

(١) سنن الترمذي : (٣٦٢٦) ، المستدرک : ٢ / ٦٢٠ .

... خَيْرُ مَنْ يَغْطَاهَا...

أيد الله سبحانه الأنبياء بالمعجزات ، لكن كل معجزة ذهبت مع ذهاب النبي ، وإلا أين عصا موسى عليه السلام اليوم؟ وأين النار التي دخل فيها إبراهيم عليه السلام؟ وأين بساط سليمان عليه السلام؟ وهكذا .

أما خاتم الأنبياء محمد ﷺ ، فالمعجزة التي أيده الله بها خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ألا وهي القرآن الكريم .

ولذلك جاء التحدي للمشركين العرب - وهم أهل البلاغة والشعر والخطابة - في أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، فعجزوا ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

ثم تحداهم الله تعالى بأن يأتوا ولو بسورة تشبه سورة من سور القرآن ، حتى لو دَعَوْا أنصارهم وشهداءهم ، وحتى لو تعاونوا مع الآخرين ، فإنهم لن يستطيعوا أبداً ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [١٣] فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا... ﴾ [البقرة : ٢٣ - ٢٤] .

ثم تحداهم بأن يأتوا بسورة مفتراة - كما يزعمون - فعجزوا : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴾ [هود : ١٣] .

لكن المنصفين منهم اعترفوا بذلكم الإعجاز القرآني ، مثال ذلك ما حكاه

الأصمعي (ت: ٢١٦ هـ) أنه سمع كلام جارية فقال لها: قاتلك الله ،
 ما أفصحك! فقالت: أو يُعَدُّ هذا فصاحةً بعد قول الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ
 مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَكَلَّمْنَاهُ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ
 وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧] ، فجمع في آية واحدة بين أمرين ،
 ونهيين ، وخبرين ، وبشارتين!! .

أجل يا رسول الله يا أحمد!

لأجلك أنزلت معجزة القرآن الكريم ، فهنيئاً لمن تمسك بالكتاب والسنة :
 يا رب أسأل منك فضل قناعة يسيرها وتحبباً لحماها
 ورضاكَ عني دائماً ولزومها حتى تُوافي مُهجتي أخراها
 فإن الذي أعطيت نفسي سُؤلها وقبلت دعوتها فيا بشراها
 بجوار أوفى العالمين بدمّة وأعزّ من بالقرب منه يُباهي
 من جاء بالآيات والنور الذي داوى القلوب من العمى فشفاهها
 أولى الأنام بخُطة الشرف التي تُدعى الوسيلة خيرٌ من يعطاها

* * *

... محمد ﷺ صَفْوَةُ الرَّحْمَنِ ...

ذكر الحافظ أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤ هـ) أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]. فسجد ، فلما سئل عن ذلك قال : سجدتُ لفصاحته !

وأما الوليد بن المغيرة فكان من بلغاء العرب ، وذات يوم سمع النبي ﷺ يقرأ آياتٍ من إحدى السُّور ، فرقَّ بقلبه وكاد يُعلن إسلامه .

فجاء أبو جهل منكراً عليه ، فقال الوليد : والله ما منكم أحدٌ أعلم بالأشعار مني ، والله ما يُشبهه الذي يقول شيئاً من هذا .

ثم جمع قريشاً في موسم الحج وقال لهم : إن وفود العرب تردُّ فأجمعوا فيه رأياً ، لا يكذب بعضكم بعضاً ، فقالوا : نقول : كاهن ، قال : والله ما هو بكاهن .

قالوا : مجنون ، قال : ما هو بمجنون ، ولا بخنقه ، ولا وسوسته .

قالوا : شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، قد عرفنا الشعر كله ، رجزه وهزجه ، وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ، ما هو بشاعر .

قالوا : ساحر ، قال : ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده .

قالوا : فما نقول ؟ قال : ما أتم بقائلين من هذا شيئاً ، إلّا وأنا أعرفُ أنه باطل ، وإن أقرب القول أنه ساحر ، فإنه سحرٌ يفرِّقُ بين المرء وأبيه ، والمرء وأخيه ، والمرء وزوجه ، والمرء وعشيرته .

فتفرَّقوا وجلسوا على السَّيل ، يحذِّرون الناس ، فأنزل الله تعالى في الوليد : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَمْ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَيْنَ شُهُودًا ۖ وَمَهَّدْتُ ۖ

لَمْ تَهَيِّدْ ۞ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۞ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَا عِنْدَ ۞ سَأَرْهُمُ صَعُودًا ۞ إِنَّهُ فَكَّرَ
وَقَدَّرَ ۞ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ ثُمَّ نَظَرَ ۞ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ
وَأَسْتَكْبَرَ ۞ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَىٰ ۞ [المدثر: ١١ - ٢٤].

أجل يا أكرم الرسل يا محمد!

يا شهر مولد خير العرب والعجم
بشـرـتـنا بنـبي نور طلعتـه
محمد صفوة الرحمن في غرر الأعـ
خط اسمـه فوق ساق العرش منقبة
ولاح فوق نحور الحور أحسن من
وزان أيضاً مصارع القصور وأشد
لأنت حقاً ربيع الفضل والنعم
عن البسيطة جلاً حندس الظلم
بيان عبد عظيم الشأن في القدم
لم تجر في فهم أهل العز والهمم
عقد من الدر والياقوت منتظم
جـار الجنان كشوب زين بالقلم

* * *

... مَا عَلَى مَنْ يَشْتَاقُكُمْ مِنْ مَلَامٍ ...

وفي سياق الحديث عن المقام العالي للحبيب المصطفى ﷺ ، نتوقف عند بعض ما آتاه الله من انقلاب الأعيان حين لمسه إياها ، مثال ذلك ما أورده القاضي عياض رحمه الله تعالى :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن أهل المدينة فزعوا مرة ، فركب رسول الله ﷺ فرساً لأبي طلحة كان يقطف - أي : يُبْطِئُ - فلما رجع قال : «وجدنا فرسك بَحْرًا» فكان بعدُ لا يُجَارَى^(١) .

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما : أنها أخرجت حُجَّة طيالة^(٢) ، وقالت : كان رسول الله ﷺ يلبسها ، فنحن نغسلها للمرضى نسسمي بها^(٣) .

وكان خالد بن الوليد رضي الله عنه يحفظ ببعده شعبة المصائمي صناد الله عليه في قلنسوته ، ولم يشهد بها قتالاً إلا رُزِق النصر^(٤) .

وكان لأم مالك عَكَّة^(٥) تُهدي فيها للنبي ﷺ سمناً ، فأمرها النبي ألا تعصرها ، ثم دفعها إليها ، فإذا هي مملوءة سمناً ، فيأتيها بنوها يسألونها

(١) صحيح البخاري : (٢٨٦٧) .

(٢) هي نوع من الأوشحة يلبس على الكتف ، خالٍ من الخاططة

(٣) صحيح مسلم : (٢٠٦٩) .

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٣٨٠٤) ، المستدرک : ٢٩٩/٣ .

(٥) هي : وعاء صغير من جلد يوضع فيه السمن .

الأدم ، وليس عندهم شيء فتعتمد إليها ، فتجد فيها سمناً ، فكانت تُقيم أدمها حتى عصرتها^(١).

وكان قتادة بن النعمان رضي الله عنه يُصلي مع المصطفى ﷺ العشاء في ليلة مظلمة مطيرة ، فلما أراد قتادة الخروج أعطاه عرجونا^(٢) ، وقال له : «انطلق به ، فإنه سيُضيء لك من بين يديك عشراً ومن خلفك عشراً ، فإذا دخلت بيتك فستري سواداً فاضربه حتى يخرج ، فإنه الشيطان» فانطلق قتادة ، فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ، ووجد السواد فضربه حتى خرج^(٣).

أجل يا أبا الزهراء يا رسول الله!

لقد أكرمك الله بهذه المعجزات الباهرات ، لتزيد من الأدلة على صدق رسالتك :

وسقى الجيش من أصابعه الما	ء فروى غليل جيش لهام
ودعا أربعين أنهم خلف	فنفى جوعهم بمد طعام
يا من الجذع حن شوقاً إليه	ما على من يشاقتكم من ملام
يا من انقاد شارد الإبل الشاني	له ساجداً بدمع هامى
يا من ارتج هيبة لعلاه	إذ علاه الطود المنيف السامي
ورمى فضله في ركي	فاستحالت سيحاً بماء طامي
وبه الملح صار عذبا فراتاً	سائغاً شافياً صدئ كل ظامي

* * *

(١) صحيح مسلم: (٢٢٨٠).

(٢) هو الغصن الذي يحمل التمر.

(٣) مستند أحمد: ٦٥/٣.

... وَإِنْ حُبَّكَ فِي إِيْمَانِنَا نَسَبُ ...

وفي سياق الحديث عن عصمة الله لروح الوجود محمد ﷺ من أذى الناس نتوقف عند بعض الآيات القرآنية والتي تدور في هذا الفلك، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وقوله سبحانه: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ورحم الله القاضي عياض ، فقد نقل لنا كثيراً من الحكايات في هذا المضمار ، منها :

أن رجلاً اسمه دُعْثُور بن الحارث صمم على اغتيال النبي ﷺ ، لكن قومه فوجئوا بأن عاد إليهم وقد أعلن إسلامه ! .

فسألوه عن ذلك وقالوا له : أين ما كنت تقول ، وقد أمكنك ؟ .

فقال : إني نظرت إلى رجلٍ أبيضٍ طويلٍ دفع صدري ، فوقعت لظهري ، وسقط السيف من يدي ، فعرفت أنه ملك ، وأسلمتُ ! .

وفيه نزلت هذه الآية : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ اَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١] .

ومثلها ما ذكره ابن إسحاق : أن زوجة أبي لهب - وهي التي أطلق عليها

القرآن لقب حمالة الحطب - لما بلغها نزول سورة المسد: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۚ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۚ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۚ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ١ - ٥]. وذم زوجها . .
وذمها أيضاً ، أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد ومعه أبو بكر رضي الله عنه ، وفي يدها فهر^(١) من حجارة .

فلما وقفت عليهما لم تر إلا أبا بكر ، وأخذ الله تعالى يبصرها عن نبيه ﷺ ، فقالت : يا أبا بكر! أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجوني ، والله! لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه!!^(٢)

أجل يا روح الوجود يا رسول الله!

لقد خلقك الله واصطفاك وعصمك من الأذى ، لتكون الرحمة المهداة صلوات الله عليك :

وإن حبك في إيماننا نسب	من دونه النفس والأموال والولد
فبالذي أجزل التعمى عليك إلى	يوم المعاد فلا نقص ولا بدد
أجزل عليّ برؤيا منك تُنعشني	وتنقذ القلب مني فهو مضطهد
واشفع إلى الله في إحسان خاتمتي	فإنني بك بعد الله أعتضد

* * *

(١) هو : الحجر ملء الكف .

(٢) مستدرک الحاكم : ٣٦١ / ٢ .

... قَلْبِي يُحِبُّ مُحَمَّدًا...

وفي سياق الحديث عن فضائل المصطفى ﷺ ومقامه العالي ، نتوقف هنا عند طاعة الجمادات له صلوات الله عليه ، مثال ذلك :

استجابة جبل أحد: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، فرجف بهم ، فضربه برجله ، وقال : «اثبت أحد ، فما عليك إلا نبيٌّ أو صديق أو شهيدان»^(١).

ومثله : استجابة جبل حراء ، وكذلك جبل ثبير في مكة .

ورحم الله القاضي أبا بكر ابن العربي عندما قال : إنما اضطربت الصخرة ورجف الجبل استعظاماً لما كان عليه من الشرف ، وبمن كان عليه من الأشراف^(٢).

ورحم الله ابن المنير عندما قال : الحكمة في ذلك أنه لما ارتجف الجبل ، أراد النبي ﷺ أن يُبين أن هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى عليه السلام لما حرّفوا الكلم ، فتلك رجفة الغضب ، وهذه هزة الطرب ، ولهذا نصّ على مقام النبوة والصديقية والشهادة ، التي توجب سرور ما اتصلت به ، فأقرّ الجبل بذلك ، فاستقر^(٣).

مصدق ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَلَّتْ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي أَتْلُو أَسْمَاءَهُمْ إِنِّي لَإِن هِيَ إِلَّا

(١) مسند أحمد : ٣٣١/٥ .

(٢) عارضة الأحوذى : ١٥٤/١٣ .

(٣) إرشاد الساري : ٩٧/٦ .

فَتَنَّاكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾

[الأعراف: ١٥٥].

ومثلها انشقاق القمر^(١) ، وذلك عندما طلب كفار قريش من رسول الله ﷺ - وهم متعتون - أن يريهم آية ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأشار إلى القمر فانشق إلى فلقتين ، فقال لهم : «اشهدوا» ، فأنزل الله تعالى : ﴿ أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ التَّذْذِرُ ﴿٥﴾ [القمر: ١ - ٥].

أجل يا أبا القاسم يا رسول الله!

لقد أطاعتك الجمادات والنباتات والحيوانات العجماوات ، فكيف لا يطيعك الإنسان الذي وهبه الله العقل والإدراك؟ .

إني امرؤ قلبي يحب محمداً ويلوم فيه لائماً وعذولاً
أحبه وأمل من ذكرى له ليس المحب لمن يحب ملولاً

* * *

(١) صحيح مسلم: (٤٦).

... شمس فضل هم كواكبها...

من روايات الطبراني وأبي نعيم وغيرهما أن قتادة بن النعمان رضي الله عنه كان يدافع عن رسول الله ﷺ ، فأصيب عينه يوم أحد ، حتى وقعت على وجنته ، فأتى بها إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! إن لي امرأة أحبها أخشى إن رأيتني تقدرني^(١) .

فأخذها رسول الله ﷺ بيده وردّها إلى موضعها ، وقال : «بسم الله ، اللهم اكسه جمالاً» فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظراً ، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى .

وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رحمه الله رجلٌ من ذرية قتادة ، فسأله عمر : من أنت؟ فقال :

أبونا الذي سألت على الخدّ عينه فرُدّت بكفّ المصطفى أيّما ردّ فعاتت كما كانت لأول أمرها فيا حسن ما عين ويا حسن ما خدّ فوصله عمر وأحسن جائزته .

وكيف لا ، والله سبحانه قد خصّ خاتم الأنبياء بخصوصيات لم يُعطها أحدٌ من قبله ، بل وما أُعطي نبيّ من الأنبياء شيءٌ إلاّ وكان للمصطفى صلوات الله عليه مثله ، وصدق البوصيري عندما قال :

وكلّ آي أتى الرسل الكرام بها فإنما اتّصلت من نوره بهم فإنه شمس فضلهم كواكبها يظهرن أنوارها للناس في الظلم

(١) أي : تكرهني .

مثال ذلك ما قاله العارفون بالله : إن مما أعطيه موسى عليه السلام تفجير الماء له من الحجارة ، أُعطي رسول الله ﷺ أن الماء تفجر من بين أصابعه ، وهذا أبلغ ، لأن الحجر من جنس الأرض التي ينبع منها الماء ، ولم تجر العادة ينبع الماء من اللحم ، ويرحم الله القائل :

وكل معجزة للرسول قد سَلَفَتْ وافى بأعجب منها عند إظهار
فما العصا حيّة تسعى بأعجب من شكوى البعير ولا من مشي أشجار
ولا انفجار معين الماء من حجرٍ أشد من سلسل من كفه جارٍ

أجل يا خاتم الأنبياء يا محمد!

لقد أرسل الله الأنبياء إلى أقوامهم ، فكذب الأقوام الرسل ، فأنزل الله العقاب بهم ، إلا أن الرسول الخاتم ﷺ لم يدع على قومه الذين وقفوا ضده إلا بالهداية ، فكان كما أخبر عنه الله سبحانه : ﴿ وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال: ٣٣] . فصلوات الله على جميع الأنبياء والمرسلين ، ونخص بالذكر خاتمهم محمداً ﷺ .

* * *

... لَوْمُ الْمُحِبِّ ...

وفي سياق الحديث عن فضائل الحبيب ﷺ وعن مقامه العالي ، نتوقف عند ذكر القرآن لأعضائه ، عضواً عضواً:

ففي الحديث عن قلبه صلوات الله عليه ، يقول الله تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [النجم: ١١] ، ومثلها قوله سبحانه: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٦٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤] .

وفي الحديث عن لسانه صلوات الله عليه ، يقول سبحانه: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٢﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤] ، ومثلها قوله عز وجل: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾ [مريم: ٩٧] .

وفي الحديث عن بصره ﷺ: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [النجم: ١٧] .

وفي الحديث عن وجهه صلوات الله عليه ، يقول سبحانه: ﴿ قَدْ زُرَى ثَقَلُبٌ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ [البقرة: ١٤٤] .

وفي الحديث عن يده وعنقه صلوات الله عليه ، يقول عز وجل: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ [الإسراء: ٢٩] .

وفي الحديث عن ظهره وصدره صلوات الله عليه يقول ربنا سبحانه: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ [الشرح: ١-٣] .

واشتق اسمه من اسم الله (المحمود) ويشهد له ما أخرجه البخاري في «تاريخه الصغير» من طريق علي بن زيد ، قال: كان أبو طالب يقول:

وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيَجْلَّهٗ فذو العرش محمود وهذا محمدٌ
وهو مشهور لحسان بن ثابت رضي الله عنه ، وسُمِّيَ أحمد ، ولم يُسمَّ به
أحد قبله ، رواه مسلم ، ولأحمد من حديث علي رضي الله عنه : «أُعْطِيَتْ أَرْبَعاً
لم يُعْطِهِنَّ أَحَدٌ قَبْلِي - فذكر منها - : وسُمِّيَتْ أحمد»^(١) .

أجل يا رسول الله يا أحمد!

ما أكثر الآيات القرآنية التي تحدّثت عن أخلاقك . . أو صفاتك . . أو آدابك
وما إلى هنالك ، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على وجوب محبتك
يا رسول الله :

لَوْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تُدْعَوْنَ بِأَسْمَائِهِمْ لَكَانَتْ أَعْيُنُهُمْ كَالْأَنْجَارِ يُسْقَوْنَ مِنْهَا حَمِيمٌ وَإِنِ اسْقَوْا لَمْ يَنْفَسُوا مِنْهَا شَيْئاً وَكَانَتْ كَالْأَنْجَارِ الْمُرْسَلِينَ	لَوْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تُدْعَوْنَ بِأَسْمَائِهِمْ لَكَانَتْ أَعْيُنُهُمْ كَالْأَنْجَارِ يُسْقَوْنَ مِنْهَا حَمِيمٌ وَإِنِ اسْقَوْا لَمْ يَنْفَسُوا مِنْهَا شَيْئاً وَكَانَتْ كَالْأَنْجَارِ الْمُرْسَلِينَ
فَلَمَّ الْعَذُولُ عَنِ الصَّوَابِ يَزْوَعُ	فَلَمَّ الْعَذُولُ عَنِ الصَّوَابِ يَزْوَعُ
غُصَصَ الْمَلَامُ وَلَا يَكَادُ يَسِيغُ	غُصَصَ الْمَلَامُ وَلَا يَكَادُ يَسِيغُ
إِلَّا غَبِيٌّ فِي الرِّجَالِ رَدِيغُ	إِلَّا غَبِيٌّ فِي الرِّجَالِ رَدِيغُ
يَبْلُغُ بِمَدْحٍ وَصْفَهْنَ بَلِيغُ	يَبْلُغُ بِمَدْحٍ وَصْفَهْنَ بَلِيغُ
فِيهِ لَأَقْمَارُ الْجَمَالِ بُزُوعُ	فِيهِ لَأَقْمَارُ الْجَمَالِ بُزُوعُ

* * *

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني : ٦٢٩ / ٢ .

...مَا أَرْوَعَ الْعَوْدَةَ إِلَى السَّيِّرة...

عندما يقرأ أحدنا السيرة النبوية الطاهرة يرى أمراً عجباً!
فمثلاً عبادة رسول الله ﷺ لا يستطيع القيام بها شابٌ جلد ، على الرغم من
أن الله قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر .

مثال ذلك ما رواه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، قال : صليتُ مع النبيّ
ﷺ ذات ليلة ، فافتتح البقرة ، فقلتُ يركع عند المائة ، ثم مضى ، فقلت :
يُصلي بها في ركعة ، فمضى ، فقلتُ : يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم
افتتح آل عمران فقرأها ، يقرأ مترسلاً ، إذا مرّ بآية فيها تسبيحٌ سبح ، وإذا مرّ
بسؤالٍ سأل ، وإذا مرّ بتعوذٍ تعوَّذ ، ثم ركع ، فجعل يقول : «سبحان ربي
العظيم» ، فكان ركوعه نحواً من قيامه ، ثم قال : «سمع الله لمن حمده» ، ثم
قام طويلاً ، قريباً ممّا ركع ، ثم سجد فقال : «سبحان ربي الأعلى» فكان
سجوده قريباً من قيامه^(١) .

وفي رواية الإمام أحمد - وزاد فيها - : حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء
والمائدة والأنعام^(٢) .

وهكذا ، كان صلوات الله عليه كما ذكرت عائشة رضي الله عنها : كان النبي
ﷺ يذكر الله على كل أحيانه^(٣) ، مصداق ذلك ما رواه الأعرّ المزني رضي الله

(١) صحيح مسلم : ٥٣٦/١ .

(٢) مسند أحمد : ٣٩٨/٥ .

(٣) صحيح مسلم : ٢٨٢/١ .

عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليغان على قلبي»^(١) ، وإنني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»^(٢) .

وكان صلوات الله عليه يكثر من الدعاء ، ويُلحّ به ، وكان يُحبّ الجوامع من الدعاء ، مثال ذلك قوله ﷺ: «اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحبّ المساكين ، وإذا أردت في الناس فتنة فاقبضني إليك غير مفتون»^(٣) ، وقوله صلوات الله عليه: «اللهم ارزقني حبّك وحبّ من ينفعني حبّه عندك ، اللهم ما رزقتني مما أحبّ فاجعله لي قوة لي فيما تحبّ ، اللهم وما زويت عني مما أحبّ ، فاجعله لي قوة مما تحبّ»^(٤) .

أجل يا رسول الله!

ما أروع أن يعود المسلمون إلى القرآن والسنة ، ليمسكوا بهما ، فهما الثقلان ، وفيهما حلّ المشاكل كلها:
إن عايَنتُ عيناَيَ طينةَ طيبةٍ وبلغتُها من بعد طول فراقٍ
لأعفّرَنّ الخدَّ شكراً في الثرى ولأكحلنّ بئرَها آماقي

* * *

(١) أي: يسهو أحياناً ، وقد يعرض له عارض بشري .

(٢) صحيح مسلم: ٢٠٧٥/٤ .

(٣) الموطأ: ١٤٥ .

(٤) سنن الترمذي: ٥٢٣/٥ .

... خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ...

عادة عند كتابة سيرة العظماء والقادة تكون هناك خطوط حمراء لا يمكن تجاوزها وهي التي تختص بالبيت ، أي علاقته مع أهله وأولاده ونحو ذلك .

أما سيرة سيّد الأنام عليه الصلاة والسلام فهي كتاب مفتوح للجميع ، حيث نقلت أمهات المؤمنين كل ما يتعلق برسول الله ﷺ ، فكانت سيرة تعبق بالمسك ، كيف لا ، وهو الذي يقول : «خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي»^(١) .

وما أروع قول عائشة رضي الله عنها عندما سُئِلت : ما كان النبي ﷺ يصنع في أهله؟ .

قالت : كان في مهنة أهله ، وكان ألين الناس ، وأكرم الناس ، وكان رجلاً من رجالكم إلا أنه كان ضحاكاً بساماً ، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة^(٢) .

بل والأعجب من ذلك أنه صلوات الله عليه كان يختلف مع زوجاته ، وكان يترك البيت أحياناً ، وكانت أصوات الزوجات ترتفع فوق صوته .. و .. !! .

ومع ذلك كان ﷺ يصفح .. ويعفو .. ويسامح .. ويُعاشر بالحسنى ..

مصدق ذلك قول عائشة رضي الله عنها : كان بيني وبين رسول الله ﷺ كلامٌ ، فقال : «من ترضين أن يكون بيني وبينك؟ أترضين أبا عبيدة بن الجراح؟» .

(١) سنن ابن ماجه : ٦٣٦/١ .

(٢) صحيح البخاري : ١٧/٨ .

قلتُ : لا ، ذاك رجلٌ لن يقضي لك عليّ؟

قال : «أترضين بعمر؟» قلتُ : لا ، إني أفرقُ من عمر ، قال : «فالشيطان يفرُّهُ ، أترضين بأبي بكر؟» فقلتُ : نعم ، فبعث إليه فجاء .

فقال رسول الله ﷺ لأبي : «اقض بيني وبين هذه» ، قال : أنا يا رسول الله؟ قال : «نعم» فتكلّم رسول الله ﷺ له ، اقصد يا رسول الله!! .

قالت : فرفع أبو بكر يده فلطم وجهي لطمَةً بَدَرَ منها أنفي ومنخرايَ دماً ، وقال : لا أبا لك ! فمن يقصد إذا لم يقصد رسول الله ﷺ ! .

فقال رسول الله ﷺ صلوات الله عليه : «ما أردنا هذا» وقام فغسل الدم عن وجهي وثوبي بيده^(١) .

أجل يا روح الوجود يا محمّد!

ما أروع تلك المعاملة . . وما أجمل ذاك الخلق العظيم ، فصلوات الله عليك في كل وقتٍ وحين :

تبارك الله عمّا قال جاحدهُ	وجاحد الحقّ عند النصر مخذولُ
والفوز في أمةٍ ضوء الضوء لها	قد زانها غررٌ منه وتحجّلُ
تظللُ تتلو كتاب الله ليس به	كسائر الكتب تحريفٌ وتبديلُ
فالكُتب والرسل من عند الإله أتت	ومنهم فاضلٌ حقاً ومفضولُ
والمصطفى خير خلق الله كلهم	له على الرسل ترجيحٌ وتفضيلُ

* * *

(١) سنن أبي داود : ٧١/٥ ، وفاء الوفاء : ٦٥٢/٢ .

... لَجُودِ الْمُصْطَفَى ﷺ مُدَّتْ يَدَانَا...

أما كيف كانت مباسطة المصطفى ﷺ أهله ، وكيف كانت ملاطفته نساءه وسمره معهنّ ، ففي ذلك العجب العجائب !! .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ جالساً ، فسمعنا لغطاً وصوت صبيان ، فقام رسول الله ﷺ فإذا حبشيّة ترفن^(١) والصبيان حولها ، فقال : «يا عائشة ! تعالي فانظري» ، فجئتُ فوضعتُ لحييَّ على منكب رسول الله ﷺ فجعلتُ أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه .

فقال لي : «أما شبعتِ ، أما شبعتِ ؟» قالت : فجعلتُ أقول : لا ، لأنظر منزلي عنده ، إذ طلع عمر ، قالت : فافرض الناس عنها^(٢) .

قالت : فقال رسول الله ﷺ : «إني لأنظر إلى شياطين الإنس والجنّ قد فروا من عمر» قالت : فرجعتُ^(٣) .

ومثل ذلك الموقف الرائع ما روته عائشة رضي الله عنها ، قالت : خرجتُ مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جاريةٌ لم أحمل اللحم ولم أبْدَن ، فقال للناس : «تقدّموا» فتقدّموا ، ثم قال لي : «تعالي حتى أسابقك» .

فسابقته ، فسبقته ، فسكت عني حتى إذا حملتُ اللحم وبَدُنْتُ ونسيتُ خرجتُ معه في بعض أسفاره ، فقال للناس : «تقدّموا» فتقدّموا ، ثم قال :

(١) أي : ترقص .

(٢) أي : تفرّقوا .

(٣) سنن الترمذي : ٦٢١ / ٥ .

«تعالى حتى أسابقك» فسابقته فسبقني ، فجعل يضحك وهو يقول : «هذه بتلك»^(١).

ومثل ذلك ما ورد عن عائشة رضي الله عنها : أنها أنكحت ذات قرابة لها من الأنصار ، فجاء النبي ﷺ فقال : «أهديتم الفتاة؟» .

قالت : نعم ، قال : «فأرسلتم معها من تغني؟» ، قالت : لا .

فقال : إن الأنصار قومٌ فيهم غزلٌ ، فلو أرسلتم من يقول : «أتيناكم أتيناكم ، فحيانا وحياكم»^(٢) .

أجل يا حبيب الله يا محمد!

هكذا فلتتعلم الأجيال وإلى قيام الساعة دروساً من سيرة سيد الأنام محمد صلوات الله عليه عسى أن تسعد البشرية في سلام ووثام ، ثم تنقلب إلى جنة الله يوم الدين :

وأغراني به داعي اقتراح	عليّ لأمره أبداً وجوبُ
فقلتُ لمن يحضّر عليه فيه	لعلّك في هواه لي نسيبُ
دللتُ على الهوى قلبي فسهمي	وسهمك في الهوى كلّ مصيبُ
لجود المصطفى مُدّت يدانا	وما مُدّت له أيدي تخيبُ

* * *

(١) مسند أحمد : ٦ / ٢٦٤ .

(٢) سنن ابن ماجه : ١ / ٦١٢ ، المسند : ٣ / ٣٩١ .

... عَظْفاً عَلَى قَلْبٍ بِحَبِّكَ هَائِمٌ ...

ما أكثر الدوافع إلى محبة المصطفى ﷺ ، مثال ذلك :

أن الله سبحانه جعله سبباً لهداية الخلق ، وإلا كان الناس يعيشون في ظلام دامس ، حيث شريعة الغاب ، فالقوي يأكل الضعيف ، إضافة إلى التفرقة والتخلف والجهل ، فجاء الحبيب المصطفى فنور الله به القلوب والعقول .

إضافة إلى حبه صلوات الله عليه لأمته ، وحرصه على هدايتهم ، مصداق ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : أن النبي صلوات الله عليه قال : «إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً ، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه ، فأنا آخذٌ بحجزكم ، وأنتم تقحمون فيه»^(١) .

بل لم يقتصر ذلك على المسلمين ، بل جعله الله رحمةً مهداة للعالمين ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

ولأجله صلوات الله عليه وضع الله عن متبعية الإصر والأغلال التي كانت على من سبقهم من الأمم ، حيث دلهم على الطيبات ، وأبعدهم عن الخبائث ، فكانت شريعة الإسلام هي الوسطية والاعتدال ، والتيسر والفقرة والسعة ، مصداق ذلك قوله سبحانه : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [١٥٦] الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ

(١) صحيح مسلم : (١٨) .

إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴿الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧﴾.

فقد كان في الأمم السابقة إذا أصاب ثوب أحدهم نجاسة ما، فعليه أن يقرض الثوب بالمقاريض ، أما في هذه الشريعة الخاتمة فقد خفف الله عن هذه الأمة إكراماً لنبينا صلوات الله عليه : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

أجل ، هكذا كان حبيبنا محمد ﷺ!

لقد كان يحمل هموم الأمة ، وكان يتمنى خلاصهم ، وكان كثيراً ما ينسى نفسه وهو يدعو ربه لأُمَّته ، وكان كثيراً ما يبكي عندما لا يستجيب الناس لدعوته ، وكان كثيراً ما يتأسف على مواقفهم تجاه هذا الدين الحنيف ، ولذلك سلاه الله وواساه أكثر من مرة ، مثال ذلك قوله سبحانه : ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ عَائِثِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦] ، وقوله عز وجل : ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].

فكيف علينا أن نقابل ذلك الرسول الأمين ﷺ؟!

بفؤادي من الغرام الخفي	أن أن أفصح الكتابة عما
بالحجاب المقدس النبوي	ليس قلبي معلق الفهم إلا
ذو الفخر المقام الزكي	بجنابٍ يحل فيه رسول الله

* * *

... صَبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبٌ ...

عندما تكون العلاقة الزوجية جحيماً لا تُطاق ، يعيش الزوج والزوجة والأولاد نكدًا لا مثيل له ، أما عندما يرفرف فوق العش الزوجي رايات الرحمة والعطف والحنان ، يكون ذلك منبعاً للسعادة والوئام ، مصداق ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها ، قالت : رجع إليّ رسول الله ﷺ ذات يوم من جنازة بالقيع وأنا أجد صُداً في رأسي ، وأنا أقول : وارأساه ، فقال : «ما ضرّك لو متّ قبلي فغسلتْك وكفّنتْك ، ثم صليتُ عليك ودفنتْك؟» ، فقلت : لكأنّي بك والله لو فعلت ذلك ، لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نساءك ! فتبسّم رسول الله ﷺ ثم بُدئ في وجعه الذي مات فيه ^(١) .

وبالفعل حدث ما لا يتمناه مسلم ، ولكنه القضاء والقدر ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران : ١٨٥] ، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص : ٨٨] .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه ، فقالت فاطمة رضي الله عنها : واكرب أباه ، فقال لها : «ليس على أبيك كربٌ بعد اليوم» ، فلما مات قالت : يا أبتاه ! في جنّة الفردوس مأواه ، يا أبتاه ! إلى جبريل ننعاه .

فلما دُفن قالت : يا أنس ! كيف طابت لكم أنفسكم أن تحثو التراب على وجه نبيكم ؟ .

ثم توجّهت نحو القبر الشريف ، فأخذت قبضةً من ترابه فوضعت على عينيها وبكت وقالت :

ماذا على من شمّ تربة أحمدٍ ألا يشمّ مدى الزمان غواليها

(١) سنن ابن ماجه : (١٤٦٥) .

صَبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبٌ لَوْ أَنَّهَا صَبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ عُدنَ لِيَايَا^(١)
وعندما أُشيع خبر انتقال الرسول ﷺ أُصيب الصحابة الأماجد بما لم يكن
متوقعاً ، فمنهم من أنكر ذلك ، ومنهم من هدد وتوعد ، ومنهم من أصابه
الذهول ، ومنهم من أغلق عليه باب بيته وراح يبكي ، وحُقَّ لهم ذلك كله ،
لكن الضابط للمسألة وصية الحبيب المصطفى ﷺ ، وذلك أثناء مرضه :
«يا أيها الناس ! أيّما أحدٍ من الناس أو المؤمنين أُصيب بمصيبة فليتعزَّ بمصيبته
بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري ، فإن أحداً من أمتي لن يُصاب بمصيبة بعدي
أشدَّ عليه من مصيبتِي»^(٢) .

أجل يا حبيبنا يا رسول الله!

نشهد أنك بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وجاهدت في
سبيل الله حقَّ جهاد ، فجزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته ، وما لنا نحن إلا
أن نردّد وراء الشاعر المحبّ ، وعيوننا تهطل دموعاً :

اصبر لكل مصيبة وتجلّد	واعلم بأن المرء غير مخلّد
واصبر كما صبر الكرام فإنها	نوبّ تنوبّ اليوم تُكشف في غدٍ
وإذا أتتك مصيبة تُشجى بها	فاذكر مُصابك بالنبّي محمدٍ

* * *

(١) صحيح البخاري : ٦٥ / ٣ ، الشماثل للترمذي : ٣٧٩ .

(٢) سنن ابن ماجه : (١٥٩٩) .

الخاتمة

... أحسن الله ختامنا أجمعين...

وهكذا بقينا فترة ونحن نلتقط بعض الصور والمشاهد التي تختص بروح الوجود محمد ﷺ ، وقد حاولنا أن نربط بينها ، فتكون لدينا عقد رائع لا مثيل له ، ثم - والله يعلم - أن ذلك لم يكن مدحاً للنبي ﷺ ، إنما كان الحال كما حدث لأحد كبار الشعراء ، حيث نظم قصائد كثيرة في مدح رسول الله ﷺ ، ثم جمعها في ديوان شعر ، ولما أراد أن يكتب صفحة الإهداء في البداية ، إذا بقلمه يخط :

أنا ما مدحتُ محمداً بقصائدي لكن مدحتُ قصائدي بمحمدٍ
ونحن - الضعاف المقصرون والمذنبون - ماذا نمدح الرسول ﷺ وقد مدحه
الله سبحانه في كثير من الآيات؟ .

رُئي الشيخ عمر ابن الفارض في النوم ، ف قيل له : لم مدحت النبي ﷺ؟
فقال :

أرى كل مدح في النبي مُقَصَّراً وإن بالغ المُثني عليه وأكثرأ
إذا الله أثنى بالذي هو أهله عليه فما مقدار ما يمدح الوري؟!

وبالفعل ، كم من الكتاب والباحثين كتبوا عن رسول الله ﷺ؟ وكم من
الأدباء والشعراء من خطوا أروع المقاطع الثرية والشعرية في مدح الحبيب
المصطفى صلوات الله عليه؟ وكم.. وكم؟ ومع ذلك ترى أن الكلام فيه
كالشكر ، كلما حرَّكته صار أحلى ، دون ملل.. ولا كلل :

إني امرؤٌ قلبي يُحبّ محمّداً ويلوم فيه لائماً وعذولاً
أحبّه وأملُ من ذكرى له ليس المحبّ لمن يحبّ ملولاً
ويعلم الله أننا لو بقينا على هذه الحال - جمع ما يتعلّق بالرسول ﷺ - أشهراً
وسنوات ، لبقينا مقصّرين ، ولبقي هناك لقطات ومشاهد :

ماذا أقولُ إذا وصفتُ محمّداً نقدَ الكلامِ ووصفه لا ينفدُ
أجل !

لكن هذا لا يعني أننا وصلنا إلى وداع روح الوجود صلوات الله عليه ، ذلك
لأننا كنّا نظن أن الاقتراب منه أكثر سيّطفي لهيب شوق العقول والأرواح
والقلوب إليه ، لكن ما حدث هو العكس تماماً :

أحسُّ إلى زيارة حيّ ليلي وعهدي من زيارتها قريبُ
وكنْتُ أظنُّ قُرب الدّار يُطفئ لهيب الشوق فازداد اللهيبُ

إذن : هذه المشاهد واللّقطات جمعتها ، ونظمتها في عقد واحد ، فكانت
تحت عنوان (روح الوجود محمد) سائلاً رب العزة أن يجعل في ذلك الإخلاص
والصدق ، وأن ينفعني وينفع الآخرين بها ، إكراماً للحبيب المصطفى محمد
ﷺ .

اللهم لا تعذب قلباً يحبّك ، ويحبّ حبيبك ، ويحبّ كلّ عبادك ، اللهم
اجعلني من خدّمة القرآن والسنة ، واجعلني ممن يدّون عليك ، عسى أن أنال
لقب مدّاح الحبيب في الدنيا ، وشفاعته في الآخرة ، آمين .

سَمِيتُ باسمك والمدّاح لي لَقَبُ يا حبّذا الاسمُ أو يا حبّذا اللَّقبُ
وصلّى الله على الشفيّع النذير روح الوجود محمد ، وعلى آله وصحابه
أجمعين .

*** وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ***

* * *

المصادر والمراجع

- تفسير القرآن العظيم ، الحافظ ابن كثير ، ط ١ ١٩٦٦ م ، دار الأندلس ، بيروت .
- التفسير الكبير ، الإمام الرازي ، ط ١ ١٩٩٥ م ، دار الفكر ، بيروت .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، الحافظ ابن حجر العسقلاني ، ط ١ ١٩٨٩ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- سبل السلام ، الإمام الصنعاني ، ط ١ ١٩٩٨ م ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- الشمائل المحمدية ، الإمام الترمذي ، ط ١ ١٩٩٢ م ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض ، مكتبة الفارابي ، دمشق (د.ت) .
- مدارج السالكين ، الحافظ ابن قيم الجوزية ، ط ٤ ١٩٩٧ م ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- مسند الإمام أحمد ، ط ١ ١٩٩٨ م ، عالم الكتب ، بيروت .
- في ظلال السيرة النبوية ، الدكتور محمد عمر الحاجي ، ط ١ ٢٠٠٣ م ، دار المكتبي ، دمشق .
- حياة الصحابة ، للكاندهلوي ، ط ٦ ١٩٩٣ م ، دار القلم ، دمشق .
- القول البديع في الصلاة على الشفيع ، الحافظ السخاوي ، مكتبة المؤيد ، السعودية (د.ت) .
- نيل الأوطار ، الإمام الشوكاني ، ط ١ ١٩٩٩ م ، دار الكلم الطيب ، دمشق .

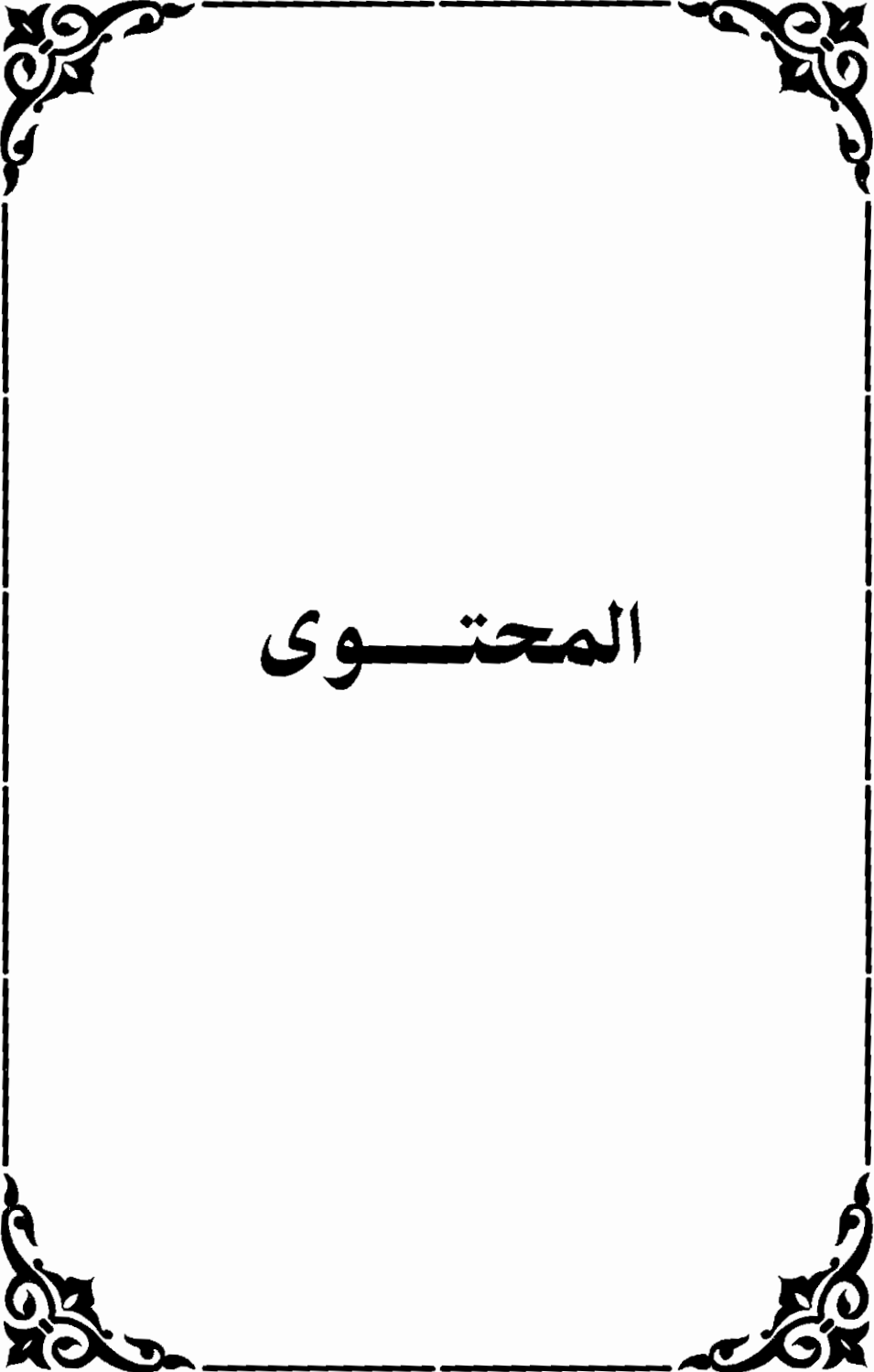
- الإصابة في تمييز الصحابة ، الحافظ ابن حجر العسقلاني ، ط ١ ١٩٩٣ م ، دار الجليل ، بيروت .
- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط ٢٣ ١٩٩٤ م ، دار الشروق ، بيروت .
- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، الإمام الزبيدي ، ط ١ ١٩٧٠ م ، دار الفكر ، دمشق .
- الأنوار في شمائل المختار ، الإمام البغوي ، ط ١ ١٩٩٥ م ، دار المكتبي ، دمشق .
- أخلاق العلماء ، الآجري ، ط ١ ١٩٧٢ م ، مكتبة العرفان ، دمشق .
- أدب الدنيا والدين ، الإمام الماوردي ، ط ١ ١٩٥٥ م ، مصطفى البابي الحلبي ، مصر .
- جامع العلوم والحكم ، ابن رجب الحنبلي ، ط ١ ١٩٦٩ م ، الأهرام التجارية ، مصر .
- زهر الآداب ، الإمام القيرواني ، ابن عبد الحكم ، ط ١ ١٩٧٢ م ، دار الجليل ، بيروت .
- سيرة عمر بن عبد العزيز ، ابن عبد الحكم ، ط ١ ١٩٦٦ م ، المكتبة العربية ، دمشق .
- حقائق الأنوار ، ابن الديبع الشيباني ، (د.ت.م) .
- تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، الحافظ ابن عساكر ، ط ١ ١٩٧٩ م ، دار المسيرة ، بيروت .
- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، العلامة أحمد القسطلاني ، ط ١ ١٩٩١ م ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
- السيرة النبوية ، ابن هشام ، دار القلم ، بيروت (د.ت) .
- الوفا بأحوال المصطفى ، الإمام ابن الجوزي ، ط ١ ١٩٦٦ م ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .
- عيون الأثر ، ابن سيد الناس ، ط ١ ١٩٨٦ م ، مؤسسة عز الدين ، بيروت .

- محبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد ، الدكتور خليل ملا خاطر ، ط ١
١٩٩٦م ، دار القلم العربي ، حلب .

- الحب بين العبد وربّه ، أحمد المحاميد ، ط ١ ١٩٩٥ م ، دار الفكر ، دمشق .

- شجرة الحب في القرآن الكريم ، الدكتور محمد عمر الحاجي ، ط ١ ٢٠٠٧ م ، دار
طيبة ، دمشق .

* * *



المحتوى

المحتوى

٤	الإهداء
٥	تمهيد
٧	السراج المنير
٩	إنه النسمة المباركة
١٢	سيد الوفاء
١٤	رأت غمامة تظله
١٦	إنك لمبارك يا محمد
١٨	فإنك بأعيننا
٢١	هذا الأمين محمد
٢٤	أنت عبدي ورسولي
٢٦	لقد آمن قس بالبعث
٢٨	حتى الحجر والشجر
٣٠	فصبر جميل
٣٢	هل لك أن تصارعني؟
٣٥	فإنهم لا يكذبونك
٣٧	أشتمه وأنا على دينه؟
٣٩	اللهم أعز الإسلام بعمر
٤٢	ما جئت أطلب أموالكم
٤٤	لقد لقيت من قومك ما لقيت
٤٦	بهذا فضلكم محمد

٤٨	بأحمد المهدي النبي المؤتمن
٥١	فأغشيناهم فهم لا يبصرون
٥٣	خير من عمر وآل عمر
٥٥	جائزة كبرى... ولكن
٥٧	ما عندي شاة تحلب
٥٩	اللهم اكفنا بما شئت
٦١	يا حبذا محمد من جار
٦٤	لا عيش إلا عيش الآخرة
٦٦	رغبة نبوية تتحقق
٦٨	اللهم إنني أسالك ما وعدتني
٧٠	ركضاً إلى الله بغير زاد
٧٢	يا أيها المبعوث تقطر عفة
٧٥	لعلك جئت تخطب فاطمة
٧٨	رحمك الله أبا السائب
٨٠	اذهب فاقتل أباك
٨٢	ربح صهيب
٨٤	بارك الله عليك
٨٦	رضينا يا رسول الله
٨٨	سمعاً وطاعة يا رسول الله
٩٠	هل أنا شهيد؟
٩٢	يا عمير ، أنت قتلت العصماء؟
٩٤	خلّ سبيلها
٩٦	يا سيد العفو يا رسول الله
٩٨	أضرب بسيف الله والرسول
١٠٠	من يطيق ما تطيق أم عمار؟
١٠٢	وهو من أهل الجنة
١٠٤	لا عذر لنا عند ربنا

- هل أتاك خبر غسيل الملائكة؟ ١٠٦
- ما فعل رسول الله؟ ١٠٨
- ألا أبشرك يا جابر؟ ١١١
- قتل نبيكم ١١٣
- لقد آذوه ﷺ كثيراً ١١٥
- فلحس الدم عن وجهه ١١٧
- يوم بيوم بدر ١١٩
- رضيناك يا رسول الله ١٢١
- يا حبيب ما يبكيك؟ ١٢٣
- فاز لعمر الله ١٢٥
- إنه حب لا مثيل له ١٢٧
- إلى الله أشكو غربتي ١٢٩
- اذكروا نعمة الله عليكم ١٣١
- دمي دمي يا محمد ١٣٣
- ثم أيقظ صاحبه عماراً ١٣٥
- لقد وعت أذنك يا غلام ١٣٧
- يا سلمان .. رأيت ذلك؟ ١٣٩
- يا لعجائب البركات النبوية ١٤١
- هل من مبارز؟ ١٤٣
- أعظم امرأة بركة ١٤٥
- كفَّ يدك عن الرسول ١٤٧
- ما أحسن الموت ١٤٩
- فضحك رسول الله ١٥١
- ويحكم يا بني قريظة ١٥٣
- هنيئاً لك أبا عمرو ١٥٥
- مم تضحك يا رسول الله؟ ١٥٧
- حتى تنفقوا مما تحبون ١٥٩

١٦١	لا تدعوني قريش اليوم
١٦٣	فعلمت أنه بركة
١٦٥	أبسط يدك أبايعك
١٦٧	ويوم الشجرة
١٦٩	يا أبا جندل ، اصبر واحتسب
١٧١	وإن لن يضيعني
١٧٣	لقد حسّن الله وجهك
١٧٥	دروس في الدعوة إلى الله
١٧٧	مصباح كل فضل
١٧٩	فأدعوكم إلى الله
١٨١	أهو... هو؟
١٨٣	أتيتك يا روح الوجود
١٨٥	ففتح الله عليه
١٨٧	غمر البرية عدله
١٨٩	حنان لا مثيل له
١٩١	كفى العرب فخراً
١٩٣	ألا أقتل لكم محمداً؟
١٩٥	أطلقوا ثمامة
١٩٧	لا حاجة لنا في طعامك
١٩٩	ثم قدمه فضرب عنقه
٢٠١	تلاحم عجيب
٢٠٣	وعيناه تذرفان
٢٠٥	الطيار في الجنة
٢٠٧	إن عصيتني أطعتك
٢٠٩	هكذا يسر الشريعة
٢١١	ومنبري على حوضي
٢١٣	فهو هادي كل حيران

٢١٥	تواضع الفاتحين
٢١٧	لا تثريب عليكم اليوم
٢١٩	فهل سمعت بمثله
٢٢١	الحمد لله الذي هداك
٢٢٣	مدائحہ تزيد القلب شوقاً
٢٢٥	غفر الله لك
٢٢٧	بماذا نجيبك يا رسول الله
٢٢٩	دعني أضرب عنقه
٢٣١	نحن إخوانكم في الدين
٢٣٣	فكن في الشعر حسناً
٢٣٥	والله ما هذا بالعدل
٢٣٧	فلم أحرم زيارته بقلبي
٢٣٩	عاشوا على الحب
٢٤١	سلني عما شئت
٢٤٣	فأكلوا حتى شبعوا
٢٤٥	قد أمسيت راضياً عنه
٢٤٧	وصايا ذهبية
٢٤٩	اذهب فأنت أميرهم
٢٥١	أولئ الناس بي المتقون
٢٥٣	رحمة حتى مع زعيم المنافقين
٢٥٥	ليدخلن الجنة
٢٥٧	وهكذا يكون القضاء
٢٥٩	مرونة الشريعة الإسلامية
٢٦١	ها هنا تسكب العبرات يا عمر
٢٦٣	تبسمت من عدو الله إبليس
٢٦٥	ضحى الحبيب بقلبي
٢٦٧	افعل ولا حرج

٢٦٩	التبرك بشعرات المصطفى ﷺ
٢٧١	حقوق ... و... واجبات
٢٧٣	إنه لعجب محض
٢٧٥	اللهم ارحم سعداً وآل سعيد
٢٧٧	بضريح أحمد فضلت
٢٧٩	وحياتك يا محمد
٢٨١	فاشرب هنيئاً وعافية
٢٨٣	هنيئاً لمدايح النبي محمد
٢٨٥	كن حبساً على مدح المفدى
٢٨٧	وختم بي الرسل
٢٨٩	رأيتهم صرعى يوم بدر
٢٩١	آمنابه وبنبوته
٢٩٣	فقد اتخذتك حبيباً
٢٩٥	مركز النور الإلهي
٢٩٧	سلام عليك يا خير البرية
٢٩٩	ما منحت المصطفى مدحي
٣٠١	الخلّة .. أو المحبة
٣٠٣	واشفع تشفع
٣٠٥	فضل رسول الله ليس له حد
٣٠٧	تشرق الأكوان من أنواره
٣٠٩	معجزات أعجزت كل الورى
٣١١	لما جئتها سجدت
٣١٣	خير من يعطاها
٣١٥	محمد ﷺ صفوة الرحمن
٣١٧	ما على من يشا قكم من ملام
٣١٩	وإن حبك في إيماننا نسب
٣٢١	قلبي يحب محمداً

٣٢٣	شمس فضل هم كواكبها
٣٢٥	لوم المحب
٣٢٧	ما أروع العودة إلى السيرة
٣٢٩	خير خلق الله كلهم
٣٣١	لجود المصطفى مدت يدانا
٣٣٣	عظفاً على قلب بحبك هائم
٣٣٥	صُبَّتْ علي مصائب
٣٣٧	الخاتمة
٣٣٩	المصادر والمراجع
٣٤٣	المحتوى

* * *